
سورية ..
والحرب الكونية
مقالات تنويرية حول حقيقة ما يجري من صراع في سورية
د. نور الدين أبو لحية

هذا الكتاب

هذه مجموعة مقالات تنويرية تحاول أن تخاطب الضمائر التي لا تزال فيها بعض الحياة، لعلها تستوعب حقيقة ما جرى لسورية من أنواع العدوان الآثم، والذي استخدمت فيه كل ألوان الظلم والجور والكراهية.

وقد التقى في هذه الحرب كل الحاقدين والانتهازيين من رجال السياسة والدين والإعلام، وضخت لأجلها آلاف الأطنان من الأسلحة الفتاكة بمختلف أنواعها، واستقدم لها كل مرتزقة الحروب من أصحاب العقول المعطلة، والتدين المزيف.

لذلك لم يحصل في التاريخ أن توفر لأي دولة مثل هذا العدوان، الذي يمكن اعتباره [حربا كونية] حقيقة لا مجازا.. لأن المحاربين لسورية لم يستخدموا فقط تلك الأسلحة التقليدية المعتادة، وإنما استخدموا فيها الدين المزيف، والعقل المعطل، والإعلام المغرض.

وبناء على هذا، حاولنا في هذه المقالات أن نجمع الأطروحات المختلفة التي نشرت الفتنة بسببها على سورية، وبينا حقيقتها، وحقيقة ما جرى بالضبط.

وقد حاولنا تبسيطها واختصارها قدر الإمكان، لأن الهدف المرجو منها ليس أن تبقى بين يدي خاصة الناس، وإنما أن تصير بين يدي عامتهم، وخاصة أولئك الذين ضللهم الإعلام الحاقد، والذين يحتاجون أن يسمعوا الحقائق بطريقة تتناسب معهم، ومع الحقيقة نفسها.

سورية..

والحرب الكونية

مقالات تنويرية حول حقيقة ما يجري من صراع في سورية

د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com

الطبعة الأولى

1439 . 2018

مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

إهداء واعتذار

إلى سورية الجريحة قلب العروبة النابض..

لقد تألمت كثيرا لذلك العدوان الذي أصـابك، وتـألمت أكثر لأولئـك الـذين غـدروا بـك على الـرغم من أنهم أبنـاء جلدتك، وينطقون بلغتك.

ولو كان لي قدرة أن أفعل أي شـيء لأجلـك لفعلتـه، ولكـني لا أملـك سـوى قلمي ولسـاني لأذب عن عرضـك وشرفك ونخوتك وكرامتـك.. ولـو كـان لي شـيء غيرهمـا لقدمته.. فاعذريني، واعذري كل حر أبي قعدت بـه الأيـام دون نصرتك.

فيعلم الله أنك في قلوبنا، وأننا نتـألم لكـل قطـرة دم شهيد تسيل على أرضك، ونمتلئ غيظا من أولئك الحمقى المغفلين الذين يخربون بيوتهم بأيديهم، ويبيعون أوطـانهم لعدوهم..

ولكنا مع ذلك لا نملك إلا أقلامنا وألسنتنا.. فاعـذرينا.. وتقبلي مني هذه القطـرات من المـداد، وإن شـئت بـدلها دماء، فدماؤنا رخيصة في سبيلك.

المقدمة

هذه مجموعـة مقـالات تنويريـة تحـاول أن تخـاطب الضـمائر التي لا تزال فيهـا بعض الحيـاة، لعلهـا تسـتوعب حقيقـة مـا جـرى لسورية من أنواع العدوان الآثم، والذي استخدمت فيه كـل ألـوان الظلم والجور والكراهية.

وقـد التقى في هـذه الحـرب كـل الحاقـدين والانتهـازين من رجال السياسة والدين والإعلام، وضخت لأجلهـا آلاف الأطنـان من الأسـلحة الفتاكـة بمختلـف أنواعهـا، واسـتقدم لهـا كـل مرتزقـة الحروب من أصحاب العقول المعطلة والتدين المزيف.

لـذلك لم يحصـل في التـاريخ أن تـوفر لأي دولـة مثـل هـذا العدوان، الذي يمكن اعتباره [حربـا كونيـة] حقيقـة لا مجـازا.. لأن المحـاربين لسـورية لم يسـتخدموا فقـط تلـك الأسـلحة التقليديـة المعتادة، وإنما استخدموا فيها الـدين المزيـف، والعقـل المعطـل، والإعلام المغرض.

لذلك كانت الكتابة التنويريـة نوعـا من أنـواع المواجهـة لتلـك الحرب، فهي قد بدأت ثقافيـة قبـل أن تصـبح عسـكرية، وهي قـد وفرت القابلية للحرب الناعمة قبل أن تمارسها، وقبـل أن تحولهـا إلى حرب صلبة.

وبنـــاء على هـــذا، حاولنـــا في هـــذه المقـــالات أن نجمـــع الأطروحات المختلفة التي نشرت الفتنة بسببها على سورية، وبينا حقيقتها، وحقيقة ما جرى بالضبط.

وقد حاولنا تبسيطها الاختصار فيها قـدر الإمكـان، لأن الهـدف المرجو منها ليس أن تبقى بين يدي خاصة الناس، وإنمـا أن تصـير بين يـدي عـامتهم، وخاصـة أولئـك الـذين ضـللهم الإعلام الحاقـد، والذين يحتاجون أن يسمعوا الحقائق بطريقة تتناسب معهم، ومـع الحقيقة نفسها.

وأحب أن أجيب أولئـك الـذين سـألوني ــ عنـد نشـري لهـذه المقالات ـ عن سر تخصيصي لهذا الوقت بالضبط دون غيره لنشر

هذا الكتاب، بأنني كتبت قبل هذه الفترة المقالات الكثيرة، والتي نشرتها في الصحف والكتب المختلفة، بل إن الكثير مما كتبته في سلسلة [الدين والدجل] كان في الرد على المنظومة الفكرية التي تبنت الحرب على سورية، وعلى مثلها من البلاد العربية والإسلامية.

أما دفاعي عنها في هذه الفترة بالضبط، وخروجي عن التلميح في نواح كثيرة إلى التصريح، فالفضل فيه يعود لذلك الاعتداء الثلاثي الأمريكي والبريطاني والفرنسي، وقبله الاعتداء الإسرائيلي، من دون أن أرى أي تنديد لا عربي، ولا إسلامي، ما عدا بعض الدول القليلة المحدودة، والتي تلقى من الحرب ما تلقاه سورية نفسها.

بل إن بعض الدول العربية راحت تعلن تأييدها وتطالب بالمزيد من الاعتداءات.. وعندما اجتمعت الدول العربية في قمة الظهران لم تتحدث عن تلك الاعتداءات، بل راحت تقرها وتؤكدها وتدعو لنظائر لها.

وعندما رحت لمواقع العلماء والمتنورين منهم خصوصا وجدتهم لا يعطون الأمر أي قيمة، بل وجدت منهم من حزن، لا للاعتداء، وإنما لعدم استمراره وتحقيقه لأغراضه.

حينها رحت أعاتب نفسي، بل أوبخها.. لأني صرت مثل كل أولئك الساكتين الذين آثروا الحياد.. والحياد في أمثال هذه المواقف خيانة وجريمة.

لقد عرفت أن الله تعالى اختبرنا بتلك الاعتداءات، وهل نسكت، أم نجامل، أم نهادن أولئك الأصدقاء الذين لا يحترموننا إلا إذا جاملناهم، وفكرنا بالطريقة التي يفكرون بها، ووقفنا المواقف التي يقفونها.

لقد صرت بين أمرين: إما أن أؤثر مرضاة الله بمناصرة سورية الجريحة التي تئن من كثرة أعدائها، أو أولئك الذين يثنون علينا، ويذكرون أنهم يستفيدون منا، ولكنهم في نفس الوقت يريدون منا أن نكون عبيدا لمواقفهم وأفكارهم.. لذلك آثرنا أن

نجهر بالحقيقة تصريحا بعد أن كنا نجهر بها تلميحا.

ولذلك حيينا الرئيس السوري والجيش السوري وكل الذين وقفوا مع سورية، لأن الوقت الآن وقت تُحفظ فيه الوحدة، ويُحفظ فيه الأمن القومي، ولا يجوز فيه قلب الأوراق التي تثير الفتنة وتطمع الأعداء.

ومثل ذلك شددنا الحملة على أولئك الذين يتاجرون بالدين، ويستعملونه مطية لضرب الأمة، وإعطائها لقمة سائغة لأعدائها.

لقد كانت صواريخ ترامب دفعة قوية لنا لنرسل أمثالها من الصواريخ التي تضاد كل فكر يحارب الأمة، ويهدد وحدتها.. فقد ظهر الصباح، وبان لذي عينين، ومن آثر أن يظل أعمى، فليبق أعمى.

وأحب أن أوجه نصيحة لكل أولئك الذين آثروا الحياد والعافية والحرص على السمعة الطيبة بأنهم في موقف مفصلي؛ ذلك أن من سمع بتكالب الغرب على سوريا وضربهم لها، ولم يتحرك له جفن، أو يتأثر، فهو إما ميت أو عميل..

ومن لم يقف مع إخوانه في سورية هذه الايام لينتصر لهم، ويتألم لآلامهم، فقد باع نفسه للشياطين.

ومن لم يستفق لحقيقة ما يجري، وهو يرى المعارضة السورية العميلة تفرح بالضربة الثلاثية لبلدها، بل تتألم لأنها لم تحقق أهدافها فلن يستفيق أبدا.

ومن لم يفطن للجزيرة والعربية وغيرهما من قنوات الفتنة حين يرى تغطيتها للاحداث الجارية وتشجيعها لترامب ولكل المجرمين على ضرب سورية، فسيبقى عقله دائما موضعا لقمامتها.

ومن لم يميز بين العلماء العاملين الصادقين في هذه الفترة التي يضرب فيها قلب العروبة الاسلام، فلن يميز بينهم أبدا.

ومن لم يعجبه هذا الحديث.. واراد مني ان اتركه حتى

احافظ على صداقتي معه فهو لا يعرفني وأنا لا حاجة لي بصداقته ولا صداقة اي احمق أو مغفل، وأقول لهم ما قال الشاعر:

إني لآمن من عدو وأخاف خلا يعتريه
فالعقل فن واحد أدرى فأرصد

وقول الإمام علي:

فلا تصحب أخا الجهل فكم من جاهل أردى
يقاس المرء بالمرء إذا وللشيء من الشيء

***

وبناء على طبيعة هذه المقالات والأغراض التي تهـدف إليهـا، فقد قسمتها إلى ثلاثة أقسام على الرغم من كونها متداخلـة فيمـا بينها، لأن الهدف منها جميعا هو التنـوير، وذكـر الحقـائق كمـا هي، وهذه الأقسام هي:

القسـم الأول ــ مـا الـذي يحـدث في سـورية: وقـد حاولت أن أوضح فيه حقيقة ما يجري فيه سورية، وكونـه مـؤامرة خارجية تهدف إلى تمزيق سورية وتقزيمها وإخراجهـا من محورهـا المقـاوم، حـتى يتـاح المجـال لأعـدائها للتحكم في قضـايا الأمـة المصيرية.

القسم الثاني ــ سـورية والحـرب الدينية: وقـد رددت فيه على تلك الطروحات التي لبست لباس الدين المزيـف، لتـوفر القابلية للشعوب الإسلامية للحرب الناعمة، وما يعقبها من الحرب الصلبة والقذرة والكونية.

القسم الثالث ــ سـورية والمواجهـة الشـريفة: وقـد ذكرت فيه بعض النماذج عن الشرفاء الذين كان لهم الدور الكبـير في حماية سورية، ومواجهة المشاريع الظلامية التي استهدفتها.

القسم الأول

ما الذي يحدث في سورية؟

ارحموا الشعب السوري

أيها المتاجرون بالدم السوري، والمتلاعبون به.. يا من تعيشون في بلادكم سالمين، تطبقون كل القوانين، وتنحنون أمام كل رجل أمن، وترتعد فرائصكم عند كل دعوة تأتيكم من مركز شرطة، ولا تستطيعون أن تنبزوا ببنت شفة أمام أحقر مسؤول.



لكنكم، ومع كل ذلك الجبن الذي تبدون عليه، تتحولون أسودا وصقورا تمدون الشعب السوري المسكين بالمواعظ والنصائح، وتطالبوه وحده في العالم أجمع بأن يتمرد على حكامه ونظامه ومسؤوليه، وإلا فهو شبيحة ورافضي ومجوسي وكافر.

وأنتم تعلمون جيدا أن الشعب السوري قبل أن تزجوا به في تلك المتاهة كانت له بيوت يأوي إليها، ولا أحد يطالبه بالخروج منها.. وكانت له مدارس مجانية يدرس فيها أولاده، بل يدرس فيها جميع الشعب السوري فقيرهم وغنيهم.. وكانت له مؤسسات جامعية لا تفرق بين الطوائف، ولا بين الأعراق، بل يدرس فيها كل من يحمل عرقا سوريا، وهوية سورية.

وكان في سورية مساجد لا تقل عن المساجد التي تصلون فيها.. وكان فيها أئمة فحول، وخطباء فصحاء، وكانت هي الأخرى تقوم بدورها التنويري والتربوي، تعلم القرآن لا التوراة ولا الإنجيل.. وتدرس فيها المذاهب الفقهية التي تؤمنون بها وتقلدونها، ولا تدرس شيئا آخر..

ولم يكن أحد يمنعها من ذلك.. بل كان المشايخ والعلماء يتجولون فيها لينشروا الهداية الإلهية، ويربوا الناس عليها، وكان الناس يجلسون إليها، ولا أحد يمنعهم من الصلاة أو الاستماع أو ممارسة أي شعيرة من شعائر الدين.

وكان في سورية مصانع يعمل فيها مئات آلاف السوريين، وكانت فيها حقول بترول لا يملكها لا الرئيس ولا وزراؤه، بل كانت ملكا للدولة أجمع..

وكانت البلاد ـ بحجم الإمكانيات المتاحة لها ـ تتطور كل حين، فهناك جسور تمد، وطرق تعبد، ومدن تؤسس، وكان الجميع يتحرك بكل حرية لخدمة بلده.

كان كل هذا في سورية، وكان يمكن للجميع أن يشاهده، فقد كانت مفتوحة لكل العالم، وخاصة العربي منه، وقد ذهب الكثير منكم إليها، وتعلم من علمائها، ونال من شهاداتها.

لكنكم بعد ذلك كله رحتم تزعمون أن الرئيس السوري هو ذلك الدكتاتور الوحيد في العالم الذي ينبغي على رعيته أن تتمرد عليه حتى لو اقتضى الأمر أن يباد أكثرها..

ثم رحتم ترفعون شعارات سقوط النظام السوري، لا إصلاحه.. وفي سبيل هذا الشعار رحتم إلى المؤسسات تحرضون على احتلالها، وإلى المزراع تحرضون على تخريبها، وإلى المصانع تسلمونها مجانا إلى تركيا، وإلى البترول تسلمونه مجانا لأمريكا.

بأي منطق تفكرون.. أنتم تطالبون برحيل الرئيس السوري.. لا بأس.. لقد رحل الرئيس الليبي، بل قتلتموه بعد أن شحنتم قلوب الليبيين حقدا عليه.. فهل نجحتم في ليبيا بعد أن قتلتم رئيسها، أم أن ليبيا الآن دولة فاشلة بكل المقاييس، وهي عرضة لكل أنواع التقسيم، وأموالها نهبة لكل قطاع الطرق؟

وهل نجحتم في أي أرض دعوتم إلى التمرد فيها؟.. ها قد استلمتم تونس أشهرا معدودات، أرسلتم فيها خيرة شبابكم ليقاتل في سورية.. فماذا فعلتم؟.. لقد طُردتم من الحكم شر

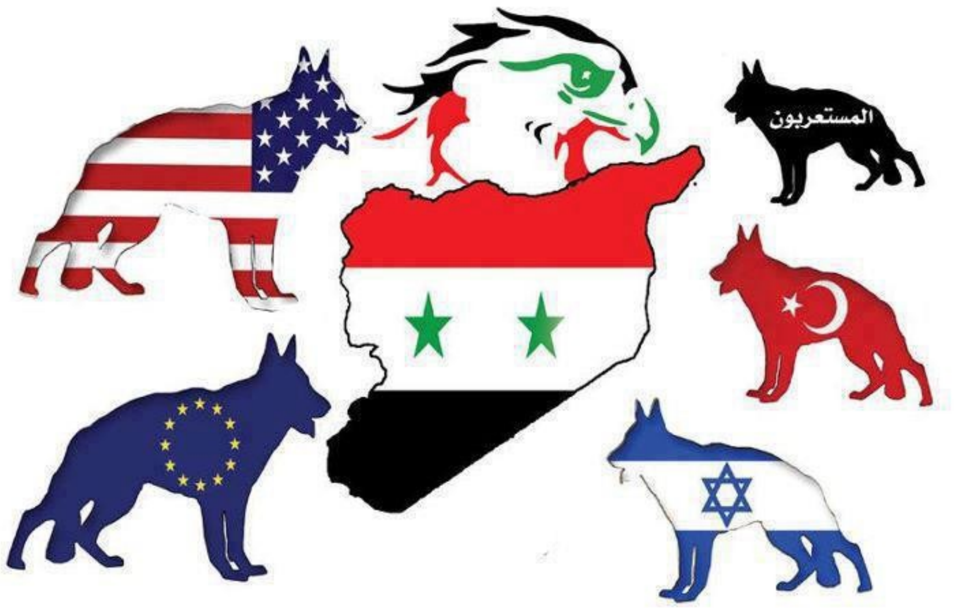
طردة، وستلقون في مستقبل أيامكم ما هو أبشع مما حصل لكم.

وهل نجحتم في مصر التي انتفضت عليكم قبل أن يمـر عـام واحد على حكمكم لها، لأن التهور والطيش والغرور كان مسـيطرا عليكم.. وبدل أن تستغلوا تلك الفترة الـتي أتيحث لكم في خدمـة إخـوانكم في سـورية، وإعادتهـا إلى حضـن وطنهـا العـربي، رحتم تدعون إلى المزيد من التمرد فيها، بل رحتم تعلنون النفـير العـام، وتطالبون الجيوش بأن تتحرك لإبادة ما بقي من الشعب السوري.

أنتم مجرمون بكل المقاييس.. وكـل طفـل قتـل.. وكـل بيت هدم.. وكل مصنع سرق.. وكل قطرة بترول أخذتها أمريكا أو تركيا أنتم مسؤولون عنهـا يـوم القيامـة.. وسيسـجلكم التـاريخ مـع كـل الظـالمين الـذين لم يقـدموا في دنيـاهم سـوى الخـراب والظلم والدمار.

سورية.. ورفع الأقنعة

لقد شاء الله تعالى أن يجعل سورية والأحداث الكثيرة المرتبطة بها مدرسة لتمييز الخبيث من الطبيب، ورفع كل أقنعة الدجل والنفاق التي لبسها القوميون والإسلاميون والتقدميون والرجعيون والمتنورون والظلاميون.. كلهم ظهر بصورته الحقيقية التي كان يستعمل كل الوسائل لإخفائها.



أما القوميون الذين كانوا يصيحون كل حين بأنهم عرب، وأصحاب شهامة ونخوة، وأن لهم بحكم عربيتهم السلطة والسطوة، فقد فضحتهم سورية العروبة، حين تركوها لأعدائها، بل طعنوها في ظهرها، بل راحوا يجلبون لها كل مرتزقة الأرض ليدمروها، في نفس الوقت الذي باعوا فيه فلسطين بأثمان بخسة، وتركوها للحصار والجوع، بل رموا مقاومتها بالإرهاب والعنف لسبب بسيط، وهو كونها لم تصافح أمريكا ولا إسرائيل.

أما الإسلاميون، فقد راحوا يتخلون عن كل مشاريعهم التي كانوا يكذبون بها على أنفسهم وعلى الناس، ليضعوا لهم مشروعا

واحدا هو إسقاط الرئيس السوري البطل [بشار الأسد]، باعتباره الدكتاتور الوحيد في العالم، أما أولئك الملوك الذين يعبثون بتريلونات الدولارات، ويرمونهم بالإرهاب؛ فقد غضوا الطرف عنهم، وكأنهم أنبياء معصومون، أو أولياء محفوظون.

ولم تكتف سورية بفضحهم في هذا الجانب فقط، بل فضحتهم في مواقفهم من أمريكا وإسرائيل، وقد سمع الناس جميعا شيخهم الكبير كيف يتسول لأمريكا بأن تضرب سورية، ويخبرها بأنهم لن يفعلوا شيئا لإسرائيل.. ولمن شك في ذلك، فليذهب إلى قنوات الفتنة التي يديرها هؤلاء المرتزقة باسم الإسلام ليروا مقدار فرحتهم عند كل ضربة توجهها أمريكا أو إسرائيل لسورية، وكأنها ليست بلادا للإسلام، أو حاضرة كبرى من حواضره.

أما الغرب الكاذب المخادع الذي صدع التنويريون رؤوسنا بعدله ونظامه، فقد فضحته سورية وأزالت عنه كل أقنعة الدجل.. فهو يغض طرفه عن اليمن والجرائم التي تحدث فيها كل يوم، ثم يولي طرفه لسورية وللمسرحيات التي تعقد فيها كل حين، ثم يسارع إلى استعمال قوته من غير تحقيق ولا دراسة ولا رجوع للهيئات العالمية التي يكذب علينا كل حين باعتبارها شرعية دولية.

وحتى عوام الناس البسطاء البلهاء، فضحتهم سورية، فهم يتباكون على أي مكروه يحصل لأي فرد من جيشهم، ويقيمون الحداد عليه إذا أصابه أي مكروه، لكنهم في نفس الوقت، ونتيجة امتلائهم بما تمليه قنوات الفتنة ومشايخ الدجل، يفرحون لكل جندي سوري يقتل، متناسين أن ذلك البطل لم يفعل إلا ما يفعله كل جندي في الأرض من الدفاع عن وطنه، ومواجهة المشاريع التي تريد استعماره.

ولهذا كما نتألم لكل ما يحصل في سورية من مآس وآلام، نشكرها على أنها ميزت العقلاء من المغفلين، والمخادعين من الصادقين، والطيبين من الخبثاء، والرجال من أشباه الرجال.

فلا يقف مع سورية وجيشها البطل إلا الرجال، ولا يقف مع

أعدائها إلا أشباه الرجـال، أولئـك الـذين بـاعوا أنفسـهم للشـيطان الأكبر والصهيونية العالمية والرجعية العربية، وجعلـوا من عقـولهم مزابل لكل ما تمليه قنوات الفتنة والتحريض والتضليل.

سببان فقط لما يحصل في سورية

يتصور الكثير أن ما حصل في سورية ربيع عربي، وثورة تطالب بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وغير تلك الألفاظ والمصطلحات التي ضحك بها الإعلام المغرض على الذقون.



والحقيقة غير ذلك تماما، بل يستحيل أن تكون كذلك، فسورية كانت متطورة جدا في هذه المجالات، ولا يمكن مقارنتها بأكثر الدول العربية، وخصوصا تلك الممالك البترولية التي لا تعرف أبسط المبادئ الإنسانية، بل لا يزال يعيش ملوكها بمنطق شيخ القبيلة، أما شعوبها المسكينة فهي مطحونة، ومغيبة عن كل ما يجري على أرضها، لا تفعل سواء البكاء على ثرواتها التي تهدر، وأرزاقها التي يُتلاعب بها.

ولذلك فإن الذي يريد أن يعرف حقيقة المؤامرة التي ركبت لسورية، فعليه أن يراجع الواقع والتاريخ ليكتشف أن هناك سببين فقط لكل ما حصل:

أولهما وقوف سورية الواضح والصريح مع المقاومة بكل أنواعها، ومقاومتها للتطبيع بكل أشكاله، وفوق ذلك احتضانها للمقاومة الفلسطينية، وخصوصا حماس والجهاد الإسلامي، واللذين يعتبران إرهابيين عند أولئك الذين أعلنوا الحرب على

سورية.. فلولا سورية ودعمها لتلك الفصائل الفلسطينية لم تكن هناك مقاومة فلسطنية، ولم تكن هناك حماس ولا غيرها، وهذا ما أثار غيظهم، في مقابل رضاهم المطلق على الأردن بحكم تطبيعها مع إسرائيل، وعدم مساندتها للمقاومة.

والثاني عدم مساندتها للمؤامرات المحاكة ضد إيران ابتداء من الحرب العراقية الإيرانية، والتي خطط لها العرب بغية القضاء على الجمهورية الإسلامية الإيرانية في مهدها.. لكن سورية وقفت ضدهم في ذلك؛ فآلمهم ذلك.. وصاروا يستهدفونها كل حين إلى أن جاء الوقت الذي صبوا فيه جام غضبهم عليها.

ومنطق سورية الذي جعلها لا تعلن الحرب معهم على إيران منطقي وأخلاقي وشرعي.. فهو ينطلق من كون إيران الجديدة ذات التوجه الإسلامي تقف مع القضية الفلسطينية، وسورية مع كل من يقف مع هذه القضية..

هذان السببان ليسا من اختراعي؛ فقد صرح كبار ملوك وأمراء السعودية والخليج بذلك، وتصريحاتهم موجودة على النت.. فقد أعلنوا جميعا أن سورية لو تركت إيران؛ فستتوقف الحرب، وتعود الأوضاع إلى ما كانت عليه.. ولذلك هم لا يريدون من سورية إلا أن تكون فنادق لأهوائهم، وأهواء أعداء الأمة، أما تحولها إلى دولة ذات سيادة فهو ما يزعجهم، لأنه قد يصبح في يوم من الأيام أداة لقلع عروشهم.

سورية .. والبوصلة الأمريكية

كما نعرف جميعا، فإن البوصلة التي لا يمكن الاستغناء عنها أبدا في معرفة الاتجاهات، ليست قادرة في ذاتها على تحديد كل الاتجاهات، بل لها القدرة فقط على الإشارة إلى الاتجاه الشمالي للأرض.. ومن خلال ذلك الاتجاه يستطيع الملاحون وغيرهم التعرف على سائر الاتجاهات، وبدقة عالية جدا.



وهكذا الأمر بالنسبة لأمريكا التي يمكن اعتبارها بوصلة للشر، فحيث حلت أو رحلت كان الشر معها مصاحبا وملازما ورفيقا.

ولذلك كان على الذي أعجزه عقله عن تحديد الموقف المناسب في أي قضية وقع فيها الخلاف أن يرجع للموقف الأمريكي، ومن خلاله يبني موقفه.. وليس عليه أن يستثني، فقد يكون ذلك الاستثناء مصيدة للوقوع في حبال شرها.. والذي يستثني في مثل هذا يكون كالذي يتصور أن الشيطان يمكن أن يأمره بالخير، ولأجل الخير.. وليست أمريكا سوى شيطان من الشياطين.. بل شيطان الأكبر.

لكن الإسلاميين الذين يفعّلون عقولهم متى شاءوا ويعطّلونها متى شاءوا راحوا يقعون في فخاخ كيدها؛ فبعد أن كانوا ينادون

كل حين بمقاطعة البضائع الأمريكية نتيجة موقفها الداعم والمؤيد للكيان الصهيوني، بالإضافة إلى جرائمها الكثيرة في أفغانستان والصومال والعراق وغيرها من بلاد العالم الإسلامي، توهموا فجأة، ومن غير مقدمات أن البوصلة الأمريكية لم تعد بوصلة شريرة عندما تعاملت مع سورية بمنطق العدوانية والحرب والكراهية، واستعملت كل الوسائل لتركيعها؛ وعندما وجدت نفسها عاجزة، راحت لآبار بترولها تستولي عليها لتذيق الشعب السوري الجوع بعد أن لم تستطع أن تتحكم فيه كما تحكمت في سائر الشعوب.

ولم يكتف الإسلاميون بذلك التوهم، بل راحوا يؤيدون أمريكا في ضرباتها المختلفة على المراكز السورية الحساسة، بل كانوا يطلبون منها أن تمارس قتلا أكثر، ودمارا أكثر..

ولم يكتفوا بذلك أيضا، بل راحوا يمدون أيديهم إليها لتعطيهم أصناف الأسلحة ليجهزوا بها على دولتهم وإخوانهم ومؤسساتهم.

ولن ننسى أبدا تلك الخطبة التي لم يقع مثلها في التاريخ الإسلامي جميعا عندما راح القرضاوي شيخ الفتنة ودجالها يرفع أيادي الشكر والامتنان لأمريكا لأنها أمدت زعماء العصابات السورية بالمال والسلاح، ويطلب منها أن تقف وقفة لله، وتزيد في الدعم والمساندة، ليدعو الله لها أكثر.

ولن ننسى أيضا تلك المواقف المخزية التي جلسها الإخوان المسلمون في مصر، أو الاتجاه الإسلامي في تونس مع الشخصيات الأمريكية الكبرى، محاولين التقرب منها، لتحسين صورتهم وتلميعها، متصورين أن أمريكا هي التي تعز من تشاء وتذل من تشاء، وتهب الملك لمن تشاء، وتنزعه ممن تشاء.

ولن ننسى أيضا مواقف السلفية من أمريكا ومساندتهم لها ظاهرا وباطنا، حتى أن الشيخ عبدالرحمن السديس إمام الحرم المكّي وصف الرئيس الأميركي المجرم [دونالد ترامب] بأنه يقود العالم والإنسانية إلى مرافئ الأمن والسلام والاستقرار والرخاء، ودعا له بأن يسدّد الله خطاه ويبارك جهوده(1).

---

(1) وذكر أن السعودية والملك سلمان ووليّ العهد محمّد بن سلمان

متناسيا أن ترامب هو الذي قال ــ وفي مناسبات مختلفة ـ عن السعودية: (علينا حلب المملكة السعودية السمينة قدر الإمكان، وحين يصبح المشايخ الأثرياء عديمي الفائدة، يتوجب علينا مغادرة الشرق الأوسط)، وقوله: (السعودية ستكون في ورطة كبيرة، وستحتاج لمساعدتنا.. ولولانا لما وجدت، وما كان لها أن تبقى)

ولم تكن تلك مجرد كلمات؛ فالخزائن الأمريكية تستحوذ على ترليونات الدولارات السعودية، والتي كان في إمكانها ــ لو استثمرت في البلاد العربية ــ أن تجعل منها مراكز اقتصادية كبرى، وتجعل من السعودية رأس تلك المراكز وقطب رحاها.. ولما استطاع الأمريكي وبالقوانين المختلفة أن يهدد بأخذها جميعا.

لكن السديس وغيره من السلفيين والإسلاميين لا ينظرون لهذا، ولا ينظرون لتلك المئات من المليارات من الدولات التي توضع كل حين في الخزائن الأمريكية، ومع ذلك يظل اللص الأمريكي جائعا ومطالبا بالمزيد.

ومثل ذلك ينسى الإخوان المسلمون المسبحون بحمد قطر أن أكبر قاعدة أمريكية موجودة بالعالم هي قاعدة العديد الجوية، والتي انطلق منها العدوان الأمريكي على العراق وأفغانستان وسورية، وكل بلد يريد أن يخرج عن العباءة الأمريكية.

ومثل ذلك يتناسون أن الأسطول الأمريكي الخامس الموجود على سواحل البحرين هو الذي يستحوذ عليها وعلى قراراتها، ويتصورون أن التهديد الموجه للبحرين تهديد إيراني لا أمريكي، وأن دور الأسطول الأمريكي هو حماية البحرين، وقمع شعبها المظلوم.

ومثل ذلك يتناسون أن الشعب اليمني المظلوم الذي دمرت مؤسساته، وهدمت بيوته، وفتكت به الأمراض، لا يضرب إلا بتلك الأسلحة الأمريكية التي زود بها ذلك التحالف العربي المشؤوم

مشاركان مع ترامب في خدمة الإنسانية.

بقيادة السعودية.

ومع كل هذا نسمع أولئك المغفلين الذين يتصورون أنفسهم محللين استراتيجيين فوق العادة، يذكرون عكس ذلك تماما، فليست أمريكا عندهم صديقة للسعودية، ولا للقطر، ولا للبحرين.. وإنما هي صديقة لإيران.. ويذكرون أن إيران المجوسية الصفوية هي التي تتفق مع أمريكا ــ تحت الطاولة ومن وراء الكواليس ـ لضرب أهل السنة وتحويلهم إلى بقرة حلوب يشربون حلبيها، فإذا جف ذبحوه.

ولست أدري من أين لهم كل هذه العقول الجبارة التي تقرأ الأحداث على عكس مساراتها، وعلى عكس ما يظهر منها.. فهل إيران تلك المسكينة المظلومة تلك التي حوربت ثمان سنوات كاملة من أمريكا وداعميها العرب حليفة لأمريكا؟.. وهل كل تلك المقاطعات الاقتصادية والحصار الدائم لها مجرد لعب وضحك وسخرية؟.. وهل كل تلك التهديدات مجرد مدح وثناء مغلف في قوالب تهديد وسباب؟.. وهل صياح الإيرانيين كل حين بالموت لأمريكا، واعتبارها شيطانا أكبر مجرد مزاح ونكتة؟

لا أدري كيف يفكر هؤلاء، ولا كيف يضعون المقدمات، أو يستنتجون النتائج.. فهم يصورون سيناريوهات ممتلئة بالغرابة والعجب، فيذكرون أن الغرب ومن ورائه أمريكا قدم بالإمام الخميني ليستعمله لإبادة السنة.. والدليل الوحيد الذي يملكونه لذلك كله هو أن الخميني قدم إلى طهران في طائرة فرنسية، ولست أدري ما الضرر في ذلك، وهل كان عليه أن يأتي على ظهر بعير عربي، أو حمار خليجي؟

وهم يقولون ذلك متناسين أنه لا توجد علاقات بين أمريكا وإيران، ولا توجد سفارة، وأن أول ما فعله الخميني بعد أن مكن الله له في الأرض أن عوض السفارة الإسرائيلية بالسفارة الفلسطينية، ووقف موقف مشرفا جدا مع محتجزي الأمريكيين على الرغم من خطورة ذلك.. وبقي الأمر مدة طويلة، وبقيت إيران الجديدة تهدد كل حين بسبب ذلك.. ومع ذلك يتصور أولئك المغفلون من الإسلاميين أن كل ذلك مجرد تمثيلية.

وكل هذا كان سبب كل فشل يقعون فيه.. فالإسلاميون لا يخطئون فقط في ممارساتهم الدعوية، ولا سلوكاتهم السياسية، بل يخطئون أيضا في أبسط تحليلاتهم.. لأنهم ينطلقون من الأهواء، والتفكير الرغبوي الذي لا حظ له من عقل أو دين.

أسرار قوة النظام السوري

إن أي عاقل ينظر إلى النظـام السـوري، وكيـف أدار المحنـة التي ألمت به منذ سنوات طويلة، يمتلئ بالعجب، خاصة إذا قارناه بتلك الأنظمـة الهشـة الـتي تسـقط سـقوطا حـرا بمجـرد حـوادث بسيطة، أو تنقلب رأسا على عقب عن كل مـا كـانت تـؤمن بـه أو تمارسه.



على عكس النظام السـوري، الـذي مهمـا اختلفنـا معـه، فلن نختلف أبدا في كونه نظاما متماسكا محكمـا قويـا، لدرجـة أن كـل قوى الشر اجتمعت عليه، ولم يتأثر، ولم يـتزحزح عن مبادئـه قيـد أنملة، بخلاف خصـومه من المعارضـة أو من الـدول الـتي تمونهـا، والذين يغيرون آراءهم كل حين.

وهـذا مـا يـدعونا إلى التسـاؤل عن سـر قـوة هـذا النظـام، للتعرف على الحقيقة ـ أولا ـ بكل موضوعية ومصداقية، ولنسـمي الأشياء ـ ثانيا ـ بأسمائها الحقيقية، لا بأسمائها المـزورة، ولنعتـبر ـ ثالثا ـ من كل ذلك حتى نؤسس في بلادنا لأنظمة قوية، ليست لها القابلية للاستعمار بكل أنواعه.

ومن خلال استقراء الواقع السوري في هذه الفترة، نجد أربع

نواح كان لها دورها الكبير في تماسك النظام وقوته:

أولا ــ مصداقية النظام في طروحاته: فالنظام السوري قبل المحنة وبعدها كان صادقا مع شعبه، وقد وفر له كل ما يمكنه من خدمات بحدود الإمكانيات المتاحة له.. وكان قبل ذلك قد وفر لطبقة كبيرة من شعبه ــ إلا من شذ منهم ــ من الوعي الصحيح ما جعلهم يفطنون للحرب الناعمة التي دبرت لهم.

ولهذا لم تبدأ المظاهرات إلا في تلك المناطق التي كان لها بعض الولاء لدول الخليج أو كان لها علاقة بالحركات الإسلامية.. أما المناطق الكبرى كدمشق وحلب وغيرهما، فقد كانت حاضنة قوية للنظام.. ولذلك ساهمت مساهمة كبيرة في الحفاظ عليه، واستمراريته.

بالإضافة إلى ذلك، فإن النظام السوري، ومع أول بوادر المحنة كان قد دعا إلى الجلوس إلى طاولة الحوار، بل فعل ذلك، وغير بعض المواد الدستورية التي كانت تشكل عقبة عند دعاة الفتنة، وأصبح الدستور بعدها دستورا يحمل كل مضامين العدالة التي لن تجد المعارضة أفضل منها.

لكنها لم تقبل به، لا لكونه لا يخدم مصالحها، وإنما لأن الجهات التي تمونها، والتي لم تكن تملك دساتير أصلا كانت هي المحرك لها، والذي يدعوها إلى عدم قبول أي حوار مع النظام.

وهذا ما أعطى قوة أخرى للنظام السوري، فالقوي هو الذي يدعو إلى الحوار، ويتحدث بلغة المنطق والعلم والعقلانية، بينما العاجز هو الذي لا يعرف إلا لغة الهجر والسب والشتم والقطيعة.

ولهذا تمكن النظام السوري من رمي الكرة في ملعب خصومه كما يقال، بتلك الخطابات الهادئة العقلانية التي يدعوهم فيها كل حين إلى خلع عباءة الغرب والتدخل الخارجي، والتحول إلى معارضة وطنية داخلية، لا تستمد شرعيتها إلا من شعبها.

بل إنه فوق ذلك، وفي ظل المحن الكثيرة التي مر بها،

أجـرى مجموعـة انتخابـات برلمانيـة ورئاسـية، وطـالب الهيئـات الدولية بالحضور والمراقبة، وطالب المعارضـة بالمشـاركة مـع أن أي دولة في ظل هذه الظروف تحكّم قوانين الطـوارئ المشـددة، ولا تدع شعبها يقوم بأي حركة، لأن الأمن القومي أهم من الحرية، ومن كل شيء.

وفوق ذلك كان يدعو المتظاهرين إلى إجـراء انتخابـات حـرة ونزيهة، وتحت إشراف دولي، يضعون فيها أسـماءهم، ويضـع فيهـا الـرئيس السـوري اسـمه، ويُـترك الخيـار بعـدها للشـعب، لكن المعارضـة كـانت تـرفض ذلـك، بـل كـان رؤسـاء فرنسـا وأمريكـا وإسرائيل وأذنابهم من ملوك العرب، يرفضون ذلك، ويطلبـون من الـرئيس التنحي، وأن يخـرج من اللعبـة، وكـأنهم يصـادرون بـذلك حرية الشعب السوري في اختيار من يشاء.

وفوق ذلك كله، فإن النظام السوري كـان يـدعو المغـرر بهم من الذين حملوا السلاح، بأن يضعوا أسلحتهم، ويلتحقـوا بشـعبهم، وحيـاتهم العاديـة، من غـير أن يحصـل لهم شـيء، أو يعـاقبوا بـأي عقوبة.

وهذا كله أعطى مصداقية لهذا النظام، لأن الحق أكبر من أن يقهره الباطل، والحجة أكبر من أن تردها الأوهام.

ثانيا ـ قـوة الرجـال الـذين بـني عليهم: فقـوة الدولـة بقوة رجالها ومؤسساتها، وقد عرف النظام السـوري، ومنـذ فـترة طويلة كيف يختار رجاله الأكفاء في كل مؤسسة من المؤسسات، ولهذا لم نر انشقاقات مثل التي حصلت في ليبيا، فكل السفارات بقيت سورية الولاء، ومندوب الأمم المتحدة، كان هو البطل الـذي استطع أن يقهـر كـل قـوى العـدوان على بلاده.. ووزيـر الخارجيـة كان أسدا في كل المحافل الدولية.

وهكـذا اسـتمرت الدولـة على الـرغم من الحصـار الشـديد، والحرب القاسية، والتشويه الإعلامي، والتحريض الـدولي.. بـل إن المحنة أخرجت لنا نماذج بشرية عالية الجودة، تحتـاج إلى دراسـة علمية متينة.

وأولهم الرئيس السوري نفسه، والـذي ادعت المعارضـة أنـه هدفها الوحيـد، مـع أن الهـدف الحقيقي هـو أمن سـورية ووحـدتها وسيادتها، وجعلهـا ذيلا من ذيـول الغـرب، وحديقـة خلفيـة لـنزوات أمراء العرب الشاذة.

وقد كان الـرئيس السـوري في مقدمـة الأبطـال الـذين ثبتـوا على الرغم من كل التهديدات التي تعرض لها طيلـة هـذه الفـترة، لكنه لم يرضـخ للتهديـدات وبقي مواطنـا سـوريا صـلبا يـدافع عن بلاده، ويتحــاور مــع الجهــات المختلفــة، بــل يخــرج إلى الثكنــات والجبهات ليعطي المزيد من المعنويات لجيش بلاده.

وقد كان في إمكانه أن يحمل مـا شـاء من الأمـوال، ويهـرب لأي بلد من بلاد العالم، ليعيش حياته الطبيعية، مثلمـا فعـل الكثـير من رؤساء العالم الذين حصل لهم بعض ما حصل له.

لكنه كـان أسـدا هصـورا، لا يـتزحزح، لأنـه يعلم أنـه إن فعـل ذلك، فستنقسم بلاده، وسيهدد أمنها، وسيطمع فيها أعداؤها..

ثالثا ـ قوة التحالفات ومصـداقيتها: فالنظـام السـوري منذ فـترة طويلـة كـان يعي جيـدا أن أمريكـا شـيطان أكـبر، وأنهـا مجرد مقامر وتاجر، ولا تريد مصـلحة الشـعوب، لـذلك نفـر منهـا، ولم يقم أي تحالفات معها، على عكس ما فعلت دول الخليج الـتي تحولت إلى أبقار حلوبة، لا تسقي بحليبها شعبها، وإنما تسـقي بهـا أفواه الأمريكيين والبريطانيين والفرنسيين، والتي لا تشبع أبدا.

وبدل تلك الوجهة تحـالف مـع جهـات تحـترم المستضـعفين، وفي نفس الوقت لها عداء شديد مع أمريكا، ولذلك كـان التحـالف معها لا يخدمه فقط، وإنما يخدمها أيضا..

وقد كان على رأس تلـك التحالفـات روسـيا وإيـران.. فكلاهم مهـددان من أمريكـا، وكلاهمـا تعلن الحـرب عليهمـا من طرفهـا، ولهذا كان استناده إليهما استنادا إلى ركن متين يـؤمّن لـه المزيـد من القوة، ويدعّمه بدعم سياسي يحميه في المحافل الدولية.

وفوق ذلك أقام تحالفات قوية مع جبهـات المقاومـة اللبنانيـة

والفلسطينية، وكل قوى التحرر، ولهـذا كـانت سـنده المعنـوي بـل المـادي عنـدما احتـاج إلى ذلـك.. بخلاف خصـومه الـذين كـانت تحالفـاتهم مـع القاعـدة والنصـرة وداعش، والـتي زادتهم تشـويها على التشويه الذي كانوا عليه.

رابعا ـ ضعف خصومه وولاءاتهم المتعـددة: وهـذا من أكبر ما أعطى للنظام قوى مضاعفة، فخصومه لم يتفقوا في يـوم من الأيـــام في أي مســـألة من المســـائل، ففيهم الليـــبراليون المتحـــررون، وفيهم المتـــدينون المتشـــددون، وفيهم من يريـــد أن يقيم علاقـات مـع إسـرائيل، وفيهم من يريـد أن تتحـول بلاده إلى محافظة خليجية.. وهكذا كانوا مختلفين اختلافا شديدا.

وقد حاولت كل دولة أن تلم شتاتهم، فلم تستطع.. ولهـذا لم يستطيعوا أن يسـموا رئيسـا واحـدا يمثلهم، أو ينـوب عن الـرئيس السوري في حال اعتزاله.. ولم يستطيعوا أن يتفقوا على الدستور الذي يحكم البلد.. بل كانت الحـرب بينهم شـديدة جـدا، حـتى مـع الفصائل المتقاربة نفسها.

ونحن نشاهد على القنوات الفضائية تلـك الحـروب الشـديدة بين داعش والنصرة، أو بين جيش الإسلام وفيلق الـرحمن، أو بين غيرها من الفصائل.. مع كونها جميعا ذات توجه إسلامي.

وهكذا كـان الخلاف بين القـوى السياسـية الـتي يتهم بعضـها بعضا بالعمالة.. مـع أنهم جميعـا عملاء، فكلهم يقبضـون مرتبـاتهم من الدول التي تحركهم، والتي تحولوا بسببها إلى مجرد عــرائيس قراقوز لا إنسانية لهم، ولا قيم تحكمهم.

البترول السوري.. والأربعون لصا

من الحكايات الـتي سيسـجلها التـاريخ بـأقلام من دمـاء وألم حكاية البترول السوري، ذلك البترول الذي لم يكن يملكه الأمـراء، ولا السلاطين، ولم يكن ريعه يخزن في بنوك أمريكا ولا سويسـرا، وإنما كان مخصصا لأطفال سورية وشبابها وشعبها.. وكـان وسـيلة لسد سغب المحتاجين الذين يضـعون كـل قطـرة منهـا في محلهـا المناسب.



وبعد أن رأى الأربعون لصا ذلك الشعب الهادئ الهانئ القــانع بما آتاه الله من رزق، راحوا يتآمرون عليه، حتى لا يدعوا لـه شـيئا مما أفاضه الله عليه من فضله.

ولم يكن دافع أولئك اللصوص الأربعون فقـرا ولا حاجـة حـتى يدافع عنهم المحامون، أو يبرر لهم من تعودوا أن يبرروا الجــرائم، ويجدوا المسالك لأصحابها، فقد كان الكل غنيا، بل كان الكل يملك من آبار البترول ومناجم الذهب وخزائن الأموال ما تتضاءل أمامــه كنوز قارون وأمواله.

وكان على رأس أولئك المتآمرين اللص المسـمى [الشـيطان الأكبر] الذي لم يكن يرتاح لأي شعب أو سلطة لا تخضع لســيادته، أو ترســل لــه عــرابين الــولاء، ومعهــا الإتــاوات وأنــواع الجزيــة المشفوعة بالتقديس والتعظيم.

ولذلك أمر كل زبانيته من اللصوص بأن يستعملوا كـل الحيـل لسرقة جميع آبار البترول السورية، وبشـكل هـادئ لا يثـير غضـب أي جهة من الجهات.

وقد كان من أولئك الزبانية بنو عمومة للشـعب السـوري، لم يراعوا حق قرابته ولا الرحم الـتي تصـل بينـه وبينهم،لأنهم سـلموا أنفسهم للشيطان الأكبر، وراحوا يتآمرون معه على إخوانهم وبـني عمومتهم.

ولذلك سرعان مـا أذعنـوا لمـا طلبـه الشـيطان الأكـبر.. ومـا أسرع ما وجدوا الأدوات الـتي تنفـذ لهم مـا يريـدون من لصوصـية هادئة نظيفة لا تترك خلفها أي أثر.

وقـد تمثلت تلـك الأدوات في أولئـك الرجـال الـذين يرتقـون المنابر، ويصلون بالناس في المحاريب، لكن قلوبهم قلوب ذئــاب، وعقـــولهم عقـــول عصـــافير.. ولا دين لهم إلا دين ملـــوكهم وسلاطينهم.

وقد راح هؤلاء الدجالون الذين يلبسون جلود الضأن وقلـوبهم قلوب ذئاب، يستعملون كل ألوان الخدع والمكر لتوفير أكـبر عـدد من اللصـوص وإرسـالهم إلى أرض سـورية، بحجـة تطهيرهـا من الكفرة والزنادقة..

وكانت الهجمة ثقيلـة على سـورية وعلى آبـار بترولهـا.. حيث اسـتطاع اللصـوص بعـد جهـد جهيـد أن يصـلوا إليهـا، ويمتلكوهـا.. وحينها راحوا يبحثون عمن يبيعون له ذلـك البـترول، وسـرعان مـا وجدوه في ذلك السلطان الذي يريد أن يحيي السلطنة باستبدادها وجبروتها وظلمها.. وهي تحتاج أموالا كثـيرة.. ولـذلك راح يشـتري منهم ذلك البـترول بـأبخس الأثمـان ليطعم شـعبه المـال الحـرام، ويكتسب بسبب ذلك مدحهم وثنـاءهم، لأنـه اسـتطاع أن يخلصـهم من أزمتهم الاقتصادية بانضمامه للصوص الأربعين.

وبعد أن انهارت تلك الرايات السوداء المظلمة، وبدأ الشـعب السوري بجيشه الباسـل يسـتعيد أرضـه وخيراتـه.. جـاء الشـيطان الأكبر بمعونة الشياطين الصغرى، ومعه كل أصناف الأسلحة ليمنع

السوريين من بترولهم وخيراتهم عقوبـة لهم على تحـررهم وحبهم لوطنهم وعدم خضوعهم له.

وبقي الشيطان الأكبر يسيطر على تلك الآبار.. وكـان لا يأخـذ ريعها فقط، بل يأخذ من بني عمومة الشعب السـوري من الخونـة إتاوات ضـخمة حـتى يجـوع الشـعب السـوري، ويعيش كـل ألـوان الألم عقوبة على عدم خضوعه.

هذه بداية القصة.. أما نهايتها.. فهي أن كل لص وطئت رجلاه أرض سورية، سيلعنه التـاريخ، وتلعنـه الأيـام، ويمـوت شـر موتـة، ويعود البترول لأهله، وتعـود سـورية لأهلهـا، ولن ينـال الشـرف إلا من وقـف معهـا بسـيفه وقلمـه ولسـانه، ولن ينـال الخـزي إلا من وقف ضـدها، ولـو بقلبـه، فسـورية لا تـرحم أعـداءها، ولا تتسـامح معها، لأنها رمز للعدالـة، وأعـداؤها رمـز للظلم والجـور، {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [آل عمران: 57]

من سرق مصانع حلب؟

من أراد أن يعـرف بعض أسـباب الصـراع الـذي جـرى في سـورية، ويحقـق فيـه تحقيـق الصـادق، لا الكـاذب أو المخـادع، فليبحث في تاريخ حلب قبل الفتنة وبعدها.. ليرى حقيقة ما حصـل في سورية، وهل كان ثورة وربيعا عربيا، أم كان مـؤامرة إجراميـة خطيرة، أشرفت عليها عصابات من الشياطين، ثم راحوا يـدفعون رشـاوى لرجـال الـدين والإعلام ليسـتروا على جـرائمهم، ويحولـوا الضحية مجرما، والمجرم بطلا.



كانت حلب الشهباء ـ كما يطلق عليها ــ قبـل تلـك المـؤامرة الإجراميـة أكـبر المحافظـات السـورية من حيث تعـداد السـكان، وكان فيها علماء وصوفية كثيرون، وهي مشـهورة في جميـع البلاد العربية بأناشيدها الصوفية الممتلئة بالرقة والعذوبة والجمال.

وكان لها مع ذلك العلم والروحانية نشـاط تجـاري واقتصـادي كبير، ولم تكن تستورد الصناعة كما تفعل الكثير من البلاد العربية، بل كانت تنتجها، وكان منتوجها يصل إلى مناطق كثيرة في العالم، بمـا فيهـا الجزائـر، حيث كنـا نتوافـد على منتوجاتهـا المتقنـة والمصممة بتصاميم غاية في الروعة.

وقد كانت كل تلك الصفات الـتي تتـوفر عليهـا محـل إعجـاب الكثير، حتى قال نزار قباني فيها:

كل الدروب لدى الأوربيين توصل إلى روما

وكل الدروب لدى العرب توصل إلى الشام

وكل دروب الحب توصل إلى حلب

ومن مزايا أهل حلب أنه عند بدأ الفتنة، كان لهم من الوعي ما أبعدهم عنها؛ فلم يخرجوا في مظاهرات، ولم يرفعوا شعارات المطالبة بسقوط النظام.. حتى أن محمد حسنين هيكل قال لمذيع الجزيرة حينها: ما دامت دمشق وحلب لم تتظاهرا، فلن نتجح الثورة التي تحرضون عليها.. وذكر له أن حلب هي مستودع سكاني ضخم، وبالتالي هي الأولى بأن تمثل سورية لا غيرها من المناطق محدودة السكان.. والحديث موجود على النت لمن يريد أن يشاهده، ليتحقق من حقيقة ما جرى..

لكن المجرمين واللصوص الذين اتفقوا على أن يحولوا من سورية كعكعة يتقاسمونها، راحوا يرسلون بأولئك الحمقى المغفلين، وبأسلحة متطور جدا، إلى حلب وغيرها، وسرعان ما تحول جزء كبير من حلب إلى مقاطعة من مقاطعات القاعدة والنصرة وداعش وجيوش قطر والسعودية وغيرها، لتقام فيها الدولة الإسلامية الوهابية، بدل دولة الصوفية التي كانت قائمة بها.

وعانى الحلبيون الأمرين، خاصة وهم يرون مصانعهم تنهب، وأضرحتهم تدمر، وبشرهم يقتلون..

وكان لتركيا الطامعة في سورية اليد الطولى في ذلك، فقد ذكرت التحققات[1] التي جرت قبل بضع سنوات، أنه نقل نحو 1500 مصنع من حلب إلى الأراضي التركية تشمل صناعات النسيج والأقمشة والملابس الجاهزة والأحذية والأدوية وغيرها، وكان ذلك سببا لتشريد الكثير من العمال، وخروجهم من سوريا، ليصبحوا متسولين في شوارع المدن العربية، ولتستفيد الصناعة التركية من القدرات الحلبية، وفي نفس الوقت تتخلص من

---

[1] انظر: مقالا بعنوان: آلاف المعامل في حلب سرقها الإرهابيون بتنسيق وإشراف مخابرات السفاح أردوغان، سائد الراشد، جريدة الثورة، بتاريخ : 18-12 -2016.

المنافس القوي لها.

وكـان قـد سـبق ذلـك تـدمير الصـناعة السـورية في حلب، بافتعال الحرائق ليتم تشريد آلاف العمال الذي كـان معظمهم من أريـاف إدلب لتقـذف بهم إلى رصـيف البطالـة، فتتلقّفهم كتـائب المجموعات الإرهابية مقابل راتب موعود، يموّل عبر خطف ونهب صناعيي وتجار حلب ومهنييها.

ثم تـوالت عمليـات الاسـتيلاء على المعامـل ونهبهـا وخطـف الصناعيين لتكرّ السبحة بعد ذلك بخطـف المئـات من أثريـاء حلب وأطبائها وأبنائهم وبناتهم مقابل الفدية، وقطع الطرقـات، وتوقّـف السكك الحديدية وأنـابيب المشـتقات النفطيـة، وتعـرّض القوافـل التجارية التي تحمل المواد الأوليـة والسـلع المصـنعة للنهب، لتبـدأ مرحلة دفع [الخوات] لمتزعمي الإرهابيين، اتقـاءً لحرقهـا ومقابـل عدم التعرض لها أو لأصحابها.

وقد حصل هـذا كلـه بـالتزامن مـع فتح الحـدود التركيـة على مصـراعيها للإرهـابيين والسـلاح، ولتبـدأ بالتصـاعد الهجمـات على المعامل والمنشآت وفرض الأتاوات على أصـحابها، والسـطو على الأملاك الخاصة والعامة على محور حلب ـ إعزاز.

هذا ما فعلته تركيا الجارة الصـديقة والشـقيقة، والـتي يسـبح الإخوان المسـلمون وغـيرهم بحمـدها صـباح مسـاء، ويـذكرون أن أردوغان بكى عندما سمع القـرآن.. وعنـدما مـر بيـتيم مسـح على رأسـه.. وعنـدما رأى علم بلـده في الشـارع مرميـا مسـح عليـه ووضعه في جيبه..

ويضحكون على الذقون بمثل هذه الكلمات، وينسون كل تلك الجرائم التي تسبب بها لحلب المظلومة المسكينة..

ولم تنته المسرحية عند هذا الحد.. بل إنه عندما أراد النظـام السـوري أن يسـتعيد حلب، وهـو حـق شـرعي وطـبيعي وأخلاق، واستعمل الوسائل المتاحة لذلك، قامت قيامة العـالم، وذكـروا أن بشـارا يقتـل شـعبه، من غـير أن يحققـوا، ولا أن يبحثـوا في الأسـباب.. متناسـين أن الجميـع، وأولهم تركيـا كـانت تطمح لضـم

حلب إليها، أو إخراجها عن سورية، ليبتر عضو مهم من أعضاء سورية.

فتعسا للمجرمين الذين دمروا حلب وسرقوها.. وتعسا لأولئك الذين لا يزالون يغلقون عيونهم، ويصمون آذانهم عن الحقيقة.. وهنيئا لدماء شهداء الجيش السوري وحلفائه الأبطال الذين رووا بدمائهم أرض حلب حتى خلصوها من المجرمين.

اللاجئون السوريون.. مسؤولية من؟

من التهم الباطلــة الــتي يوجههــا الإعلام المغــرض للنظــام السوري كونه سبب تلك الأمـواج البشـرية الـتي تخـرج من مـدنها وقراها السورية، لتتوجه إلى منـاطق كثـيرة من العـالم ابتـداء من الدول العربية، وانتهاء بالدول الأوروبية وغيرها من دول العالم.

وهو يتفنن في تصوير مظلومية تلـك الأمـواج، موجهـا أصـابع الاتهام دائما إلى الدولة السورية ومؤسساتها، وخصوصـا جيشـها.. وكأنه هو الذي قام بطرد أولئـك المواطـنين من غـير محاكمـة، ولا أي إجراءات قانونية أو أخلاقية.



وكل هذا كذب وزور، ولعب بالعواطف، ولا يمكن للعقل الذي يحترم نفسـه أن يصـدقه.. ذلـك أن كـل أولئـك الـذين يفـرون من طاحونة الحرب القاسية، كانوا ـ وبـإقرارهم وشـهادتهم ــ ينعمـون قبلها بـأمن واسـتقرار كبـيرين، وكـانت لهم وظـائف وحيـاة عاديـة كسائر الشعوب.. وما حصـل لهم لم يكن سـوى وليـد تلـك الفتنـة التي دبرت بليل لسورية، لتحولها من دولة ذات سيادة إلى دويلات تابعة للشيطان الأكبر وأذنابه وأذياله.

ولذلك فإن اسـتقراء أحـوال أولئـك اللاجـئين، والتعـرف على سبب ما حصـل لهم، لا يخـرجهم عن هـذه الأصـناف الثلاثـة، الـتي

يمكن اكتشافها بسهولة من خلال القرآن الكريم:

الصنف الأول: المستضعفون الذين لا طاقة لهم بمواجهة الإرهاب الذي حل ببلادهم، ولم يتمكنوا في نفس الوقت من الدخول إلى مدن سورية أخرى، ولذلك اضطروا إلى الخروج إلى الدول المجاورة أو غيرها، حتى يأمنوا على أنفسهم، وهؤلاء معذورون في ذلك.. وقد أشار إليهم القرآن الكريم في مواضع منها قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا} [النساء: 75]

فهذه الآية الكريمة تذكر أن من أسباب خروج أولئك المستضعفين هو كون القرية قرية ظالمة.. وبما أن أولئك المستضعفين كانوا يعيشون حياة عادية قبل أن يحل ما حل بهم.. فالظلم الطارئ عليهم لم يكن بسبب الدولة التي تحكمهم، وإنما بسبب الإرهابيين الذين تولوا ذلك.

إما مباشرة، بممارسة العنف والظلم والقتل لسكان تلك القرى والمدن، مثلما تدل على ذلك المشاهد الكثيرة التي يبثها الإعلام المغرض نفسه، والذي نرى فيه الإرهابيين يقومون ببث الرعب في نفوس السكان، ليتركوا بيوتهم وأملاكهم؛ فيقوموا هم بالاستيلاء عليها.

أو بطريقة غير مباشرة، وذلك عن طريق التترس والتحصن بهم في مواجهة الجيش السوري، ليستفيدوا من ذلك أمرين: أولهما حماية أنفسهم، والثاني تشويه الجيش السوري، باعتباره يقتل المدنيين، وينسون أنه لولاهم، ولولا احتلالهم لتلك المناطق، لما أطلق الجيش السوري طلقة واحدة، ولما هدم بيتا واحدا، كما كان ديدنه قبل هذه الحرب المعلنة.

لكن العقول القاصرة التي لا تفكر، تستسلم لعواطفها وأهوائها، فتتهم الجيش البطل الذي يحارب الإرهاب والعنف والظلم، وتترك الظلمة، بل تدافع عنهم، مع أن الجيش السوري

وحلفاءه لم يطبقوا في جهادهم للظلمة سوى ما أمر الله تعالى به في قوله في الآية السابقة: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا} [النساء: 75]

الصنف الثاني: المؤيدون للإرهاب، والذين قاموا بحرب دولتهم، أو استضافوا الإرهابيين واحتضنوهم طمعا في مكاسب يحققونها، ولكن بعد أن تبين لهم خواء جعبتهم، وحقيقتهم المرة، راحوا يفرون من بلادهم، وقبلها من قراراتهم الخاطئة التي اتخذوها.

وهؤلاء مدانون في كل أحوالهم، وهم يتحملون كل ما حصل لهم.. لأنهم ظلمة لا مظلومين؛ فلولا وقوفهم مع الإرهاب، وحضانتهم له، لما استطاع أن يدخل إلى بلادهم وقراهم، والعبرة لهم في ذلك بتلك المدن التي لم يستطع الإرهابيون ـ رغم الجهود الكبيرة التي بذلوها ـ في الدخول إليها، مثل الفوعة وكفريا، تينك البلدتان الموجودتان في ريف إدلب الشمالي، والتي يضرب المثل بصبرهما على معاناة الحصار الخانق الذي فرض عليهما مدة طويلة، ومع ذلك لم يستسلموا رغم أنه لم يخلو يوم واحد من قصف أو قنص أو محاولة اقتحام على المحاور المختلفة في محيط البلدتين [1].

ومثلهما نبل والزهراء الموجودتان بشمال حلب، واللتان تعرضتا لحصار طويل بعد أن استولى الإرهابيون على غالبية الريف الشمالي في 2012.. ومع ذلك لم يستسلموا بل ظلوا يقاومون إلى أن حقق الله لهم النصر.

فهؤلاء هم المواطنون الحقيقيون الذين يمثلون الشعب السوري البطل، وهم الجديرون بكل ذلك الثناء الذي ورد في النصوص المقدسة على الصابرين المحتسبين المرابطين، وقد ورد في الحديث قوله ﷺ: (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف

1) انظر مقالا بعنوان: الفوعة وكفريا… توأم الحصار والجهاد.

يوم فيما سواه من المنازل)(1)

وقال ﷺ: (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان)(2)

الصنف الثالث: الانتهازيون الذين كانوا يحلمون بالذهاب إلى أوروبا وأمريكا وغيرها، مثلما يفعل الكثير في سائر دول العالم، وهؤلاء استغلوا الفرصة، وصوروا أنفسهم مظلومين حتى ينالوا حقوق اللاجئين السياسيين، مع أنهم لا لاجئون، ولا سياسيون، وإنما هم انتهازيون، وبراغماتيون لا يفكرون إلا في أنفسهم ومصالحهم.

وقد شهدنا مثلهم في بلادنا أيام الفتنة في الجزائر، حيث كان الكثير يهرب إلى أوروبا تحت شعار اللجوء السياسي، وهو ليس سوى نوع من الفرار من أداء واجبه نحو بلاده في مواجهة العنف والإرهاب، ونوع من التثاقل إلى الدنيا، وهؤلاء يعتبرون من الفارين من الزحف، لأن الأصل أن يقفوا مع جيش بلادهم في مواجهة الإرهاب.

ولا يستثنى من هؤلاء إلا من خرج من بلده فارا بنفسه، لا ليركن للدنيا، وإنما ليدافع عن بلده بالطرق التي يستطيع، كما قال تعالى { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16) } [الأنفال: 15، 16]

وهكذا نستطيع من خلال العودة لمصادرنا المقدسة أن نتبين

---

1) رواه الترمذي رقم (1667) في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط، والنسائي 6 / 40 في الجهاد، باب فضل الرباط.

2) رواه مسلم رقم (1913) في الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل، والترمذي رقم (1665) في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرباط، والنسائي 6 / 39 في الجهاد، باب فضل الرباط.

الأبيض من الأسود، وأن نميز بين الطيب والخبيث.. لكن العقول المعطلة للأسف تعرض عن هذه المصادر، وتلجأ إلى المصادر المدنسة الممتلئة بالخبث والزور والبهتان، لتكمل الأدوار التي يقوم بها الأرهابيون ومن يحركهم من شياطين الجن والإنس.

لماذا يستهدف الجيش السوري؟

هذا السؤال الوجيه هو أول سؤال يخطر على بـال أي عاقـل ليفهم جيدا ما يجري في الواقع، وقبل أن يجيب عليـه لا يمكنـه أن يفهم أبدا ما يجري من أحداث على أرض سورية الحبيبة.. ذلك أن لهذا الجيش، وفي تلك المنطقـة الحساسـة من العـالم الإسـلامي خصوصيات كثيرة جعلته مستهدفا دون سائر الجيوش العربية.



فالجيش السـعودي لم يسـتهدف في يـوم من الأيـام، بـل إن أمريكا وأوروبـا تتنافسـان على تسـليحه بكـل أنـواع الأسـلحة، بـل تستعمله وسيلة لكسب الأمـوال الكثـيرة، والقضـاء على البطالـة، وتدخره لأي فتنة تريد إيقاعها في أي بلد إسلامي، كما يحصل الآن في اليمن.

والجيش الأردني، لم يستهدف لأن قيـادة بلـده تقـوم بتطـبيع مع إسرائيل، تجعلها في مأمن من كـل فتنـة، فصـمام الأمـان هـو العلاقة مع أمريكا وإسرائيل، وأذنابهما في المنطقة.

والجيش التركي لم يستهدف، لعلاقتـه الوطيـدة بالنـاتو؛ فهـو رابع أقوى جيش في حلف الناتو، بالإضافة إلى ذلك، فإن له علاقة استراتيجية كبرى وقديمـة مـع إسـرائيل، وهـو كـذلك لم يقم بـأي

حرب في وجهها، فالعلاقات بين إسرائيل وتركيا تأسست عام 1949 عندما أصبحت تركيا تعترف بدولة إسرائيل، ومنذ ذلك الوقت، أصبحت إسرائيل هي المورد الرئيسي للسلاح لتركيا، وحصل بينهما الكثير من التعاون في المجالات العسكرية، والدبلوماسية، والاستراتيجية، وغيرها.

وهكذا نجد الكثير من الجيوش لم تستهدف لهذه الأسباب.. إلا الجيش السوري، وهذا يدعونا إلى التساؤل عن سر ذلك.. وعند البحث الموضوعي عنه، نجد ثلاثة أسباب كبرى[1]:

أولها.. أنه الجيش الذي لم يغب عن أي حرب وقف فيها العرب ضد إسرائيل ابتداء من حرب 1948 (الحرب العربية الإسرائيلية)، ومرورا بحرب 1967 (حرب حزيران أو حرب الأيام الستة)، وبعدها ما يسمى بحرب الاستنزاف (ضد إسرائيل)، وانتهاء بحرب تشرين التحريرية (حرب أكتوبر) عام 1973.

وفي كل هذه الحروب بذل الدماء الكثيرة وقدم التضحيات الكثيرة، وحقق الانتصارات الكثيرة، وحمى الأمة من مشروع إسرائيل الكبرى الذي لم يكن يطمع فقط بفلسطين، بل كانت عينه تمتد لكل دول المنطقة.

أما ما حصل من هزائم لتلك الجيوش؛ فهو لا يتحملها، والجيش لا يحاسب على الهزائم، وإنما يحاسب على القعود وعدم المواجهة.. وإسرائيل كانت أكثر تطورا في المجال العسكري، وكان معها أمريكا وأوروبا وتركيا.. وجميع البلاد التي تشن الحرب الآن على سورية وجيشها البطل.

وثانيها.. أن هذا الجيش، وإن توقفت حروبه مع إسرائيل إلا أنه لم ينه المعركة معها؛ فقد استفاد من تجاربه السابقة، وهو لا يريد أن يخوض معها استعراضا عسكريا، ومجازفة غير محسوبة، ولهذا راح يحضر نفسه ليوم الملحمة الكبرى، وعقيدته المقاومة لا

---

1) انظر المعلومات الواردة هنا من مقال بعنوان: محطات من البطولة والتضحية دفاعاً عن الوطن ووحدته..وملاحم تاريخية في دحر الإرهاب، مقال بجريدة الثورة، 1-8-2016..

تزال هي نفس العقيدة، وهذا ما يغضب أعداءه الذين يريدون منه أن يصير حرسا ملكيا، مثل جيوش الدول المجاورة.

وثالثها.. أن هذا الجيش كان حليفا للمقاومة بكل أطيافها وألوانها حتى أنه ساهم في تدريب المقاومة الإسلامية مع كون بعضها يتبنى أيديولوجيات يختلف معها، وخاصة تلك التي كان لها علاقة بالإخوان المسلمين، ولكن الجيش السوري يجعل من الصهيونية العدو الوحيد، والأكبر الذي يستهين معه بكل عداوة أخرى.

ورابعها.. أن هذا الجيش كاسمه [الجيش العربي السوري] جيش موجه لخدمة الأمة جميعا، وليس لسورية وحدها، ولذلك ناضل مع جميع القضايا العربية.. فقد ساهم في رد العدوان عن لبنان عام 1982، وساهم في حفظ الأمن والاستقرار فيها عقب الحرب الأهلية اللبنانية (قوات الردع العربية)، والتي حققت استقرارا دام أكثر من 20 عاما في لبنان.

وهو لا يعني بالعربية تلك العنصرية المقيتة التي يتبناها قرن الشيطان، بدليل حلفه الاستراتيجي مع إيران، وعدم وقوفه مع العرب الذين حاربوها، وإنما يعني بها الوقوف مع المنطقة العربية التي كانت عرضة لمطامع الاستعمار والاستكبار العالمي بغض النظر عن أعراقها ولغاتها.

هذه بعض الأسباب التي جعلته مستهدفا من قديم.. ولعل أهمها هو أنه لم يمد يده بالتحالف مع أي عدو من أعداء الأمة، لا الناتو ولا الصهيونية ولا أذنابها في المنطقة.. ولو أنه فعل ذلك لحمى نفسه من تلك التشويهات التي شوه بها، ومن تلك الحروب التي أعلنت عليه.

سورية .. والجامعة العربية

أعتذر للقراء الكرام أولا على استعمالي لهذا المصطلح [الجامعة العربية]، فهو مصطلح شائع قد ألفناه مثلما ألفنا الأسماء الكثيرة المرتجلة التي لا حقيقة لها.

فالجامعة العربية ليست جامعة، وليست عربية.. ذلك أنها في حقيقتها التي دلت عليها كل مواقفها أو أكثرها مجرد بوق لجهات خارجية لا علاقة لها بالعرب، ولا بوحدتهم، ولا بقضاياهم.



والدليل على ذلك موقفها من القضية الفلسطينية، فهو موقف باهت ضعيف هزيل، لا يرقى لأن يسمى موقفا أصلا.. بل هو مجرد وضع ملح على الجروح، وهي بقراراتها تكاد تعترف بإسرائيل وقوتها وهيمنتها على المنطقة، بل تكاد تتوسل إليها أن تتركهم يعيشون هانئين بينها.

لكنها عندما تعلق الأمر بالفتنة في الدول التي لا ترضى عنها، راحت تتحول أسدا هصورا تغرز أنيابها، بدل أن تستعمل الحكمة والرفق والأناة التي تعودت أن تستعملها مع العدو الأكبر للأمة.

فهي أولا لم تتدخل عندما تعلق الأمر بالحراك التونسي والمصري، ذلك أن أمراء الخليج وملوكهم، لم تكن لهم عداوة مع كلا الرئيسين، فلذلك لم يصدروا أي موقف سلبي تجاههما، بل اكتفوا بالحكمة والصمت والأناة التي أدمنوا عليها.

لكن عندما تعلق الأمر بليبيا التي يختلفون مـع رئيسـها، وبعـد أن كاد يقضى على الفتنة فيها، راحـوا يجتمعـون، لا لإيجـاد قنـوات للحوار، تحاول أن تعالج المشاكل بين الأطراف بالحكمـة والهـدوء والرفـق، وإنمـا راحـوا يجتمعـون ليسـنوا أخطـر سـنة في تـاريخ العرب، وهي تأليب الأعداء عليها، ودعوتهم للتـدخل فيهـا، ومن ثم حربها، حتى تصل إلى الحالة التي نراها عليها اليوم.

ومنذ ذلـك الحين بـدأ السـقوط الحـر للجامعـة العربيـة الـتي هيمنت عليها جهات معينة، أصبحت تصـيغ قراراتهـا، وتفـرض على الجميع التصويت عليها، ومن لم يوافق يهدد بأن تنقل المعركة إلى عقر داره.

وإن نسينا، فلن ننسى أبدا تلك المواقف المخزية التي أبـداها حمد بن جاسم، ونبيل العربي عنـدما نقلا ملـف سـورية إلى الأمم المتحدة، وراحا يخفيـان تقريـر الفريـق الـدابي عن مجلس الأمن، ويزوران الحقائق بدل ذلك.

ثم توالت القرارات الجائرة من هـذه الجامعـة الظالمـة على سـورية، حيث راحت تجمـد عضـويتها، بـل راحت تطـالب بوضـع الإرهابيين بدلها، ولم تكتف بكل تلك المهازل التي كانت تقـوم بهـا كل حين، بل كانت تقوم بدور الشرطي مع كل الدول التي تخالف قراراتها أو تدعوها إلى بعض الأناة والحكمة والرفق.

ولذلك نهنئ سورية على خروجها من ذلـك الـوكر الـذي تـدار فيه المؤامرات على الأمة.. فهي أشرف من أن تكون طرفـا فيـه، أو جزءا منـه.. ونـدعو كـل شـريف من البلاد العربيـة أن يتـبرأ من هذه الجامعة الظالمـة الـتي لم تقـف في حياتهـا سـوى المواقـف المخزية التي لا علاقة لها بالعروبة وقضاياها، ولا علاقـة لهـا بجمـع الكلمة أو توحيد الصف.. بل هي كما قال الشاعر:

هون عليك فإن الجمع   وكيف ينصر قوم ربهم

عميٌ بصائرهم غفلٌ   غلفُ القلوب وفي

الخمر غايتهم والجبن   والذل وحدهم والهون

دمىً على رقعة الإفساد … سم الخيانة والأحقاد

للغدر والتنكيل والهوى … إن الذئاب إذا ما

يا قادة السوء كم … بيضاء سطرها دمع لنا

يا راحة الغدر كم … كانت شموسا لما

يا عصبة الإفك كم … ثوب الفضيلة حتى

يا صحبة الشيطان لم … عهد ولا شرف كلا ولا

يا سادة التهريج لن … وهل يهادن نذل صاغه

هذي مثالبكم في كل … هذي مخازيكم ضاقت

من قال إننا سوف ننسى أن هذه الجامعة شرعت تقسيم السودان، والعدوان على العراق، وقتل الليبيين، والسوريين واليمنيين؟! ومن قال إن السوريين سوف ينسون قرارات الحصار الاقتصادي، والعقوبات الظالمة! أو إننا سوف ننسى اجتماع الوزراء العرب لمعاقبة الإعلام السوري- وليس الصهيوني؟!

ومن قال إننا سوف ننسى السعي المحموم لشبه دولة قطر التي اشترت رئاسة القمة العربية فقط لتُجلس سورياً معارضاً على مقعد الجمهورية العربية السورية، وتضع علماً آخر لسورية لتمارس النكاية السياسية؟

السلمية بين البحرين وسورية

من أبشع المقـولات الـتي يرددهـا الـذين أدمنـوا على الإعلام التحريضي المغرض قولهم عن الحراك السـوري: (إنـه ظـل سـتة أشهر كاملة حراكا سلميا، ثم اضطر إلى التحول إلى العنف)



وهذه مغالطة كبيرة من وجـوه متعـددة.. أولهـا أن من يرفـع راية إسقاط النظام يعتـبر خائنـا لا معارضـا، ومحاربـا لا مسـالما.. وثانيهـا أن سـتة أشـهر لا تسـاوي شـيئا في حسـاب الـزمن الـذي يتطلبه التغيير، والتحول في هذه الفـترة القصـيرة من السـلم إلى العنــف، يــدل على طيش في العقــول، واســتعجال في تحقيــق الأهداف الكبرى، والعجلـة لا تنتج إلا الخـراب.. وثالثهـا أن النظـام السوري دعا المتظاهرين إلى الجلوس إلى طاولـة الحـوار، لكنهم رفضوا، وأصروا على مطلبهم في إسقاط النظام.. ورابعها أن تلك المعارضة كانت مستندة لجهات خارجية، وهي في جميـع القـوانين الدولية خيانة عظمى..

وإذا ما قارنا هذا الحراك الطائش المستعجل المستند لجهات خارجية لا تريد الخير لسورية، مع حراك آخر تزامن معه في نفس التوقيت.. وبمطالب أشرف.. وبطرق حضارية سلمية عاليـة، نجـد الفرق الكبير بين الحراكين.

وذلك هو حراك البحرين.. وهو حراك لم يطالب بإسقاط النظام، ولا برحيل الملك، وكل ما طالب به هو التحول إلى ملكية دستورية بدل الملكية المطلقة، مع احتفاظ الملك بمنصبه، وكان المتظاهرون مستعدين للحوار، ومطالبهم كانت في منتهى الشرعية والوضوح، فقد كانوا يتألمون لذلك التطبيع الذي تقوم به مملكتهم مع إسرائيل، وتلك الإتاوات التي تدفعها لأمريكا مقابل حمايتها.

لكن ذلك الحراك السلمي قوبل بكل أنواع العنف والتهميش والاحتقار ابتداء من الحركات الإسلامية نفسها، فقد خرج القرضاوي بوق الفتنة حينها، يندد بذلك الحراك، ويطالب المملكة بإيقافه وقمعه، مع كونه لم يكن سوى حراك سلمي، وبمطالب شرعية، لكن القرضاوي ــ وفي خطب الجمعة ــ راح يصيح بأن أولئك المتظاهرين المطالبين بحقوقهم شيعة، ولذلك لا يحق لهم أن يتكلموا، أو يطالبوا بشيء.. وهو يعلم أن الشيعة هم الأغلبية في البحرين، وأنه لا يمكن أن يتم أي حراك من دونهم، ويعلم أيضا أن الشيعة بشر كسائر البشر، ولهم الحق في أي سلوك يفعله إخوانهم في البشرية.. ويعلم فوق ذلك كله أن المتظاهرين لم يكونوا ينادون بأي شعارات طائفة، بل كان فيهم المنتمون لجميع المذاهب الإسلامية، لكنه لم يرهم لأن الحقد الذي تشربه قلبه جعله أعمى البصيرة.

وقد شاء الله أن يمد في عمره ليرى كيف تضعه البحرين في قائمة الإرهابيين، هو والاتحاد الذي أسسه، وحينها راح يغرد قائلا: (إن الباطل كالرغوة المنتفخة؛ يعلو قليلا ثم يتلاشى ولا يبقى إلا الماء الخالص)، متناسيا أنه كان بوقا لذلك الباطل، وأنه كان يطالب بمواجهة المتظاهرين.

وهكذا كان الأمر مع حكومة الإخوان المسلمين في مصر، والتي كان موقفها سلبيا من ذلك الحراك، بل كانت تدعو إلى قمعه، في نفس الوقت الذي كانت تطالب فيه الجيش المصري والشعوب العربية للتوجه لحرب الدولة السورية.. فابتلاهم الله بالسقوط الحر، وبأن يوضعوا في قائمة الإرهابيين، لا من أولئك

الذين حرضوا عليهم، وإنما من أولئك الـذين دافعـوا عنهم، وأولهم ملك البحرين.

أما غـيرهم فقـد راح يسـتعمل كـل وسـائل العنـف مـع ذلـك الحـراك، فاعتقـل العلمـاء، والقـادة الاجتمـاعيين الممتلـئين بكـل ألوان السلمية والأدب، واستشهد الكثير من الضحايا الأبرياء.. ومع ذلك كله لم يطلق المتظاهرون رصاصة واحدة.. وظلوا على ذلـك سنوات طويلة إلى الآن.. وهم صابرون محتسبون مع أن مطالبهم في منتهى الشـرعية، وأقـرت بهـا كـل القـوانين الدوليـة، فهم لا يطالبون سوى بأن تتاح لهم انتخابات حـرة، وتشـكل حكومـة على أساسها، وأن تترك مملكتهم ذلك التطبيع مع إسرائيل والصهيونية، وأن تتحـول إلى دولـة ذات سـيادة، لا مجـرد ملاه ليليـة وحـدائق خلفية يجتمع فيها الخليجيون المترفون لتحقيق نزواتهم الشاذة.

ومع ذلك كله لا يسمع لهم أحـد، بـل الكـل يتجـاهلهم، والكـل يتهمهم.. ولا تزال البحرين تتألم، ولا يلتفت لألمها أحد، لأن الأحقاد تعمي وتصم، ويأبى الله إلا أن يذيق الحاقـدين من ألـوان الهـوان، وأنـواع المذلـة، مـا يجعلهم يتـألمون أضـعاف مـا يتـألم لـه أولئـك المسالمون الطيبون.. {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَـدْ مَسَّ الْقَـوْمَ قَـرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا وَيَتَّخِـذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [آل عمران: 140]

ولكن اليمن لا بواكي لها

كلما أرى تلك الصور الفضيعة لما يحصل في اليمن من دمار وأمراض وسفك للدماء مع التجاهل الإعلامي والديني لكل ذلك، والبكاء في نفس الوقت على تلك المسرحيات المزيفة التي يقوم بها الإرهاب العالمي كل حين في سورية أتذكر ما ورد في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ لما رجع من أحد؛ فجعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن، فقال رسول الله ﷺ: (ولكن حمزة لا بواكي له) [1]



وهذا ما يصدق تماما على اليمن الجريح المظلوم الذي يعيش الفقر والجوع والحصار مع كونه صاحب آبار بترول كثيرة نهبت منه منذ أكثر من قرن من الزمان، ونهب معها الكثير من ثرواته، وعندما نهض يطالب بحقوقه، ويسترجع سيادته على أرضه، رفعت شماعة علاقته بإيران ليُقتل أطفاله، وتُدمر مؤسساته بسببها.

مع أن القوانين الدولية تتيح لأي دولة أن تقيم علاقاتها مع

---

1) تتمة الحديث: (فبلغ ذلك نساء الأنصار فبكين لحمزة، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهن يبكين فقال : يا ويحهن ما زلنا يبكين منذ اليوم فليسكتن ولا يبكين على هالك بعد اليوم) رواه الحاكم (1407) وعلق عليه بقوله: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وهو أشهر حديث بالمدينة فإن نساء المدينة لا يندبن موتاهن حتى يندبن حمزة وإلى يومنا هذا)

من تشاء، وكيف تشاء.. لكن المجـرمين الـذين يقومـون بـالتطبيع مع إسرائيل كل حين، ويقومون بإمداد أمريكا بكل مـا يجبونـه من أموال الأرض والسماء، يرفضون ذلك، ويحاربون لأجل ذلك حفاظا على أمنهم القـومي، متناسـين إسـرائيل الـتي هي المهـدد الأكـبر لأمن المنطقة، ومتناسين أمريكا أعظم دولة إمبريالية في التاريخ.

والمشكلة أن هذه الدولة العربية تضرب باسـم الحفـاظ على العربية، ولست أدري أي عربية يقصدون؟.. وهل كـانت اليمن في يوم من الأيام دولة غير عربية؟.. وهل خـرج العـرب من غيرهـا؟.. وهل العروبة إلا تلك الشـهامة والنخـوة اليمنيـة؟.. وهـل وجـد في التاريخ حضارة عربيـة غـير الحضـارة اليمنيـة الـتي ذكرهـا القـرآن الكريم وأشاد بها؟

لكن الأعراب الذين ذكرهم القرآن الكريم، واعتبرهم { أَشَـدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُـوا حُـدُودَ مَـا أَنْـزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُـولِهِ } [التوبـة: 97]، راحـوا يعتـبرون أنفسـهم الأوصـياء على العـرب، فيؤدبـون من شـاءوا، ويقربـون من شـاءوا، وينسـون أنهم عبيـد لأمريكا وأذنابها، وأنهم لا يفعلون شيئا من دون مشورتها.

وينسون أن اليمن هي مهد المقاومة العربيـة ضـد الصـهيونية وكل أشكال الاستعمار التابعـة لهـا، ولا زال أنصـار اللـه الـذي هم جزء أساسي من اليمن يرفعون شعار الموت لأمريكا وإسرائيل.

لكن كل ذلك يتجاهله الإعلام المغرض، ويتجاهله أولئك الذين يزعمون لأنفسـهم تمثيـل الـدين والنطـق باسـمه مـع أنهم ليسـوا سـوى أدوات للصـهيونية والامبرياليـة الأمريكيـة والغربيـة، لا يتحركون إلا وفق مشيئتها.

إن مسـؤوليتنا عن اليمن عظيمـة، فسنسـأل جميعـا عن كـل صبي قتل، وعن كل امرأة ترملت أوثكلت بأبنائهـا.. وسنسـأل عن تلك الأعراس التي تحولت إلى مآتم، وعن تلك الزهور التي حولهـا الطيران العربي إلى قبور.. وسنسـأل عن جزيـرة سـقطرى ذلـك الأرخبيـل اليمـني الموجـود في المحيـط الهنـدي، والـذي يحـاول الأعـراب تحويلـه ــ مثـل بلادهم ــ إلى وكـر من أوكـار الرذيلـة،

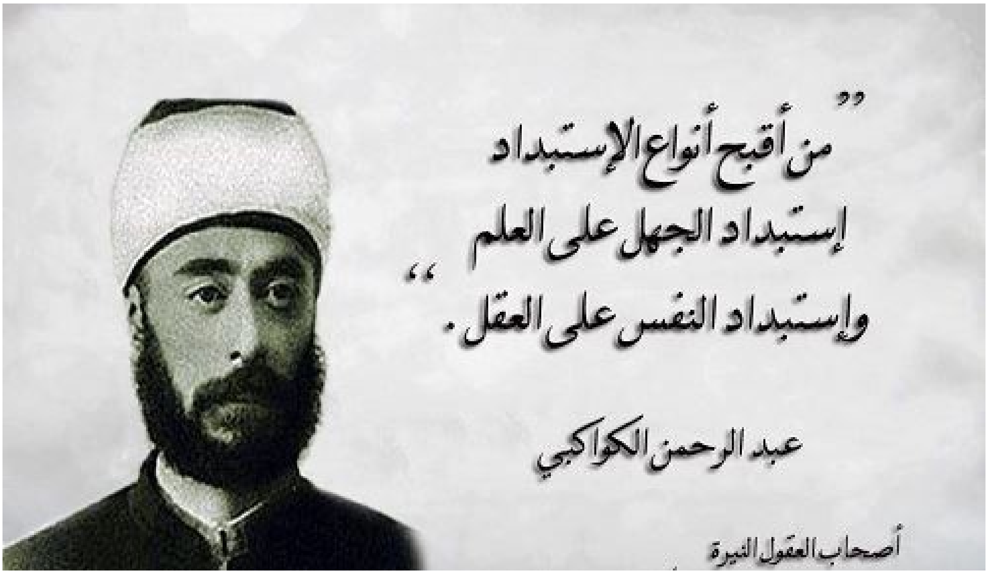
ويتصارعون من أجل ذلك.

سنسأل عن كل ما حصل ويحصل في اليمن.. ولم لم نبك عليها؟.. ولم لم نرفع أصواتنا استنكارا لما يحصل لها؟

إن اختبار اليمن لن ينجو منه إلا الصادقون الذين لا يخافون إلا الله، ولا يتوجهون بعبوديتهم ألا له.. لذلك أدعو كل صادق إلى نصرة اليمن.. ولو بكلمة أو بصورة معبرة.. أما السكوت، فهو علامة الرضا، والحياد في هذا الوقت ليس سوى اصطفاف مع الظلمة، وفي المواقف يتبين الرجال، ويتميز الأبطال.

الاستبداد.. وهيبة الدولة

من المفاهيم الخاطئة التي أشاعها الإعلام المغرض والأيـادي الخبيثـة المحركـة للفتنـة تلـك المفـاهيم المرتبطـة بالاسـتبداد.. فالدولة المستبدة عندهم، وبحسـب الطـرح الـذي يطرحونـه: هي تلك الدولة التي تمسك بزمام أمرها في الداخل والخارج، وتفرض هيبتها وسيادتها على رعيتها، كما تفرضها قبل ذلك وبعـده على أي جهة تسول لها نفسها التدخل في شؤونها.



وقد نشـأ عن هـذه المفهـوم مفـاهيم فرعيـة كثـيرة لا يـؤدي تطبيقها على أرض الواقع إلا إلى الفوضى، والخراب للدولة عـاجلا أو آجلا.

ولا يمكننا هنا أن نناقش تلك المفاهيم الفرعيـة، لأنهـا كثـيرة، ومتشـعبة، ويتولـد بعضـها من بعض.. ولـذلك نكتفي بـالتحقيق في مفهوم الاستبداد.. وهل ما نراه من بسط الدولة لسلطتها وهيبتهـا على رعيتها استبداد أم نظـام؟.. وهـل الدولـة غـير المسـتبدة هي تلـك اللينـة المطواعـة الـتي تتمـاهى قوانينهـا مـع مـزاج شـعبها ورغباته؟.. أم أنها تلك التي تخطط لنفسها، ويخطط لهـا حكماؤهـا تخطيطا استراتيجيها بعيد المدى يحقق لها التطور والسـيادة، ولـو على حساب تلك الأمزجة الآنية المحدودة التي يريـد عـوام النـاس

فرضها.

والإجابة على هذا السؤال بحسب ما يدل عليه العقل والواقع بل حتى النصوص المقدسة هو أن فرض الدولة لهيبتها ليس استبدادا، بل هو واجب شرعي، لا يمكن للدولة أن تقوم من دونه، بل هي إن غفلت عن ذلك، فستعيش الفوضى في الداخل، ويطمع أعداؤها فيها في الخارج.

أما دلالة العقل على هذا؛ فيمكن التعرف عليها بتأمل بسيط، فالدولة كيان مثل الإنسان الذي لديه عقل وعواطف وغرائز.. ولديه نفس لوامة وأخرى أمارة وأخرى مطمئنة.. ورأس الدولة في كل هذه اللطائف والطاقات هو العقل.. فإن استسلم العقل للعواطف الباردة، والغرائز الناشزة، والأهواء المتقلبة لم يعد عقلا، بل صار مجرد أداة للشهوات، وليس أداة تعقل صاحبها عن كل سلوك مشين، أو خطر قادم.

وهكذا الدولة إن خضع حكماؤها وأهل الرأي فيها لما يطلبه غلمانها وعوامها ودهماؤها، تتحول إلى دولة فاشلة، لا نظام يحكمها، ولا عدل يستتب فيها.

وأما دلالة الواقع على هذا؛ فيمكن التعرف عليها من خلال ذلك النموذج الذي يحرص الإسلاميون دائما على تبنيه والدفاع عنه، فأردوغان قام بحملات اعتقال واسعة عقب الانقلاب الفاشل الذي حصل له، وشملت تلك الاعتقالات عشرات الآلاف من الأساتذة والإعلاميين والشرطة والجيش، ومورست معهم كل ألوان الإهانة، ومع ذلك لم نجد الجزيرة، ولا الإخوان يعترضون عليها، وهم الذين تقوم قائمتهم عند اعتقال أي معارض في أي دولة لا يتفقون معها، بل إنهم يكفرون الرئيس المصري الحالي بسبب اعتقاله للمتمردين الذي رفضوا القبول به حاكما.. بينما يقبلون من أردوغان أن يعتقل بل يحكم بالمؤبد على من يتهمهم بعدم قبول شرعيته.

أما دلالة النصوص المقدسة على هذا؛ فقد فرق القرآن الكريم بين طغيان فرعون المستكبر المستعلي الذي كان يقتل

الرجال، ويستحيي النساء والأطفال، وبين الحكام العادلين الذين قص علينا قصصهم.

ومن الخصال التي نراها فيهم بوضوح تلك القوة والهيبة التي تدل على أنه لا يمكن أن تقوم الدولة بدونهما، فالله تعالى حكى عن سليمان عليه السلام أنه كان يتفقد رعيته، وكان يحزم معها في حال تخلفها عن أداء واجباتها، قال تعالى: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } [النمل: 20، 21]

وحكى عن موسى عليه السلام شدته مع أخيه هارون بسبب عدم فرضه لسلطته على قومه بعد غيابه عنهم، قال تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأعراف: 150]

وحكى عن ذي القرنين قوله: { أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا } [الكهف: 87، 88]

وهكذا لو تتبعنا الأحكام الشرعية، فإننا سنجد فيها الكثير من الأدلة المثبتة لذلك، فهي كلها تحض على النظام والحزم، ولذلك اعتبرت الحديث في الوقت الذي يخطب فيه الإمام مؤثرا في صحة الجمعة، قال رسول الله ﷺ: (إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت، والإمام يخطب فقد لغوت)(1)

بل ورد في رواية أخرى ما هو أشد من ذلك، فقد اعتبر ﷺ مجرد العبث وقت الخطبة بالحصى وغيره مؤثرا في صحة الجمعة، قال ﷺ: (من مس الحصى فقد لغا)(2)

1) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن.

2) رواه مسلم.

وبنـاء على هـذا وغـيره، فـإن الطـرح الـذي يتبنـاه بعض الإسلاميين من تمريغ هيبـة الدولـة في الـتراب، ونقـد كـل شـيء، ومعارضة كل ما يخالف أمزجتهم، لا علاقه له بدين، ولا بعقـل، ولا بواقـع، بـل هي دعـاوى خبيثـة شـيطانية ليس لهـا من دور سـوى إشاعة الخراب والفتنة في الأمة.

والأخطر من ذلك كله تهيئتها للحرب الناعمـة.. لأنهـا لا تبحث إلا عن تلـك الأصـوات الـتي تملأ القلـوب أحقـادا لتسـتثمرها في زراعة الفتن.

ولهذا فإن مواجهة الدولة السورية لمن يتظاهرون تحت رايـة إسـقاط النظـام مواجهـة شـرعية، فهـؤلاء خونـة، ولا علاقـة لهم بالسلم، فالمسالم يطالب بالحوار، لا بإسقاط النظـام، والمسـالم هـو ذلـك الـذي يحافـظ على علم بلـده، باعتبـاره رمـز الوحـدة والسيادة، وليس الذي يغير علمه كما يشاء، وكما يُملى عليه.

لماذا فشلت ثورات الربيع العربي؟

هذا سؤال وجيه يحتاج كـل عاقـل للإجابـة الهادئـة والعقلانيـة عليه، ليخرج من تلك السطحية والبسـاطة الـتي يجيب بهـا الكثـير من الإسلاميين الذين ركبوا موجة هذه الثورات، والذين يختصـرون الجواب عليـه في الشـماعة الـتي تعـودوا أن ينسـبوا كـل فشـلهم إليها، وهي الطغاة والمستبدين والظلمة.



وأول جواب على هذا السؤال، هو ببساطة: هذه الثـورات لم تكن ثورات حقيقية.. ولو كانت ثورات حقيقية لما فشـلت.. ولأدت أغراضها بدقة.. فيستحيل على الثـورة المسـتجمعة لشـروطها أن تفشل.

والوصـف الحقيقي لهـا هـو مـا وصـفتها بـه وزيـرة الخارجيـة الأميركيـة [كونـداليزا رايس] عـام 2005، في حـديثها مـع جريـدة [واشنطن بوسـت الأميركيـة]، حيث أذاعت حينهـا عن نيـة أمريكـا بنشـر الديمقراطيـة بالعـالم العـربي والبـدأ بتشـكيل مـايُعرف بـ [الشرق الأوسط الجديد] عبر نشر [الفوضى الخلاقة]

فهـذا هـو المصـطلح الحقيقي لتلـك الثـورات المخطـط لهـا سلفا، فهي فوضـى بكـل الاعتبـارات، وليس لهـا من اسـم الثـورة شيء، بل هي والثورة خطان متوازيان لا يلتقيان أبدا.

فأول شروط الثورة وجود قيادة روحية موحدة ذات مقبولية شعبية واسعة، بحيث يمكنها أن تملأ الفراغ الذي يحتاجه النظام الجديد.. لأنه لا نظام من دون زعيم له حظ كبيرة من المقبولية.. وهذا أخطر شرط افتقدته هذه الثورات العربية، أو الفوضى العربية، فقد ركبها الجميع، وكان الكل يتصور أنه صاحبها.. ولهذا بمجرد أن لاحت لهم بعض المكاسب راحوا يتصارعون فيما بينهم، من أجل الكعكعة التي لم يحصلوا عليها.

وثاني شروط الثورة وجود مرجعية فكرية واضحة، ومشروع بديل واضح.. وهو مبني على ما سبق من وحدة القيادة.. والفوضى العربية لم يكن لها أي مشروع، لأنه لم يقم بتحريكها فلاسفة ولا مفكرون.. وإنما قام به غوغائيون وفوضويون، وكان شعار مشروعهم نفسه شعارا فوضويا.. [الشعب يريد إسقاط النظام]، فهذا الشعار لا يحمل أي مضمون فكري، ولا أي بديل حقيقي.. هو مجرد دعوة للفوضى، لأنه إذا سقط النظام، فستحل بدله الفوضى.

وكان من شعاراته [الحرية]، وهو شعار مطاط يفهمه كل شخص بما يحلو له، فالإسلامي يفهمه على أنه يتيح له أن يقيم الدولة الإسلامية التي يحلم بها.. والليبرالي يحلم بأنه سيتيح له المزيد من الحريات، ويرفع الكثير من الكبت.. بل حتى المنحرفون يفهمون منه أنه يتيح لهم بناء الكثير من المراقص ودور اللهو والحانات، وربما يتصور بعضهم أنه ستسورد لهم المخدرات، وما يرضيهم من المغريات.

لذلك كان ذلك الشعار قنبلة موقوتة، فالدولة القوية تبنى على المسؤولية والحزم والعدالة، لا على الحرية الفوضوية.

وهكذا لم تتوفر لكل تلك الثورات ما يسندها من الحاضنة الشعبية الحقيقية.. فهي حركات مفرقة وجدت إعلاما يضخمها، وكانت تفتقر لكل قواعد التخطيط الاستراتيجي بعيد المدى.. ولهذا وقع التخوين بينها، وتحولت في فترة قصيرة إلى فوضى حقيقية، لا يستطيع أحد لم شملها.

والأخطر من ذلك كله هو اعتماد هذه الثـورات الوهميـة على القوى الخارجية، وهـو مـا يمكن أن نطلـق عليـه [خيانـة عظمى]، فالوطني الحقيقي يرضى بالمستبد في بلـده، ومن أهـل بلـده، ولا يرضى بالمستعمر الغاشم الظالم.. ولـذلك كـان المسـتفيد الأكـبر من تلك الثورات قوى الشر العالمي التي راحت تجـني الكثـير من الأرباح من الأطراف جميعا.

ولو أن الإسلاميين الذين كان لهم النصـيب الأوفـر في رعايـة تلك الثورات، وتحريكها، والاستفادة منها، قرأوا قصة موسى عليـه السلام، وكيف خرج قومه بواسطته من نير الاسـتبداد والاسـتعباد، لعرفوا كيف تدار الثورات، وكيف تنجح، ولم يسـتعجلوا في ركـوب الموجات التي لا قرار لها.

فأول شروط الثورة، وهو القيادة الروحية، تمثلت في موسى عليه السلام، الذي هيئ تهيئة خاصـة ليكـون الـزعيم الملهم الـذي ينقـذ قومـه.. وثانيهمـا.. المرجعيـة الفكريـة، والمشـروع البـديل، والـذي كـان يحملـه موسـى عليـه السـلام، وهـو مشـروع إلهي مقدس..

وثالثها وهو مهم جدا، هو تلك الحركة الهادئة الـتي تمثلت في ذلك الحوار اللين الذي جرى بين موسـى عليـه السـلام وفرعـون، وهو ما افتقرت إليه الثورات التي كان تـرفض كـل أنـواع الحـوار، وتعتمد القسوة والشدة لا اللين واللطف.

ورابعها هو الحجـة القويـة، والبرهـان القـوي الـذي تمثـل في عصا موسى عليه السلام.. وكان في إمكان الإسلاميين أن يحصلوا على مثـل تلـك العصـا لـو أنهم تمسـكوا بالـدين الحقيقي، وكـانوا نماذج صالحة له.. حتى تنهار جميع العصي بين أيدهم.

وخامسها هو وجود الاستبداد الحقيقي المتمثـل في فرعـون، والكثير من الثورات، وخاصة ما يطلق عليها [الثورة السـورية]، لم يكن فيها أي فرعون، بل كان الفرعـون فيهـا هم الثـوار أنفسـهم، لأنهم دُفعوا من طرف قوى الشر، لإحداث الفوضـى في بلـد كـان ينعم بنظام هو أفضل الأنظمة العربية في مواقفه وعدلـه ورعايتـه

لحقوق الإنسان.

هذه هي أسباب فشل الثورات العربية، ويمكن اختصارها بكلمة واحدة.. وهي افتقارها إلى المحرك والزعيم والقيادة الروحية ذات النظرة البعيدة، والفكر الاستراتيجي، والمشروع البديل.

وشهد شاهد من أهلها

من دلائل لطف الله وعدالته مع عباده أنه سبحانه وتعالى لا يكتفي معهم بالحجة والحجتين، ولا الدليل ولا الدليلين، وإنما يضع لهم من الدلائل والبراهين ما يجعل الحقائق أمامهم كرأي العين لا يجحدها إلا العنيد الغليظ المكابر.



ومن هذا الباب تلك الدلائل الكثيرة التي تنطق بها الأخبار كل يوم عن مظلومية سورية الجريحة، تلك التي اجتمع عليها جميع كلاب العالم لينهشوا لحمها على مرأى ومسمع من جميع العقلاء والحكماء ورجال الدين.. حتى صار مشايخ المسلمين يتفقون مع حاخامات اليهود في توزيع الحلوى عند ضرب كل مؤسسة، أو سفك أي دم.

ومن تلك الدلائل ما عبر عنه قوله تعالى عند ذكره لمظلومية يوسف عليه السلام: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا } [يوسف: 26].. فالشاهد من الأهل شاهد موثوق، وحجته لازمة، ولا يرد حجته إلا مكابر، ولذلك لم يجد عزيز مصر مع مكانته وهيبته إلا أن يخضع له من دون مناقشة.

ومن هذا الباب أقام الله حجته على عباده الذين وقفوا مع الظلمة في سورية الجريحة؛ فقد نطق الكثير من الشهود من

المعارضة السورية نفسها، أولئك الذين تبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وعرفوا أن تلك التي يسمونها ثور ة ليست سوى فوضى خلاقة وحرب ناعمة ومشاريع هيمنة غربية.. لكن للأسف قوبل هؤلاء بالنكير والخيانة، وبكونهم باعوا ثورتهم وقضيتهم.

ومع ذلك أرسل الله حججا أخرى لا يمكن لأي عاقل أن يردها أو يكذبها، وهي الحجج الصادرة من الجهات المؤسسة لتلك الفوضى في سورية، والتي نطقت بملء فمها أنها لم ترد الخير لسورية، وأن ما حصل فيها ليس ثورة تطالب بالحقوق المشروعة، وإنما مؤامرة للتقسيم والتقزيم والتبعية.

ولا يمكننا في هذا المقال المختصر أن نسرد كل تلك الشهادات، فهي كثيرة جدا، ولكنا نكتفي بشاهدين عدلين لدى المؤمنين بما يسمونه ثورة سورية، أما أولهما؛ فكان أنشط سياسي محرض على التدخل الخارجي لضرب سورية، وأما الثاني، فأكبر عراب للخراب الذي حصل لها.

أما الأول(1)؛ فهو [حمد بن جاسم آل ثاني]، رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية القطري السابق، والذي كان أكبر المتحمسين لضرب سورية، وتوفير أجواء الفوضى فيها، لكن شاء الله أن يشهد بشهادته بعد أن حاصرت السعودية قطر، وحينها حصل الصراع بين الحلفاء الذين اجتمعوا على الفريسة السورية.

وقد قال في مقابلة مشهورة مع التلفزيون القطري حول سوريا: (إننا تهاوشنا على الفريسة (سوريا) التي ضاعت منا أثناء تهاوشنا عليها)

وقال في تلك الحصة، وهي موجودة على النت لمن شاء أن يشاهدها: (ليس عندنا ثأر مع (الرئيس) بشار الأسد، فهو كان صديق لنا، لكن أنتم (الخليجيون) كنتم معنا في خندق واحد، ثم غيّرتم توجهكم، فقولوا لنا لنغيّر)

---

1) انظر مقالا بعنوان: ابن جاسم: لا ثأر مع الأسد وتهاوشنا على سوريا بتفويض سعودي، 2017-10-27 13:1432913، الميادين نت.

وقال: (توجّهت للسعودية، وقابلت الملك الراحل عبدالله بن عبد العزيز بناء على تعليمات من سمو الأمير الوالد، وقلت له: هذه الحالة في سوريا وقال لي: نحن معكم، أنتم سيروا في هذا الموضوع ونحن ننسّق ولكن فلتبقوا أنتم مستلمين للموضوع)

وفي حديثه ذلك أدلى باعترافات حول تورّط كل من قطر والسعودية في الملف السوري بالتنسيق مع واشنطن وأنقرة، وصلت إلى حد دعم مقاتلين من جبهة النصرة، حيث قال: (لدينا أدلّة كاملة لاستلام هذا الموضوع، وكان أي شيء يذهب إلى تركيا يُنسَّق مع القوّات الأميركية، وكان توزيع كل شيء يتمّ عن طريق القوات الأميركية والأتراك ونحن والأخوان في السعودية، كلهم موجودون عسكرياً، ربّما حصل خطأ أنّ فصيلاً دُعم في فترة، لكن ليست داعش، هذا موضوع مُبالَغ به، ربّما كانت هناك علاقة مع النصرة، ربّما، أنا والله لا أعرف عن هذا الموضوع، لكن أقول حتى لو كان فعندما أصبحت النصرة غير مقبولة توقّف هذا الدعم للنصرة وكان التركيز علي تحرير سوريا)

بل إنه لم يكتف بهذا، وإنما راح يصرح بتلك العلاقات الودية بين قطر وإسرائيل مكذبا كل تلك الادعاءات التي يدعيها الإسلاميون، والتي يعتبرون فيها قطر راعية للقضية الفلسطينية، بل لكل قضايا الأمة، فقد جاء في حواره ذلك قوله: (بدأت منذ أيام السلام وبعد مؤتمر مدريد وكان هناك تفاؤل لإقامة سلام، وبصراحة كان ذلك تزلّفاً وتقرّباً من أميركا وكان من المهم إقامة علاقة مع إسرائيل كي تفتح لك أبواب كثيرة في أميركا، ونشأت العلاقات وتطورت حتى تم افتتاح مكتب في الدوحة)

وذكر أن (هناك الكثير من المنطقة يتعاملون الآن مع إسرائيل وأعرف أن اجتماعات كثيرة تتم بين بعض القادة في المنطقة، بعضها في البحر الأحمر، اجتماعات تنسيقية، وأعرف أن هناك تصوراً لعملية السلام كيف يتم وهو تصور يُساق من قبلهم وأعرف أنه لن ينجح الآن)

بل إنه قال في فورة غضبه: (كلنا نطلب ودّ إسرائيل.. من الآن يتكلم عن قضية القدس؟ نحن الآن نتكلم عن كيف سنطبّع

مع إسرائيل!)

هذا الشاهد الأول، وهو كـاف لأكـثر العقـول الـتي لم تعطـل، وحديثـه موجـود على النت، ومن خلال قنـاة قطريـة، أي أنـه لم يفـرض عليـه فرضـا، ولم يفـبرك، وهـو ليس تسـجيلا من تلـك التسجيلات المسربة التي تعودت الجزيرة أن تذكرها كل حين، بـل هو موجود متوفر وواضـح، ويمكن لأي عاقـل أن يتأمـل فيـه لعلـه يبصر ما كان في غفلة عنـه.. ومـا أجمـل أن يستبصـر المـرء بعـد العمى، ويفيق بعد الغفلة.. فالمشكلة ليست في الغفلة، وإنما في التمادي عليها.

وأما الثاني، فهو عراب الخراب العربي [عزمي بشـارة] ذلـك الذي وكل إليه تدريب الطاقم الإعلامي الذي أدار الفتنـة من خلال قناة الجزيرة، والذي يحفظ أكثر الناس مقولاته ويرددونها من غير أن يعرفـوا مصـدرها.. مـع أن مصـدرها هـو ذلـك الـذي تخلى عن عروبته وارتدى بدلها ثياب الصهيونية.

وقد شاء الله أن يشهد الكثير من الشهادات في كتابـه الـذي ألفه حول سورية، والمعنون بـ [سورية: درب الآلام نحـو الحريـة]، والذي ذكر فيه أنه يؤرخ لسنتين من عمر ثورة وصفها بأنها مجيدة بكل المعاني، والذي دافع فيه عن الدور المشبوه لقطـر، ولقناتهـا الشيطانية قناة الجزيرة، مـرددا فيـه مـا تعودنـا سـماعه من كـون (الاحتجاجات بدأت سلمية، ومطالبها إصلاحية بسيطة لم يترك لهـا قمع النظام الوحشي خياراً سوى مواجهته بالسلاح وتحويل سـقف المطالب من مجرد القيام ببضعة إصلاحات إلى رحيل النظـام عن بكرة أبيه)

لكنه ـ وعن غفلة منه، أو لاستهانته بعقل القارئ العربي الذي لا يحلـل ولا يسـتنتج، بـل يكتفي بقـراءة العنـاوين ــ راح يعـترف اعترافات خطيرة تبين حقيقة المخطط الـذي ووجهت بـه سـورية (1) .

---

1) انظر مقـالا بعنـوان: حـول قلب المفـاهيم والثـورة بمعناهـا السـيء: اعترافات من عزمي بشارة، بسام الحكيم، موقع الجمل.

ومن تلك الاعترافات قوله: (حماية التظاهرات كان حجة لتبرير حمل السلاح وبشكل رجعي، إذ لم يكن الهدف من حمل السلاح حماية التظاهرات ولا كان ممكناً أن يكون، إنما طرح هذا الأمر كتبرير لحمل السلاح)(1)

وقال: (الدعوات للتظاهر كان معظمها يتم من قبل أشخاص مقيمين خارج سوريا)(2)

وقال: (كل ما قيل عن حرق أو قلع لأظفار الأطفال في درعا كان مجرد شائعات ومبالغات غير صحيحة استغلت لأغراض سياسية تعبوية من قبل الثوار. كما أن الأطفال ليسوا من كتب الشعارات على الجدران فأغلب الشهادات تؤكد أن لا علاقة للأطفال بهذا الأمر، إنما إعتقالهم جاء على خلفية رميهم أحد مراكز الشرطة بالحجار والزجاجات الحارقة)(3)

وقال: (شهود العيان كانوا يبالغون ويعملون على التحريض الطائفي إضافة إلى أن شاهد العيان قد يكون موجودا في باريس) (4)

وقال: (أغلب الذين حملو السلاح كانوا من المدنيين لا من الجنود أو الضباط الفارين خلافاً لما ادعاه الناطقون باسم الثورة، إنهيار هيبة النظام أدى لسلوك انتقامي تمثل بالهجوم على المراكز الأمنية وقتل 120 عنصر في جسر الشغور بينما تستر الإعلام المؤيد للثورة على هذه الحادثة وانطلقت تصريحات إعلامية وبيانات تتهم الجيش بقتل جنوده، وقد ساهمت وسائل

---

1) سورية: درب الآلام نحو الحرية، عزمي بشارة، ص 164-198 .

2) المرجع السابق، ص 74.

3) المرجع السابق، ص 82 - 84.

4) المرجع السابق، ص 14.

الإعلام العربية المؤيدة للثورة في هذا التضليل)(1)

وقال: (إنكار المظاهر المسلحة أصبح بحاجة إلى لافتة أو جسم سياسي يُشرعن الانتقال إلى العسكرة، وقد شكل الإعلان عن تشكيل الجيش الحر هذه اللافتة، وأصبح هذا الجيش غطاءً عريضاً لكل أشكال التسليح الفردية والأهلية في مواجهة القوات الحكومية، وبدأت الصحافة تبحث عن تصريحات لقادة هذا الجيش وكأنهم يعرفون ما يجري على الأرض بينما كان هؤلاء الضباط يتحدثون من اسطنبول عن أمور سمعوا عنها من الإعلام)(2)

وقال: (الهتافات الطائفية بدأن في درعا ودوما واللاذقية وحمص منذ اليوم الأول للتظاهرات، فسمعت هتافات مثل [لا إيران ولا حزب الله بدنا رئيس يخاف الله] وهتاف [بدنا نحكي عالمكشوف، علوية ما بدنا نشوف])(3)

وقال: (قيام المعارضة المسلحة بعمليات خطف وقتل واغتيال طائفي لعمال وموظفين ومثقفين وعلماء)(4)

وقال: (اتهمت وسائل الإعلام المؤيدة للثورة النظام بقتل الصحافي الفرنسي جيل جاكيه، بينما في حقيقة الأمر أنه قتل عندما أطلق مسلحون معارضون قذائف أر بي جيه على مسيرة مؤيدة للنظام)(5)

وقال: (لم توجه وسائل الإعلام أي نقد لممارسات الثورة

---

1) المرجع السابق، ص 163 - 194.

2) المرجع السابق، ص 197.

3) المرجع السابق، ص 86 – 112 – 124 – 125.

4) المرجع السابق، ص 374 – 375.

5) المرجع السابق، ص 441.

ومن ضمن هذه الممارسات أعمال مُشينة)(1)

وقال: (بينما كان هشام اختيار يُفاوض أهل درعا بلغه أن المتظاهرين أحرقوا القصر العدلي وكسروا زجاج المشفى الوطني)(2)

وقال: (في الربع الأخير من عام 2010 قامت الحكومة بحملة أمنية لملاحقة المطلوبين في قضايا جنائية وإقتصادية استهدفت بشكل خاص مهربيّ المازوت في دير بعلبة وبابا عمرو والسلطانية وحي عشيرة وجوبر، وسنجد أن هذه الأحياء كانت السباقة للإنخراط في الاحتجاجات الشعبية وستكون هذه الأحياء أيضاً أول من حمل السلاح بوجه النظام في حمص)(3)

وقال: (أغلب المناطق التي انتفضت في حمص هي مناطق تهريب وذات طبيعة عشائرية، وقد موّل سعد الحريري عمليات تهريب الأسلحة إليها)(4)

وقال: (لم يكن الاستقطاب الطائفي وليد انتفاضة الشعب السوري في حمص، ففي عام 2006 قام ثلاثة رجال بذبح عنصر من الأمن السياسي من الطائفة العلوية داخل جامع باب الدريب وهربوا إلى السعودية، كما كان شبان علويون يتعرضون للضرب في الأحياء ذات الأغلبية السنية)(5)

وقال: (قام محمد علي البياسي (أحد العاملين مع عبد

1) المرجع السابق، ص 441.

2) المرجع السابق، ص 88.

3) المرجع السابق، ص 110.

4) المرجع السابق، ص 120.

5) المرجع السابق، ص 121.

الحليم خدام) بتسليح المتظاهرين ببانياس فقدم 30 روسية و 2 رشاش و 2 قواذف و 6 بومباكشن. ص 192 - كان الجيش الحر يتبع استراتيجية غريبة عجيبة، كان يقوم باقتحام مدينة فيتبع ذلك خروج قوات النظام منها وقصفها من الخارج، فتنشأ قضية لاجئين جديدة ومن ثم ينسحب الجيش الحر من هذه المدينة ليُهاجم مدينة أخرى وفقاً لما يُسمى إنسحاب تكتيكي)[1]

وقال: (هناك أعمال سرقة ونهب وسطو مسلح قامت بها كتائب للجيش الحر)[2]

وقال: (إن سقوط مدينة الرقة بسرعة خيالية كان بسبب استقبالها للشباب النازح من ريفي دير الزور وحلب حيث شارك هؤلاء الشبان بفاعلية بالاستيلاء على المقرات والمراكز الأمنية داخل المدينة)[3]

وقال: (عمل الإعلام الرسمي على ضرب صدقية وسائل الإعلام المؤيدة للثورة عبر عرضه أشخاص كانت وسائل الإعلام العربية قد تناقلت أخبار وفاتهم على أيدي قوات الأمن)[4]

وقال: (كان النظام يعتبر الثورة مؤامرة قطرية سعودية تركية أميركية على الرغم من تأخر دول الخليج وأمريكا في دعم هذه الثورة)[5]

وقال: (ظهرت حالة من الشحن الطائفي زاد في حدتها بعض

---

1) المرجع السابق، ص 205.

2) المرجع السابق، ص 210.

3) المرجع السابق، ص 222.

4) المرجع السابق، ص 242.

5) المرجع السابق، ص 246.

المتحدثين باسم الثورة كمأمون الحمصي ورجال دين معروفون منهم الشيخ القرضاوي الذي حمّل بإحدى خطبه مسؤولية ما يحدث بسوريا لطائفة الرئيس، كما ساهم في إذكاء الشحن الطائفي قنوات كان تبث من الخليج كصفا ووصال الين تبثان من السعودية)(1)

وقال: (شكل الشيخ العرعور ظاهرة شعبوية خطرة ممولة من السعودية تراهن على إثارة الغرائز الطائفية والمذهبية)(2)

وقال: (في أوائل نيسان هاجم مسلحي المعارضة حافلة مبيت عسكرية في بانياس وقتلوا مواطن يُدعى نضال جنّود من الطائفة العلوية ومثّلوا بحثته وقطعوا أعضائه الذكورية)(3)

وقال: (لا علاج لذلك في رأينا إلا حل بقمع الأعمال الطائفية بالقوة بداية)(4)

وقال: (اتجهت مجموعات مسلحة إلى السلفية كبراغماتية تقرباً من المانحين)(5)

وقال: (لم ينجح هيتو في تأليف الحكومة بسبب مقاطعة السعودية ومن يؤيدها، وتبين مرة أخرى هشاشة المعارضة السورية ودرجة ارتباطها بالقوى الخارجية)(6)

---

1) المرجع السابق، ص 319.

2) المرجع السابق، ص 320.

3) المرجع السابق، ص 323.

4) المرجع السابق، ص 329.

5) المرجع السابق، ص 364.

6) المرجع السابق، ص 414.

وقال: (شكلت خطوة جامعة الدول العربية منح مقعد سوريا للإئتلاف مفاجأة لكثيرين، وكانت مخالفة لنظام الجامعة العربية) (1)

وقال: (نظم الناشطون تظاهرات سريعة بهدف التصوير فقط وبث خبر عن خروج تظاهرة في دمشق، وهو خبر مهم معنوياً لكن من يبحث عن هذه التظاهرة لا يجدها)(2)

وقال: (مع استمرار الثورة بدا وكأن الجزيرة والعربية جعلت من هذه الثورة قضيتها، وذلك بالمعنى الحزبي العصبوي فنشرت أخبار المعارضة من دون فحصها وتبين أن بعضاً منها على الأقل كان كاذباً، فمثلاً تبنت هذه المحطات رواية غير صحيحة إطلاقاً عن مقتل 120 جندي سوري في جسر الشغور لأنهم حاولوا الإنشقاق والحقيقة كانت أن الثوار هم من قتلوهم في هجوم على المراكز الأمنية في المدينة، وذلك قبل مرحلة الكفاح المسلح في الثورة السورية، واتهمت كذلك النظام بقتل العديد من الشخصيات العلمية في حمص لكن حقيقة الأمر أن مسلحين معارضين هم من قاموا باغتيالهم)(3)

وقال: (كانت تجري عمليات تصفية لموظفين حكوميين أو رئيس اتحاد فلاحين أو مؤسسة حكومية ما دام مؤيداً للنظام)(4)

وقال: (أقامت تركيا مخيمات للاجئين السوريين على أراضيها على الرغم من عدم وجود مواجهات عسكرية تستدعي هذا اللجوء)(5)

---

1) المرجع السابق، ص 415.

2) المرجع السابق، ص 439.

3) المرجع السابق، ص 440.

4) المرجع السابق، ص 441.

وقال: (السعودية دولة ملكية محافظة ليس فيها أي هامش للديمقراطية وحرية التعبير)[1]

وقال: (لم يتفاعل الشارع السعودي مع أي ثورة عربية كما هو الحال مع الثورة السورية، ويمكن القول أن البعد الطائفي كان حاضراً لا سيما عند رجال الدين حتى أن مقولة النظام النصيري كانت رائجة في الشارع السعودي عند توصيف النظام السوري) [2]

هذه مجرد نماذج من الاعترافات التي أدلى بها هذان الشاهدان اللذان تلطخت أيديهما بالدم السوري، ومن شاء المزيد، فيمكنه أن يقرأ الكثير من تصريحات المعارضة نفسها، والتي دائما يتهم بعضها بعضا، وفي أثناء تلك الاتهامات، يمكننا أن نعرف ما جرى بالضبط، كما عرفنا من الصراع السعودي القطري الكثير من الحقائق التي كانت مغيبة.

لكن العقول التي جحدت كل الأدلة، يمكنها أن تجحد أمثال هذه الأدلة وغيرها، لأنها لا تختلف أبدا عن تلك التي وصفها الله تعالى، فقال: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (3) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ } [القمر: 1 - 5]

فالذي يدمن على اتباع هواه لا يمكن أن يستسلم للحقائق سواء ارتبطت بالقمر الحقيقي الذي نراه في السماء، أو بما تبثه الأقمار التي صنعها البشر.

---

5) المرجع السابق، ص 499.

1) المرجع السابق، ص 535.

2) المرجع السابق، ص 539.

من صنع الإرهاب في سورية؟

ليس من الصعوبة أن نجيب على هذا السؤال، فهو من أوضح الواضحات، وكل شيء يدل عليه، ومن شاء أن يعود للتاريخ، ويبحث في الوثائق المتوفرة فيه، فسيجد الصانعين الحقيقيين لداعش وجبهة النصرة والجيش الحر وجيش الإسلام.. وغيرها من الجيوش التي تأسست، لا لتحرير فلسطين، والدفاع عن المستضعفين في بورما وغيرها، وإنما لإزالة رئيس شرعي لدولة ذات سيادة.



والذي تولى ذلك بالدرجة الأولى علماء الفتنة والضلالة، أولئك الذين أفتوا بإسقاط النظام السوري، وطلبوا من الجيش الانشقاق، وجعلوا حرب النظام فرضا عي على كل سوري، وعندما لم تفلح كل تلك الفتاوى في القضاء على النظام، راحوا يعلنون النفير العام، ويحرضون كل شباب العالم على أن يذهب لسورية حيث ستستقبله الحور العين وملائكة الجنان.

ولعلكم رأيتم بأعينكم، وسمعتم بآذانكم ذلك المؤتمر المشؤوم الذي عقد في القاهرة لنصرة الحرب على سوريا، والذي نظمه الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ورابطة علماء

المسلمين، ورابطة علماء أهل السنة، ومنظمـات إسـلامية أخـرى في أواخر العهد الذي استلم فيه الإخوان المسـلمين زمـام الحكم في مصر[1].

وهو مؤتمر موثق، وكل تسجيلاته لا تزال موجودة، وهي حجة على كل أولئك الـذين ألغـوا عقـولهم، واعتـبروا النظـام السـوري نفسه أو حلفاءه، هم الذين صنعوا الإرهاب.

ويغفلون عن أن ذلـك المـؤتمر جمـع كبـار العلمـاء المثـيرين للفتن، ليقوموا بالدعوة إلى النفير العام من أجـل نصـرة الإرهـاب في سـوريا، وكـان على رأسـهم يوسـف القرضـاوي، وصـفوت حجـازي، والأمين الحـاج، ومحمـد العـريفي، والـدكتور عمـاد عبدالغفور مساعد الرئيس المصري حينها، والشيخ عبداللـه شـاكر رئيس جمعية أنصار السنة المحمديـة، والشـيخ عبـد الـرحمن عبـد الخالق مؤسس المدرسة السلفية في مصر، والفريق عبدالرحمن سـوار الـذهب الـرئيس السـودانى السـابق، وعـدد من العلمـاء والمشايخ من كافة أرجاء العالم الإسلامي.

ومن الكلمـات الـتي ألقيت في ذلـك المـؤتمر كلمـة الشـيخ الأمين الحاج رئيس رابطـة علمـاء المسـلمين، وهي الرابطة الـتي يتولى أمانتها العامة الشيخ ناصر بن سليمان العمـر، والـذي أفـتى بأن الجهاد في سوريا واجب على كل مسلم، وعلى كـل الشـعوب والحكام.. كما دعا إلى تسيير القوافل الجهادية إلى سوريا، مؤكـدا أنها قضية الأمة كلها وليست قضية سوريا وحدها.

وهكـذا عنـدما جـاء دور القرضـاوي للحـديث، باعتبـاره رئيس الاتحـاد العـالمي لعلمـاء المسـلمين، طـالب بنفس مـا طـالب بـه الأول، ودعا إلى تسـيير قوافـل المجاهـدين، وأكـد أن الحـرب في سوريا هي حـرب ضـد الإسـلام وأن الجهـاد فيهـا واجب، وأن على على البلاد العربية أن يظهروا عروبتهم وإسلامهم في دعم سوريا، منتقـدًا حكـام العـرب في صـمتهم على الإبـادة الـتي تحصـل في

---

1) انظر: مؤتمر العلماء لنصرة سوريا: قوافل جهـاد وقوافـل دعـاة إلى سوريا، موقع المسلم، 4 شعبان 1434..

سورية، وكان من ضمن حديثه قوله: (حزب الشيطان دخل سوريا علنًا جهارًا ليقتل أهل السنة بالقصير، ولابد أن يقف العرب موقفًا رجوليًّا ضد الطائفية التي تريد قتل السنة، فكيف نقبل ذلك يا عرب، يجب أن يكون موقفكم صريحًا، وأن تتحملوا المسئولية؟)

بل إنه لم يكتف بالنفير العام من المسلمين، بل طلب من جميع دول العالم أن تسير جيوشها لسورية، وحثها على التحرك العسكري في سوريا، مؤكدًا أنه واجب على أحرار العالم والأمم المتحدة والمنظمات الدولية الوقوف بجانب الشعب السوري، وأشار إلى أن الأمة الإسلامية مستعدة للتضحية والجهاد، وأنه لابد للشعوب الإسلامية من المناداة بالجهاد للدفاع عن دين الله وشريعته.

وحينها، وحين امتلأت القلوب أحقادا وضغائن، قام صفوت حجازي نائب رئيس رابطة علماء أهل السنة حينها؛ فدعا إلى قافلة للجهاد في سبيل الله، مؤكدا أن نظام بشار الأسد (مجرم وكافر، خرج من الإسلام بمكفرات)

بل إنه راح يستعرض عضلاته بين أعضاء المؤتمر، فذكر أن لرابطة علماء أهل السنة التي يتولى نيابة رئاستها قصب السبق في تشكيل كتائب للجهاد على أرض سوريا، داعيًا جموع المسلمين لتشكيل هيئات لدعم سوريا بالسلاح والرصاص والمال قائلا: (نحن لسنا أقل من الرافضة أو المنظمة الإرهابية المسماة بـ [حزب الله] والمرتزقة الذين يحتلون أرض سوريا الآن)

وبعده تحدث العريفي بنفس ما تحدث به سابقوه، وراح على طريقته في التحريض والإثارة يقول: (إن الصحابة والتابعين سكنوا في الشام ومنهم خالد بن الوليد وعبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل وعبيدة بن الجراح وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان و900 صحابى إما سكنوها أو دفنوا فيها واليوم مساجد سوريا تهدم وأطفال سوريا تقتل)

وكان الرئيس المصري الإخواني محمد مرسي حينها حاضرا، وكان يستعد لإدخال الجيش المصري في مثل تلك المعارك،

ليجتمع مع كل أولئك الإرهابيين في معركة واحدة..

هذا مجرد نموذج عن تلك الأحقاد التي كان الإسلاميون يوزعونها في تلك الفترة التي أتيح لهم فيها الحكم في مصر وتونس وغيرها.. وكان الشباب الغر المسكين يستمع لتلك التوجيهات، وتغره تلك الدعاوى، فيترك أهله المشفقين عليه، ودراسته التي لم يكملها، وعمله الذي يحتاجه، ثم يذهب لسورية.

وفي سورية طبعا لن يذهب إلى أولئك السكارى المنحرفين الذين لا علاقة لهم بالدين، وإنما خرجوا لحرب سورية طمعا في أموال الخليج، وإنما يذهب إلى أولئك المتدينين أصحاب اللحى الطويلة، فالحور العين عندهم لا عند غيرهم من العلمانيين والليبراليين.

وبعد أيام قليلة يجد نفسه تابعا لداعش أو النصرة أو لواء الإسلام أو جيش الإسلام.. وبعد فترة قصيرة يسمع القرضاوي نفسه وكل أولئك الدجالين الذين حرضوه على ترك أهله وعلمه وعمله، يعتبرونه إرهابيا، ويعتبرون النظام السوري والإيراني هو الذي جاء به، وهو الذي دربه، ليقوم بتشويه الثورة السورية.

لست أدري المنطق الذي يفكر به هؤلاء.. فكل شيء عندهم مقلوب.. فهم يبرئون كل أولئك المحرضين الذين ملأوا القلوب أحقادا على النظام السوري وجيشه ومؤسساته، وأصدروا الفتاوى في ذلك، بل جندوا الجنود لذلك.. في نفس الوقت الذي يتهمون فيه النظام السوري، بكونه جاء بأولئك الشباب من كل أنحاء العالم ليخرب بلده، ويملأها بالفوضى.

لمن يريد أن يغادر القطيع..

من أخطــر مــا نصــادفه في الواقــع من عقــول مــا يمكن أن يطلق عليـه [عقـل القطيـع]، وهـو عقـل يعتـبر نفسـه، وكأنـه في برلمان، أو في أي مجلس يعتمـد طريقـة التصـويت.. فحيثمـا رأى أصواتا أكـثر رفـع يـده، وسـارع إلى الاقتنـاع من غـير تمحيص، ولا بحث عن دليـل، ذلـك أن الـدليل الكمي عنـده مقـدم على الـدليل الكيفي.



وقد يكون لهذا النوع من التفكير حجة منطقية أقنع بها عقلــه البـاطن، وهي أن الحـق مـع الجماعـة، وكـل صـوت خلافهـا نشـاز وشــذوذ.. وأن الكــثرة تغلب الحــق كمــا تغلب الشــجاعة.. وأن العقول كلما كثرت، كلما ازدادت نسبة صحتها.

وقد يكون له أيضا أسباب نفسية، ذلك أن هذا العقل جبان، لا يستطيع تحمل نتائج الخـروج عن القطيـع، فهـو يخـاف الـذئاب أن تلتهمه، ويخاف من القطيع أن يهجوه أو يهجره.

أو أنـه عقـل كسـول، يكتفي بتفكـير غـيره عن تفكـيره، فمـا

حاجته للاجتهاد في مسألة قد بذل غيره وسعه فيها.. فما عليه إلا أن يسير خلفه، ليجني ما جنى من دون جهد ولا عناء ولا تعب.

أو أنه عقل عاطفي امتلأ محبة وعشقا وهياما لرأس القطيع، فراح يذبح عقله، ويقدمه قربانا لقلبه.

وكل هذه الأسباب لا تعفي صاحبها من نتائج تفكيره الذي لم يستعمله.. فالموازين الإلهية لا تعفي صاحب هذا العقل من المسؤولية، بل تضعه في صف واحد مع رأس القطيع، كما قال تعالى مشيرا إلى ذلك في مواضع من القرآن الكريم.. ومنها قوله تعالى في بيان تبرير القطيع لأسباب الضلال التي تسبب فيها رأسه: {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (68)} [الأحزاب: 67، 68]

والسادة والكبراء المذكورون في الآية الكريمة، لا يقصد بهم الحكام فقط، بل يقصد بهم، وبدرجة أكبر العلماء والدعاة والوعاظ الذين اتخذهم الناس وسائط للهداية، من دون أن يفكروا في مدى سلامة ما يطرحونه، ولكنهم اتبعوهم تبعية عمياء.

ويذكر الله تعالى مشهدا آخر للقطيع وهو يلوم رأسه الذي زج به في تلك المهالك: { وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ } [إبراهيم: 21]

وهذا النص يشير إلى أن القطيع، حتى وهو في تلك المواطن الصعبة، وبعد أن مر بما مر به من أهوال لا تزال له بعض الثقة في الرؤوس التي اتبعها، ولهذا راح يستجديها أن تنقذه.

وتشير أيضا إلى أن رؤوس القطيع لا تزال تمارس دورها في الدجل والكذب على قطيعها، فبدل أن تنسب ضلالها لنفسها راح تنسبه لله، وتتهم الله به.

وبناء على هذا وردت التحذيرات الكثيرة من رسول الله ﷺ

من تحول الإنسان المكرم الذي آتاه الله العلم والعقل والحكمة إلى مجرد ذنب بهيمة، وعقل معطل، فقال: (لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن أساءوا أسأنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسنوا أن تحسنوا وإن أساءوا أن لا تظلموا)

وعلى هديه ﷺ سار ورثته من الأئمة والأولياء والصالحين، وقد قال الإمام علي في نصيحته لكميل: (يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق... أفٍ لحامل حق لا بصيرة له ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا يدري أين الحق، إن قال أخطأ وإن أخطأ لم يدر، مشغوف بما لا يدري حقيقته فهو فتنة لمن افتتن به وإن الخير كله من عرفه الله دينه وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف دينه)

وقال ابن مسعود: (لا يتبعن أحدكم دينه رجلاً، إن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر)

ولذلك تعلمنا النصوص المقدسة أن الحق ليس مع الكثرة، ولا مع الجماهير، بل الحق دائما مع القلة المستضعفة المحتقرة، وقد قال تعالى: { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } [الأنعام: 116]

وذكر قلة المؤمنين الحقيقيين، فقال:{فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ } [هود: 17]

وهكذا أخبر أن { أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الأعراف: 187]، وأن { أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ } [البقرة: 243]، وأن { أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ } [غافر: 59]

ولهذا، فإن على من يريد النجاة أن يبدأ بإخراج عقله من قطيع العقول، ليبحث في الحقيقة بعيدا عن كل تأثيرات الأعداد، وحينها ستتنزل عليه هداية الله إن كان صادقا ومخلصا وله القدرة على التضحية.. فلا يصل إلى الحقيقة إلا المضحون بأنفسهم في سبيلها.

المظلومية.. واللعب بالعواطف

ليس من المنطــق، ولا من الشــرع، ولا من الأخلاق أن ننكــر المظالم التي تقع لأي جهة من الجهات إذا ما ثبتت، ولم تكن كذبة أو خدعة، أو مسرحية كتلك المسرحيات الـتي تمثـل كـل حين في سورية لضرب استقرارها، وتفتيت وحدتها، وزرع الفتن بها.



ولكنــا في نفس الــوقت نحتــاج إلى أن يكــون لنــا الكثــير من الحكمة التي تتيح لنا التحقيــق في المظلوميــة نفســها، وهــل كــان المظلوم فيها مستفزا للظــالم، أم لم يكن مســتفزا؟.. وهــل كــان الظالم مبادرا للظلم، أم أن المظلوم هــو الــذي جــره إلى ذلــك؟.. وهل كان من الممكن تفادي كل ذلك، أم أن كل ذلــك كــان فرضــا شرعيا لا يمكن الفرار منه؟

هذه أسئلة كثيرة نحتاجها قبل أن نقرر الوقوف مع المظلوم، ذلك أنه قد يكون ظالما من حيث لا يشعر.. فــالبت في مثــل هــذه القضايا من قبيل البت في الأحكام القضائية التي تقتضــي الــتريث والتحقيــق والبحث الــدقيق؛ فلا يصــح أن يكــون الشــخص شــاهدا وحاكما ومحاميا وقاضيا في نفس الوقت.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى في عتــاب داود عليــه الســلام: { وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَــا فَتَنَّاهُ فَاسْــتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًــا وَأَنَــابَ } [ص: 24]، فــداود عليــه الســلام ــ كمــا ذكــر المفسرون ـ عوتب في كونه اكتفى بالسماع لأحد الخصمين، الذي

قال له: {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ} [ص: 23]، فراح داود عليه السلام ـ وبالعاطفة التي تميل بكل إنسان إلى المظلوم، ولو من غير تحقيق ـ يقول للخصم الآخر: {لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ} [ص: 24]، وهنا عوتب على الحكم في صالح الخصم الأول، قبل سماعه للخصم الآخر.

وهذا العتاب يوجه مثله للكثير من الذين يسارعون إلى لوم الأنظمة والجيوش، بل يستعملون كل الوسائل العاطفية لتشويهها، بحجة ضربها للمسالمين، ولا يسألون أبدا هل كان أولئك المسالمون حقيقة مسالمين؟.. وهل ضرب الجيش حقا بتلك الوسائل؟

وأسئلة أخرى كثيرة على العاقل أن يجيب عنها قبل أن يقف أي موقف، أو يحكم أي حكم، أو يدافع عن أي جهة، وأولها عن الجهات التي تنشر مثل هذه الأخبار، وتسربها، وتصورها، وهل لها مصالح في ذلك أم لا؟

حتى يكون حكمه مستقيما، ولا يعاتب على التسرع في الحكم، أو الانسياق وراء العاطفة المجردة، التي هي طبع إنساني كريم، ولكنه قد يصبح أداة من أدوات الشيطان لإغواء الأنسان.

وكمثال بسيط على هذا، ويتعلق بما يستخدمه الإعلام المغرض مما يسمى [مظلومية حماه]، وما فعل بها الرئيس السوري السابق.. وهم يتداولون هذا الكلام، وينشرونه من غير تحقيق، ولا تثبت ولا معرفة الأسباب.

ولو أنهم فعلوا ذلك.. بل لو اكتفوا بالذهاب إلى علماء حماه حينها، بل حتى حركييها الذين ندموا على تلك المواقف، لخففوا من غلوائهم، وعلموا أن أولئك المظلومين ليسوا سوى ظلمة روعوا الناس، وأطمعوا الأعداء في سورية، وهددوها بالتقسيم، حتى بادر الجيش السوري كأي جيش في العالم ليحرر المدينة من أيديهم.

ولذلك وقع ضحايا، ولابد أن يقع ضحايا.. لكن من المسؤول

عنهم، ومن فعل ذلك التصرف المشين الذي جعل أولئك الضحايا يسقطون.. وما علاقة الجيش السوري بذلك، وهو لم يؤد إلا دوره في استعادة المدينة، بعد أن نشر المنشورات، وطلب من المتمردين العودة إلى عقولهم، وإلقاء السلاح، لكنهم لم يفعلوا.

وهكذا لا زالوا يمارسون ذلك، فالرئيس السوري ـ اقتداء بما فعله نظيره الجزائري من سياسة [الوئام الوطني] ـ يدعو المسلحين كل حين، بأن يضعوا أسلحتهم، ويعودوا إلى حضن الوطن، وأنه لن يحصل لهم شيء.. لكنهم يأبون، فإذا ما ضربوا بفعل تمردهم، قامت القيامة على الجيش الذي أدى دوره كأي جيش في العالم.. وينسون أن ذلك السلاح الذي كان بيد المتمرد والإرهابي لم يكن لعبة، بل كان سلاحا أيضا، وكان يقتل به أبناء شعبه.. وكان من الممكن أن يسقط به ذلك الجندي الذي نتهمه بالظلم.

ونفس الأمر ينطبق على كل ما مارسته الحركة الإسلامية، وتاريخ مظلوميتها الطويل، والذي كتبت فيه القصائد الطوال والقصص الكثيرة لتملأ عواطف الناس بالحقد على الأنظمة.

فهل كان أولئك الحركيين مظلومين حقيقة، أم كانوا ظالمين في صورة مظلومين.. فلو أن الإخوان اكتفوا بالدعوة إلى الله، وتربية الناس وتوعيتهم وتعليمهم.. بل حتى لو ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فشرحوا شمولية الإسلام لكل شؤون الحياة.. هل كانت الأنظمة ستضربهم؟

وأنا أجيب هنا بكل بساطة: إنها لن تفعل.. لأن الكثير فعلوا ذلك، ولم يحصل لهم شيء.. بل ذهبوا بعيدا في انتقاد الأنظمة، ولم يحصل لهم شيء.. لكن عندما تنشأ التنظيمات، ومعها التخطيطات، ومعها المظاهرات والعصيان المدني، هنا يأتي دور السلطة لتستعيد هيبتها، وهنا يسقط الضحايا الذين تسبب في سقوطهم عدم الوعي بما يفعلون.

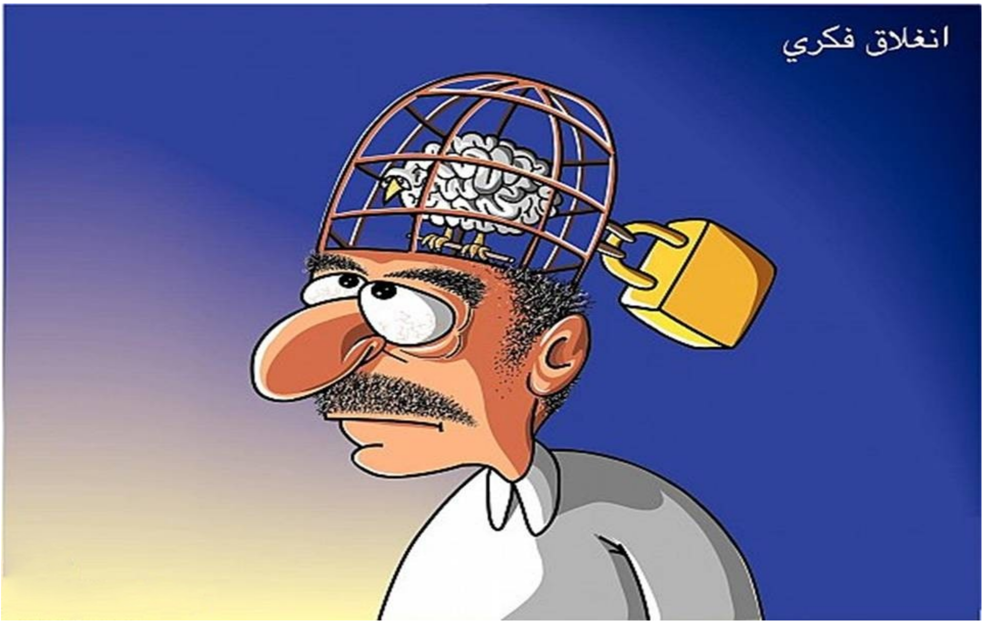
وللأسف هؤلاء يدخلون ما فعله الإمام الحسين في هذا الجانب، وهو وهم كبير، فالإمام الحسين كان إمام الأمة حينها،

وكان مفترض الطاعة من جميع الأمة، وكـان على الأمـة أن تسـير خلفه عندما خرج.. لكنها عندما تأخرت عنه، فعل ما فعل بأمر من رسول اللـه ﷺ لإقامـة الحجـة وحفـظ الـدين.. ليس لجيلـه فقـط، وإنمـا للأجيـال جميعـا. ولهـذا لم نـر سـائر الأئمـة من أهـل الـبيت يفعلون ذلك، بل كانوا ينهون عنه.

ولهــذا، فــإن الفــارق عظيم بين ذلــك الســلوك العظيم، والتضـحية الفـذة، وبين مـا تمارسـه تلـك الحركـات الـتي لم تنـل نصيبها من المصداقية عنـد الأمـة، ولم تنـل حظهـا من البيعـة، ولا حتى من الفهم السديد للإسلام.. ولذلك كـانت تصـرفاتها في هـذا الجانب أشبه بالغوغائية منها بالعمل الإسلامي الرشيد.

القابلية للإرهاب

من خلال التجربة والواقع المر الذي نعيشه يمكننا أن نكتشف نظرية مهمة تتعلق بتشخيص الإرهاب من ناحية، ومعالجته من ناحية أخرى.



وهي قاعدة يمكن صياغتها بهذه المعادلة: إرهاب + حاضنة = حاضنة إرهابية، أو إرهاب محتضن، أو إرهاب قوي بسبب كونه محتضنا، أو حاضنة تحولت إلى إرهاب..

والنتيجة الأخيرة لهذه المعادلات لو سرنا معها على هذا الاعتبار، هي أن تصبح جميع المنطقة التي حضنت الإرهاب منقطة إرهابية إجرامية، لأنها وافقت المجرمين على جرائمهم، بل دعمتتهم، والقوانين الدولية جميعا تنص على معاقبة أي مساعدة لأي مجرم، والقوانين كذلك تنص على أن القانون لا يحمي المغفلين.

ولذلك لا عتاب على أي جيش في العالم إن ضرب أي منطقة احتلها إرهابيون احتضنهم أهلها وساندونهم وناصروهم، وصاروا عيونا لهم.. ذلك أن الجيش لا يمكنه أن يميز بين الحاضن والإرهابي.. لأن كل حاضن في الحقيقة إرهابي.

وبناء على هذه المعادلة يمكننا أن نفهم سر وصول الإرهاب إلى بعض المناطق، واحتلالها، وعدم تمكنه من الوصول إلى مناطق أخرى.. فنبل والزهراء وفوعة وكفرية في سورية مثلا، ومع كونها قريبة جدا من مواطن الإرهابيين إلا أنها مع ذلك ولوعيها، لم يستطع الإرهاب أن يخترقها.

بخلاف الموصل وبعض المناطق العراقية التي احتلتها داعش، والتي كان القرضاوي والعريفي والضاري وغيرهم كثير يحرضونهم، ويشعلون نيران الفتن بينهم، إلى أن أصبحت لهم القابلية لقبول داعش واستقبالها، واحتضانها، ثم الاكتواء بنارها.

وقد حصل عندنا هذا في الجزائر، فأول من اكتوى بنار الإرهاب تلك التي المناطق التي خرج منها إرهابيون، أو كانت فيهم قابلية لاحتضان الإرهاب، أما المناطق المحافظة والواعية، والتي كانت تنتشر بينها الزوايا القرآنية والصوفية وغيرها؛ فإنها كانت بمنأى عن كل فتن، ولم يصلها شرارة أي نار.

لا أقول هذا، لنبكي على ما حصل في الماضي، وإنما لنستفيد منه في المستقبل، حتى نشكل وعيا عاما بكراهية الإرهاب وبغضه، ومحاربته.. فذلك وحده الذي يحمينا من الإرهاب.

وأحاديثي هذه الأيام عن سورية لا أقصد به سورية وحدها، بل أقصد كل منطقة في العالم، حتى لا يحصل لها ما حصل لسورية.. ذلك أنه لولا استماع بعض المغرر بهم في سورية لخطباء الفتنة، والقنوات التحريضية لحافظوا على بلادهم، ولم يقعوا فيما وقعوا فيه، ولم يكتووا بما اكتووا به.. فلذلك لا يلومن إلا أنفسهم.

وقد قال الله تعالى مبينا هذه القاعدة: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: 11]، وورد في الحديث: (ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب)، وفي رواية: (إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب)[1]

1) رواه النسائي.

هل هؤلاء هم العرب؟

يفخر المسؤولون ورجال الدين السعوديون والخليجيون كل حين، أنهم حماة العروبة، والممثلون لها، وأنهم لذلك يضربون اليمن وسورية وغيرهما ليحموا العروبة، ويحموا معها الإسلام.

وكذلك يفعلون، حين يفخرون بين جميع الأمم أنهم أصحاب الرسالة الخاتمة، وأن رسالة الله الأخيرة التي أرسلها لعباده نزلت بين أيديهم، وبلغتهم، وأنهم أكثر الشعوب فهما لها، وأنهم فوق ذلك أكثر الناس حظوة بها.



وقد جعلهم هذا يرددون من حيث لا يشعرون ما قالته بنو إسرائيل من قبلهم: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} [المائدة: 18]، ونحن شعب الله المختار، ونحن المصطفون من بين البشر جميعا.

أما القرني والعريفي وهيئة كبار العلماء وعلماء نجد، فهم لا يكتفون بمثل هذا، وإنما يضيفون إليه كونهم المستحوذين على الحرمين الشريفين، وأن الوحي نزل بين ظهرانيهم، وأن الله اختارهم من بين الأمم الجميع لذلك التنزل الشريف.. وأن أرضهم هي الأرض التي وطئتها قدما رسول الله ﷺ ، وأقدام أصحابه من بعده، وأن بلادهم هي النقطة التي توسعت ليتشكل منها جميع بلاد العالم الإسلامي.

وما كان لنا أو لغيرنا أن ننكر كل هذا، ولكنا نتعجب أن يفخــر الشخص بما لم تكسب يداه، أو يتصور أن عدالة الله تعالى تفــرق بين الناس بسبب أعراقهم التي هو خلقهـا، أو بسـبب بلادهم الـتي هو أنبتهم فيها.

ولذلك إن تركنا كل تلك المقدسات التي يفخرون بهـا، وعـدنا إلى واقعهم، وحظ حياتهم من تلك المقدسات، فماذا نجد؟

طبعـا لا يمكننـا أن نفعـل مـا يفعلـه الكثـير منهم من قـراءة البواطن، والبحث عما وراء الكواليس، أو ما تحت الطـاولات.. بـل نكتفي فقط بما ظهـر منهم، ونـترك الخفي للـه الـذي يعلم السـر والأخفى.

ونبـدأ بقنـواتهم الفضـائية الـتي ينشـرونها عـبر جميـع أقمـار العالم، ليرى العالم تلك المقدسات التي يفخرون بهـا، ويتصـورون أنهم اختيروا من دون العالم جميعا لتكون من نصيبهم.

وأول تلــك القنــوات وأشــهرها وأكثرهــا غــزوا للــبيوت هي القنوات السعودية التي يفخــر رجـال دينهـا أن أرضـهم هي الأرض التي بثت إشعاع الهداية للعالم أجمع، وينسون أنهم صـاروا الأرض التي تبثت جميع إشعاعات التضليل والانحراف والفسوق.

فقنوات الرذيلة [باقة روتانا](1) التي يملكها الأمير المليــاردير الوليد بن طلال، والتي تغذي كل أذواق الفجـور والانحرافـات، من أمثال (روتانا سينما ، زمان ، طرب، خليجية ، موســيقى ، كليب).. هي الواجهة التي يرى العالم من خلالها صورة العربي، والسعودي والخليجي على وجه الخصوص، ذلك الذي يفخر كل حين أنه يملك الحقيقة المطلقة، ومعها القيم المطلقة، ويصور للعـالم أجمـع أنـه وبدون شك سيكون في الآخرة في جنات النعيم، بينما يكون غيره في نار الجحيم.

---

1) انظـر مقـالا بعنـوان: قنـوات mbc - روتانـا أدوات الفسـق والرذيلـة ومحاربــة الــدين والفضــيلة، الشــيخ كــاظم الصــالحي، المركــز الاســلامي للدراسات الاستراتيجية، نيسان 2016.

وهي بالإضافة إلى قنواتها الفضائية تملك أضخم شبكة إذاعية في المنطقة من خلال توقيع عقـود واتفاقيـات مـع أبـرز الإذاعـات العربية، ومن خلال إطلاق إذاعات روتانا على الـFM.

وتملك مجلـة روتانـا للقـرّاء الـذين يتـابعون أخبـار المشـاهير وآخر الإصدارات، إضافةً إلى دليـل الأفلام السـينمائية والمقـابلات وأحدث المستجدات على الساحة الفنية.

وتملك روتانا كافيه، والـذي يعتـبر بمثابـة موعـد يـومي للقـاء الفنـانين ولإطلاق الأسـطوانات والإصـدارات الجديـدة ولتصـوير الـبرامج والعـرض المسـتمر لأحـدث الفيـديو كليبـات، أثنـاء تنـاول فنجان من القهوة .. وفي وسط هذا الكافيه، خصّصت روتانا جناحاً لـبيع البضـائع الـتي تحمـل شـعار روتانـا كافيـه إضـافةً إلى آخـر الإصدارات والأفلام والأسطوانات والـ CDs لحفلات فنانيها.

وهي بالإضافة إلى ذلك كله تملك علاقات حميمية مع اليهود، فقد كان لها شراكة حقيقية مع إمبراطور الإعلام اليهودي [روبرت ميردوخ]، فالوليد بن طلال ثالث أكبر مساهم في شـركة مـيردوخ الإعلامية [نيوز كورب] بالإضافة إلى امتلاكه حصصاً لا يستهان بهـا في شركات إعلامية كبرى كتايم وارنير وديزني.

ويوجد الكثير من أمثال الوليد بن طلال، والذين نهبـوا أمـوال الشعب السعودي والخليجي وراحوا يعبثون بها في أمريكا وأوروبا، وقد أتاح لهم ذلك أن يعيشوا بالقيم الوجودية العبثية بعيدا عن كل الأخلاق العربية الأصيلة.

ثم يأتي بعد ذلك من يكـذب علينـا، ويقـول لنـا: إن هـؤلاء هم العرب، وهم الذين يمثلون الإسـلام.. وهم الـذين يمثلـون السـنة.. أما غيرهم فعجم وفرس ومجوس، ولا يجوز لهم أن يتحدثوا باسـم الإسلام، لأنهم لم يدخلوا فيه أصلا.

بينما أصـحاب قنـوات الفجـور والفسـوق والانحلال الأخلاقي، ومثلهـا تلـك القنـوات الأخباريـة الـتي تبث كـل ألـوان الفجـور السياسي وتدرب عليه، فإنها عندهم قنوات محترمة، لأن أصـحابها عرب، ومن أرض الجزيرة، وفي سمائهم نزل جبريل عليه السلام،

ومن أرضهم انطلق شعاع الإسلام..

ويأتي أولئك الأئمة المغفلون لا ليحـذروا الشـعوب المسـكينة من تلك القنوات المدمرة للأخلاق، وإنمـا ليحـذروهم من القنـوات الإيرانية التي ينعتونها بكونها قنـوات الرافضـة المجـوس، والـتي لا نرى فيها إلا مظاهر الاحتشام والأدب والتدين..

وإذا تركنا القنوات الفضـائية والعـالم الافتراضـي، ورحنـا إلى أرض الواقع؛ فإننا سنجد العجب العجاب، فقد تحولت بعض المدن العربيـة إلى منـاطق للسـياحة اللاأخلاقيـة، حيث يفـد إليهـا كـل المنحرفين والشواذ ليستمتعوا بالإشعاعات الجديدة التي اخترعهـا العرب بديلا عن تلك الإشعاعات العالية الهادية.

وإذا تركنا ذلك، وذهبنا إلى تلك الجيوش المجيشة، والأسلحة، لـنرى لمن توجـه، فسـنرى العجب العجـاب أيضـا، فتلـك الأسـلحة جميعا، والتي اشتريت بمئات المليارات من الدولارات، لم تسـقط رصاصة واحـدة منهـا على إسـرائيل، وإنمـا سـقطت على سـورية والعـراق واليمن وليبيـا وكـل البلاد العربيـة الـتي شـقيت بكونهـا عربية.

بعـد هـذا لا يـزال المغفلـون يتصـورون أن العـرب هم بيضـة الإسلام وحصنه الحصـين وممثلـوه الشـرعيون والنـاطق باسـمه.. وأنـه من دونهم لن تقـوم لـه قائمـة.. وينسـون فعلـه تعـالى ببـني إسرائيل عندما تولوا، فاستبدل بهم غيرهم، وينسون قولـه تعـالى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُـوا أَمْثَـالَكُمْ } [محمـد: 38]

نحن أولى بسورية منكم

من أبشع صور المصادرات على المطلوب أثناء مناقشتك مع بعض السوريين الذين غسلت عقولهم بالإعلام المغرض هو قولهم لك: هذه بلادنا.. ونحن أولى بها منكم..



وليتهم قالوا هذا الكلام لمن فجروا الفتنة في بلادهم، والذين كانوا يحرضون بكل الوسائل ليسـقطوا نظـامهم الـذي إن لم يكن أحسن الأنظمة حينها، فإنه لم يكن أسوأها..

وليتهم قالوه أيضا لأمريكا وأوروبا الذين حشـروا أنـوفهم في كل صغيرة وكبيرة تتعلق بسورية.

وليتهم قــالوه لإســرائيل الــتي مــونتهم وحمتهم، وكــان مسلحوهم يعالجون في مستشفياتها، ولم تضربهم هي ولا أمريكـا مرة واحد، بينما ضربت الدولة السورية والنظـام السـوري مـرات عديدة.

ولذلك، فأنا، وكل حر في العالم نقول لهؤلاء: إن سورية تتبرأ منكم.. ذلك أن من رضي لبلاده أن تقصف، ولم تسل دموعه، ولم يهتز له عرق، ولم يحمل بيده السلاح ليدافع عنها؛ فليس له الحـق في أن يكون مواطنا في ذلك البلد، بل أقل أحواله أن يكون خائنـا أو عميلا.

ولهذا فأنا وجميع الصادقين الذين وقفوا مع سورية في أحلك أيامها، ولو بقلوبهم وألسنتم وأقلامهم، أولى بسـورية منكم؛ فنحن

مواطنون سوريون أكثر منكم، ذلك أننا نشعر بكل مآسـي سـورية وآلامها والمؤامرات الكثيرة الموجهة لها.

أما ما حصل فيها من خراب ودمار وقتل، فـذلك وزر يتحملـه أولئك الإرهابيون ومن احتضـنهم من المغفلين.. فلـولا أنهم آووهم وسـاندوهم ونصـروهم مـا تعرضـوا لمـا تعرضـوا لـه.. فمن آوى مجرمـا، فهـو مجـرم مثلـه.. ومن حمى عميلا فهـو عميـل مثلـه.. ولذلك يحق للجيش السوري أن يستعيد سيادته على أرضه، وعلى كل شبر من أرضه بكـل الوسـائل المتاحـة.. وليس للمجـرمين إلا خيار واحد إما التسليم والاستسلام والعودة لأحضان الـوطن، وإمـا أن تسفك دماؤهم كما تسفك دماء كل الخونة.

نحن أولى بسورية منكم، لأن سورية ليست أرضكم، بـل هي أرض العروبة والإسلام، ولذلك يحـق لكـل مسـلم أن يـدافع عنهـا، وأن يغضب لها، وأن يطالب بإخراج كل مجرم منها.

نحن أولى بسورية منكم، لأنا لا نزال نشعر بأننا أمـة واحـدة، وأن الحدود الـتي رسـمها الأعـداء حـدود وهميـة لا نـؤمن بهـا، ولا نسلم لها.. فكل أرض الإسلام أرضنا، وكل بلاد الإسلام بلادنا.

وفي الأخـير أقـول لهـؤلاء: لا بـأس.. فلنفـرض أنكم شـعب سوري.. فهل أنتم وحدكم الشعب السوري.. وهل يمكن لنظام أن يستمر كل هذه الفترة مع كل الحملات العالمية دون أن يكـون لـه حاضنة شعبية.. فلذلك تواضعوا وعـودوا إلى وعيكم، فـأنتم لسـتم سوى نفاية الشعب السوري، وخبثه الذي نفته.. فلا يمكن أبـدا أن يكون العميل الخائن الذي يرضى لبلاده أن تقصف مواطنا صـالحا، بل ولا حتى مواطنا فاسدا، فأولى الأسماء به هو الخيانة والعمالة.

سورية.. والمعارضة العميلة

لم يكن مصدر البلاء في سورية خارجيا فقط، بل كان أوله وأكثره ذلك المصدر الداخلي المقيت الذي تشبث ببعض المطالب المشروعة، ليرمي بلده في أحضان أعدائها؛ فيصبح عميلا مقيتا، بدل أن يكون معارضا وطنيا يخدم أهل بلده من غير أن يتسبب في أي أذى يلحق بهم.



فنحن لا ننكر المعارضة السلمية الخلوقة التي تنطلق من الحكمة لتؤدي دورها في إصلاح النظام لا في إسقاطه، وفي نصيحة الحاكم، لا في الإفتاء بقتله، وفي سد الثغرات التي قد يقع فيها، لا في إضافة ثغرات جديدة.

ولكنا ننكر على تلك المعارضة المستكبرة التي تضع يدها في يد أعداء بلدها، ثم ترفض الحوار، ثم تطلب من العدو أن يتدخل في شؤون بلدها.. وهذا ما فعلته المعارضة السورية من أول أيامها:

فهي لم تكتف بإملاء مطالبها، ولا الحوار من أجل تحقيقها، بل رفضت كل دعوة للنظام السوري من أجل ذلك.. ورفضت معها تلك الصيحات الكثيرة التي صاحها علماء الشام، وأولهم شهيد المحراب الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، بالجلوس على قاعدة الحوار، لرؤية المطالب والعمل على تحقيقها.

بل كانت تستمع بدل ذلك إلى القرضاوي والعريفي والقـرني وغـيرهم من دعـاة الفتنـة الـذين كـانوا يحرضـونها على إسـقاط النظام، وعدم الجلوس معـه، وحرمـة الجلـوس معـه.. وقتـل كـل سوري موال للنظام لأنه [شبيح]

كانت المعارضة حينهـا في أوج كبرهـا، وقـد تلقت وعـودا من ممالك الجور العربي بأنها إن بدأت في معركة مسلحة مع النظام، فإن الناتو وأمريكا والغرب ستتدخل، وسيحصل في سـورية مثلمـا حصل في ليبيا، وأنه ليس عليهم سوى أن يبدأوا المعركة فقط..

ولكن كل تلك الوعود خابت.. فراحت المعارضة تـبيع نفسـها، كل إلى جهة من الجهات، فبعضهم باع نفسه لقطر، وآخـر لتركيـا، وآخر للسعودية.. وهكذا انقسمت المعارضة إلى ولاءات مختلفـة.. ثم سرعان ما دب الصراع بينها، وراح يقاتل بعضها بعضا من أجـل إدارة أحياء أو مؤسسات أو مدن.

كان الجميع لا يملك أي مشروع للدولة، بـل كـان مشـروعهم الوحيد هو إسقاط النظام.. وكان الجميع لا يملكون قيادة موحـدة، بل كانت القيـادة تفـرض عليهم من جهـات أجنبيـة.. وكـانت تركيـا وقطـر والسـعودية وغيرهـا تجمعهم كـل حين لتصـلح بينهم، ثم سرعان ما يعود الصراع بينهم.

فكيف تريد هذه المعارضة من الرئيس السوري أن يعـتزل أو يترك الحكم، ولمن يتركه، وهم لم يسـموا شخصـا واحـدا يتفقـون عليه.. ولم يضعوا مشروعا واحدا للدولة يمكن أن تسير عليه.. بل كان مشروعهم الوحيد فقط هـو التخلص من النظـام للـدخول في عصر الفوضى.

هـذه بعض مظـاهر عمالـة المعارضـة السـورية.. وإلا فـإن خياناتها لا حدود لهـا..وأول خياناتهـا ذلـك التحـريض لمحـور الشـر العـالمي على ضـرب بلـدها.. فـأي وطنيـة لهـذه المعارضـة، وأي أخلاق لها.. وكيف يمكن لدولة محترمة أن تقبل بأن يحكمها عملاء وخونة.

رسالة هادئة إلى المعارضة السورية

إخواني في المعارضة السورية.. وخصوصا أولئك الذين لا يزالون يحافظون على استقرارهم في بلادهم على الرغم من كل ما أصابها من آلام ومصائب وجروح.



لا تتوهموا أني أكرهكم، أو أحقد عليكم، لكونكم خالفتم نظام بلادكم، أو لم تتفقوا مع رئيسه أو بعض مؤسساته أو مؤسساته جميعا، فذلك حقكم الشرعي، الذي لا يجوز لي ولا لغيري التدخل فيه.

وإن شئتم الحقيقة؛ فإنه يمكنكم اعتباري من المعارضة، ليس معارضة نظامكم فقط، بل كل أنظمة العالم؛ فالنظام الوحيد الذي أواليه ولاء مطلقا، وأعمل ليل نهار، وبكل الوسائل المشروعة لتحقيقه هو النظام المقدس الذي يخلص البشرية من جميع أنواع الجور، ويحقق لها جميع أنواع العدل.

وربما الخلاف بيني وبينكم هو في المنهج المعتمد، فأنا أعتمد المنهج السلمي الحضاري، الذي ينطلق من تصحيح المفاهيم، وتربية المجتمعات، وتوعيتها، ورفع مستواها إلى ذلك النظام الإلهي المنشود، لأنه لا يمكن تحقيق العدالة المطلقة في ظل شعب ممتلئ بكل ألوان الجور، فكل فرد فيه يمكنه أن يفسد كل شيء.

وهكذا كان النظام السوري، وكل أنظمة العالم، ليس ضحية لحاكمه فقط، وإنما لكل مدير مرتش، أو شرطي يتعسف في

استعمال الحق والقانون، أو وزير يعقد الصفقات المشبوهة.. فالمشكلة ليست في عمود الخيمة، وإنما في الأعمدة الكثيرة المحيطة به، والتي لا يمكن تطهيرها إلا بالتربية والإصلاح، كما قيل: (كما تكونوا يول عليكم)

بل إن بلادنا، والتي أتاحت للإسلاميين الوصول إلى بعض مناصب الحكم، أو مهام كبيرة في الدولة، لم يكن الكثير منهم بمستوى المسؤولية، ووقعوا فيما وقع فيه غيرهم؛ فهل يمكن استئصال الإسلام أيضا، وحربه بحجة أن هناك من أساء استخدامه؟

لهذا، فإن الفرق بيني و بينكم هو في الأسلوب فقط.. أما الموقف السلبي من النظام، فلكم حريتكم فيه، لكني أتمنى فقط، ألا تنظروا للنظام السوري وحده، فهناك أنظمة مجاورة لكم، وتدعي أنها تساعدكم، ولو أنها ساعدتكم بعشر معشار ما تسلمه لأعدائكم من أموال لما وقعت في بلادكم أي ثورة أو أي فتنة.. ولو أنها بدل تلك الأموال التي اشترت بها الأسلحة وسلمتها لكم ليقتل بعضكم بعضها استثمرتها في بلادكم، لصار كل الشعب سوريا غنيا، مكتفيا بذاته، ولم يحتج إلى أي ثورة، ولا إلى أي عنف.

لأن العنف لا يمكن أن يؤدي إلى أي نتيجة، ولو أن دولتكم سقطت، وصار الأمر لتلك السرايا والألوية والجيوش التي يوالي كل واحد منها دولة من الدولة لتحولت دمشق وحلب وكل المدن السورية إلى مقاطعات ودويلات فاشلة.

لهذا، فأنا عندما دعوت إلى حفظ النظام، والحفاظ على الرئيس والمؤسسات والجيش لم أكن إلا ناصحا لكم، فالرئيس هو رمز الوحدة، وحتى لو اختلفتم معه، فإن الوضع غير مناسب لتصفية الحسابات.. فالأمن القوي أهم من كل شيء، وأنتم ترون بلادكم تضرب من أمريكا وإسرائيل.. وترون آبار نفطكم محتلة من أمريكا ومن مرتزقتها، فهل ترون أولئك اللصوص الذين يحجبون خيراتكم عنكم ناصحين لكم؟

عودوا إلى وعيكم، واستعملوا الطرق السلمية في المعارضة، وقبلها حافظوا على وحدتكم وانسجامكم، فأنتم في بلاد كريمة دعا لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبركة، بل القرآن الكريم ذكر ذلك عنها.

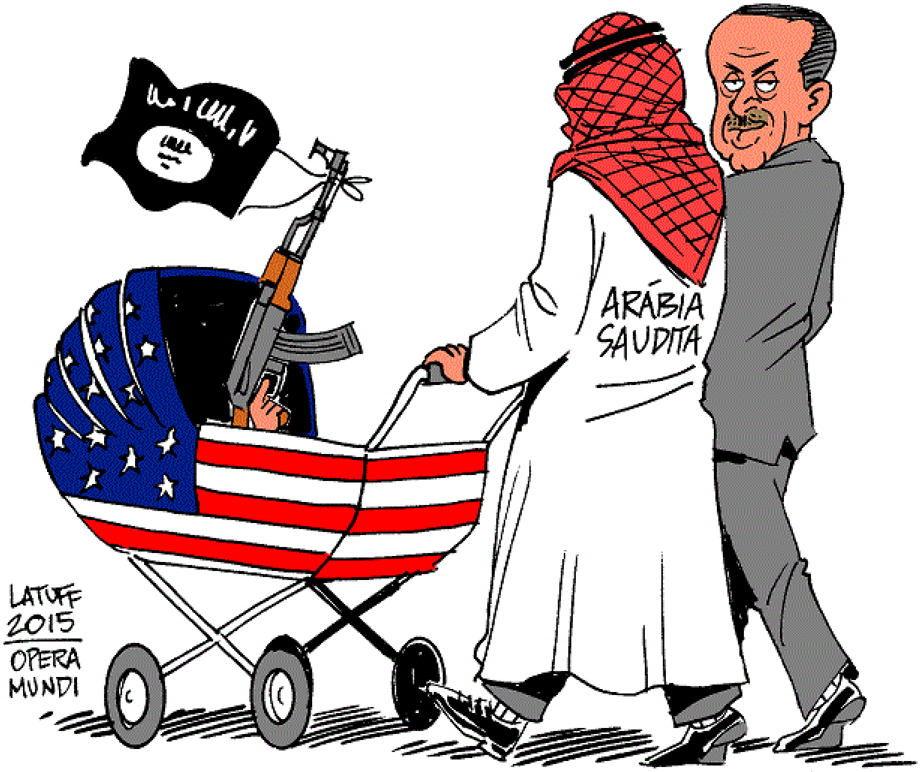
ويشهد الله أنه قبل أن يحصل في بلادكم ما حصل من الفتن كان الكثير من بلادنا وبلاد العالم الإسلامي يفدون إليكم، ليتعلموا من علمائكم، ويستفيدوا من تجاربكم، وكانت أخبار منجزاتكم في كل المجالات تصلنا، وكانت سلعكم المتقنة التي تصنعونها بأيديكم وخبراتكم محل إعجاب منا؛ فالكل يشتريها، ولو بأبهض الأثمان.

لقد كنتم أملا في تطور هذه الأمة، ولم نكن نتصور أبدا أن تلك العقول الجبارة التي تحملونها، يمكنها أن تسمح لكم بالاستماع لدول لا تعرف انتخابات حرة ولا حرية إنسان، وهم يذكرون لكم أن رئيسكم قمع المظاهرات السلمية، فليجربوا أن يجروا مظاهرة واحدة في بلادهم التي تنهب ثرواتها على الملأ.. هم يحرّمون على أنفسهم مجرد الخروج والمطالبة بحقوقهم في نفس الوقت الذي يطالبونكم فيه بحمل السلاح.

هناك كلمات كثيرة كنت أود قولها لكم.. لكني أتركها لعقولكم، وتفكيركم السليم، فإنه وحده سيصل بكم إلى بر الحقيقة والأمان، لتعود سورية مشعلا من مشاعل الحرية يضيء للعالم أجمع.

المواقف.. والنفاق

يتصـور البعض أن النفـاق خـاص فقـط بعبـد اللـه بن أبي بن سلول، أو بأولئك الذين ذكرهم القرآن الكريم، وكانوا أكبر حجــاب بين الدعوة الإسلامية والخلق..



النفاق ليس خاصا بهؤلاء.. ففي كل عصـر من المنـافقين مـا تنوء بهم الأرض، وأبشعهم أولئك الذين يتظاهرون بالتقوى والورع، وهم يمارسون أخطر أنواع التضـليل والدعايـة الكاذبـة باسـم اللـه والدين.

وحتى تكتشفوا أنفسكم، وهل أنتم منافقون في مـواقفكم أم لا.. فتصــوروا معي لــو أن العــدوان الثلاثي الأثيم الــذي حصــل لسورية حصل مثله للسعودية؛ فكيف ستكون مواقفكم، مـع العلم أن الدولة السعودية هي التي وفرت كـل أنـواع الخـدمات لأمريكـا وإسـرائيل وغيرهمـا.. ولـو أن الأمـوال الـتي وضـعتها بيـد أمريكـا

وضعت مثلها في الـدول العربيـة الفقـيرة لتحـولت كلهـا إلى دول غنية.

ولكني مع ذلك متأكد أن المظاهرات سـتخرج في بلاد العـالم الإسلامي كله تندد بالجريمـة، وتعتبرهـا عـارا على الغـرب، وتعتـبر السـاكتين من العـرب والمسـلمين خونـة.. وسـتكتب القصـائد الكثيرة، وسيجند شباب كثير للدفاع عن أرض الحرمين، وسـيكون أكثرهم من تلك البلاد الفقيرة الـتي لم تلتفت لهـا السـعودية، ولم تعرها أي اهتمام.

لكن سورية المسكينة المظلومة.. تضرب مرة من إسرائيل.. وأخرى من أمريكا.. وأخرى من فرنسـا وبريطانيـا.. ويسـلب جـزء من أرضها الذي فيها مؤونتها من البترول، ومع ذلك لا يتحرك أحد، ولا يبكي أحد.. وكأنها من كوكب آخر.

لا أزال أذكـر جيـدا كيـف أنـه عنـدما قتـل بعض الإرهـابيين العائـدين من سـورية بعض الفرنسـيين قـامت الـدنيا ولم تقعـد، وأقيمت المآتم، وأرسـل شـيخ الإسـلام ومشـايخ الفتـوى للـرئيس الفرنسي برقيات التعزية.. لكنهم عندا يتعلق الأمر بسورية لا نرى بيانات، ولا نسمع خطبـا، ولا تصـريحات.. وكـأن الإنسـان السـوري بعوض أو ذباب لا قيمة له.

هـذا هـو النفـاق بعينـه، ومن كـان هـذا حالـه فلـيراجع قلبـه، وليضعه في الإنعاش قبل أن يموت، وحينها لن يعرف معروفا ولن ينكر منكرا.

عزمي بشارة.. والصهيونية العربية

لم يكن برنار هنري ليفي ــ الفيلسوف الفرنسي اليهودي ـ وحده الصهيوني الذي اخترق الإعلام العربي والحركات الإسلامية، بل هناك أيضا [عزمي بشارة]، وهو أخطر منه بكثير، ذلك أن ليفي اقتصر على نخبة محدودة، وشعوب معينة، أما عزمي بشارة، فقد دخل كل بيت، وساهم في غسل كل العقول التي أدمنت على الجزيرة، واستسلمت لتوجيهاتها.



وعزمي بشارة هو ذلك الفلسطيني الذي تخلى عن فلسطينيتة وعروبته، منذ أقسم على الولاء لإسرائيل[1] في شبابه الباكر عندما انضم للحزب الشيوعي الإسرائيلي، فى مطلع سبعينات القرن الماضى.. ثم حين أصبح بعدها عضوا في الكنيست الإسرائيلي ولثلاث مرات.. وكل هذه المناصب لا تتاح إلا لمن أظهر ولاءه التام للصهيونية، وتبناها، لأنها لا تتبنى إلا من تبناها.

---

1) نص القسم هو: (أقسم أن يكون ولائي فقط لدولة إسرائيل وأن أخدم وبولاء الكنيست الإسرائيلي.. أقسم أن يكون انتمائي وبكل أمانة لدولة إسرائيل وأن أقوم وبكل أمانة بواجباتي في الكنيست الإسرائيلي)، هذا هو القسم الذي أقسمه القومي العربي عزمي بشارة حينما فاز في عضوية الكنيسة لعام 1996..

بالإضافة إلى ذلك، فقد ولـد في عائلـة آثـرت أن تقيم الكثـير من أواصر المـودة مـع الصـهاينة المغتصـبين للأرض الفلسـطينية، وقــد ورد في الســيرة الذاتيــة لحياته(2) أن أبــاه [أنطــوان] كــان نشيطا في الحـزب الشـيوعي الإسـرائيلي، وكـان متحمسـا لقـرار التقسيم، أما أمـه المدرسـة، فقـد عُـرفت بعلاقاتها المشـبوهة مع أجهزة الأمن الصهيونية.

وقـد عمـل عـزمي ــ أثنـاء حصـوله على عضـوية الكنيسـت الصهيوني ــ نائبـاً لـرئيس معهـد فـان لـير الصـهيوني، وهـو معهـد متخصـص في الواقـع الصـهيوني ومسـتقبله، ورسـم السياسـات ودراسات الهوية وقضايا المجتمع.

وكـان المعهـد، وقبـل تـولي عـزمي بشـارة ذلـك المنصـب الحســاس فيــه، أصــدر دراســة شــهيرة بعنــوان (إســرائيل على مشارف القرن الـ21)، حددت الغايات والأهـداف القومية للكيـان الصهيوني.

ومن الأيــديولوجيات الــتي تبناهــا: (العمــل على زرع ونشــر عوامل الفرقة والتشـتت والتحـزب الفكـري في البلـدان العربيـة، وبما يؤدي إلى زيادة التطرف الديني والطائفي والعرقي، والقضاء على فكرتي القومية العربية والتضامن الإسلامي وإحلالهما بفكـرة التعاون الإقليمي الشرق أوسـطي، وتوظيـف الأصـولية الإسـلامية وأيـديولوجيات الأقليـات في المنطقـة لصـالح الكيـان الصـهيوني، وذلك في تعاون وثيق مع قوي التطرف الصليبي في العالم)

وتنســب التقــارير لــه الكثــير من الأطروحــات الــتي تبناهــا الإسلاميون إبان الحراك العـربي، بـل إنـه سـبق وأن تحـدث عنهـا خلال عمله في المعهد الصهيوني، في مقالة له بعنوان: [الفــوارق بين السياسة الدينية والتدين السياسي]

ولذلك فإن كل الطروحات التي نسمعها من الجزيرة وغيرهـا

---

2) انظر: عزمي بشارة .. واللعب بين المتناقضات، أ. إعداد مجلة البيان، و«عزمي بشارة».. الشيطان المحرض للدويلـة القطريـة والمخطـط الفعلي لسياستها الخارجية، شبكة فراس..

من القنوات، كان قد خطط لها سابقا، قبل أن تقوم بعملية غرس ثقافي لعقول الذين يجلسون أمامها ويسلموها عقولهم، ثم يتصورون أن تلك الطروحات التي جاء بها عزمي بشارة وغيره طروحات إسلامية.

وقد ورد في بعض التسجيلات المسربة بين بشارة ووضاح خنفر المدير العام المقال لقناة «الجزيرة» خلال شجار بينهما بحضور اثنين من العاملين في الجزيرة، عندما احتج وضاح بشدة على تدخلات بشارة في إدارة قناة الجزيرة وقيامه بتوجيه العاملين فيها، وهو ما اعتبره وضاح استخفافا مباشرا به كمدير عام للقناة.

حينها قال خنفر أثناء الشجار بعد أن وصل غضبه حدا فقد فيه السيطرة على نفسه: (أنا باعرف أنك يا عزمي تمثل الموساد في قطر، وأن انتقالك إلى قطر جاء نتيجة اتفاق بين الأمير حمد ورئيس الوزراء الإسرائيلي لتنفذ دورا ما!)

فما كان من بشارة إلا أن رد بهدوء قائلا: (لاتتقوى بسادتك في المخابرات الأمريكية فسوف أربيك وأعلمك الأدب، وعدم ترك لسانك الوسخ يتلفظ بكلام سوف يؤدي إلى قصة)

فرد عليه وضاح بعصبية أشد وهو لا يعلم حجم ومدى تغلغل الموساد في قطر قائلاً: (سنرى من سيبقى في قطر أنا أم أنت؟)

وبعد يومين اتصلت شخصية إسرائيلية كبيرة بأمير قطر هاتفيا، وأبلغته انزعاجها من قيام وضاح خنفر باتهام عزمي بشارة بأنه عميل للموساد أمام اثنين من العاملين في الجزيرة، وقال له: (إن وضاح أرعن وأنه -أي المسئول الإسرائيلي- اتصل بالمخابرات الأمريكية وأبلغها احتجاجها على ما قام به وضاح خنفر من تعريض عزمي بشارة للخطر الشديد، وبعد الاتصال مباشرة أمر أمير قطر بإقالة وضاح خنفر فورا وطرده من قطر، إلا أن وزير الخارجية حمد بن جاسم توسط لأجل إبقائه والمحافظة على كرامته فقبل أمير قطر مقترح وزيره)

والتقارير الدالة على كونه عميلا صهيونيا كلف بإدارة الحراك

العربي، كثيرة جدا لا يمكن ذكرها في هذا المقال القصير، ولذلك نكتفي بوصف بعض المقربين منه، والعارفين به قبل أن يتبوأ ذلك الدور الخطير في تحريك الشعوب العربية، وهي كلها تتفق على أنه ـ ككل شخصية تستثمر في هذا المجال ــ (شخصية متعجرفة وأنانية وتستغل الأبعاد الطائفية لمصلحة بقائه رأساً في سلم التجمع)

وقد وصف عبد الله نمر تجربته معه أثناء الترتيب للانتخابات المحلية للأحزاب العربية داخل الكيان الصهيوني، فقال: (تجربتي مع هذا الرجل عزمي بشارة أنه سريع الغضب، متكبر، استعلائي، دكتاتوري في قراره، لا يلتزم بالأخلاق، أخلاق الصحبة، ولا يرد المعروف لأصحابه إلا بالنكران)

ووصف الدكتور عادل سمارة أخطر ما فيه، فذكر (قدرته على اكتساب الشخصية الأكثر سوقاً ورواجاً وفي الوقت المناسب. ناهيك عن استعداده وقدرته بحكم الثقافة على التلون والتكيف بشكل عام. هنا تعود إلى الذهن مسألة المثقف العضوي الثوري، والمثقف المرتشي والمنسلخ عن طبقته وحتى أمته بحيث يصبح مثقفاً عضوياً بالمعكوس أي لصالح نظام الحكم والطبقة التي كان يفترض أن يكون معادياً لها. هذا اللون من المثقفين هو مثقف المرحلة المهزومة ومقتضياتها)

أما الكاتب عاطف الجولاني، فقد وصفه بقوله: (إن بشارة الذي كان عضواً في حزب راكاح (الحزب الشيوعي الإسرائيلي)، الذي يعترف بالكيان الصهيوني بكل فخر، وبالتالي فهو حزب غير قومي بغض النظر عن وجود عناصر كثيرة طيبة في أوساطه، لكن بشارة غادر هذا الحزب ليولد من جديد كقومي متحمس! ولكنه قومي من طراز عضوية الكنيست التي تقسم الولاء لدولة اليهود، وتظل قومية تطالبنا بالتصفيق لها.. وفوق هذا وذاك يرأس بشارة نفسه منظمة [مواطن] في رام الله وهي منظمة غير حكومية ممولة من الإدارة الأمريكية وحكومة ألمانيا. و من المهم الإشارة إلى أنها أدوات تطبيع مع الكيان وتسويق الهيمنة الامبريالية في الوطن العربي، وهكذا يجمع د.بشارة بين التمويل

الصهيوني لحزبه كونه عضو كنيست، وبين القومية العربية، والتمويل الأمريكي، وتقديم تقارير عن الوساطة بين الحكومة الصهيونية والنظام السوري، والمنظمات غير الحكومية والصداقة مع السوريين)

أما الأستاذ [زاهد عزت]، وهو من المقربين جدا من بشارة، بل هو ساعده الأيمن، فقد قال عنه: (إن هناك الكثير من الأخطاء الكامنة المستترة في مسيرته تحت ستار [المخفي أعظم]، لقد حصل الدكتور عزمي على أول دفعة دعم دولاري من صندوق فورد وهو صندوق أمريكي له زبانيته الخصوصيين... كانت الدفعة الأولى على ما جاء على لسان مقربيه بقيمة 4 ملايين دولار...)

وقال: (إن من عملوا وما زالوا يعملون مع الدكتور عزمي في حزبه وجمعياته يعرف أن هناك الكثير من علامات الاستفهام حول النجاحات الإعلامية الخارقة التي حققها خلال عشر سنوات ظهوره السياسي المباشر.. إن من عملوا أو ما زالوا يعملون مع د.عزمي في حزبه وجمعياته المنتشرة في الجليل، الناصرة وحيفا خاصة، يعرف الكثير مما قد يقوم به أو يرتكبه هذا المفكر العربي الكبير وكواحد ممن عاصروه وعملوا إلى جانبه فيما بين 1995 – 1996.. أي أيام التحالف بين الجبهة وحزبه.. إذ وصفه أمامي بأنه تحالف استراتيجي، جاء ليصد الهجمة الأصولية للحركة الإسلامية)

أما الكاتب [نارام سرجون]، فقد اعتبر دوره في الحراك العربي، وخصوصا في سورية بأنه لا يقل عن دور الفوهرر الألماني في برلين، حيث أن الفوهرر يعتبر نفسه الزعيم المفكر للأمة الذي يقودها إلى السعادة والخلاص، ويتحمل وحده مسؤولية القرار..

هذه بعض شهادات المقربين منه، والتي تصف شخصيته بدقة، وهي الشخصية التي طبع عليها المواطن العربي، لأن عزمي بشارة عبر توجيهاته المباشرة، أو من خلال تدريبياته لصحفيي الجزيرة، لم يكن ينقل للجمهور إلا صورة عن شخصيته الممتلئة بالصراع، ولذلك صرنا لا نرى إلا الصراع، ولا نسمع إلا صراخ المتصارعين.

قذارة اسمها فيصل القاسم

ليعذرني القراء الكرام على هذا الوصف، ولكني بعد بحثي في القاموس العربي لم أجد ألطف منه، ولا أحق به.. فهو قذارة بكل الاعتبارات..



ذلك أنه ببرنامجه الشيطاني الخبيث في تلك القناة الشيطانية الخبيثة، يمثل دور المصارع للثيران، أو المحرش بين البهائم، أو ذلك الشيطان الرجيم الذي لا يستريح إلا إذا سمع السباب والشتائم والصراع، ويستريح أكثر إذا تحولت الشتائم إلى لكمات أو عنف أو أي شيء مؤلم وقبيح.

كان في إمكانه ـ لو كان طيبا، وصاحب نية صالحة ـ أن يجعل من برنامجه وسيلة للبحث في المشتركات، فيدعو الخصوم ليصلح بينهم، ويبحث عن المشتركات لينطلق منها لتصحيح المختلف فيه، كما هو شأن المسالمين والطيبين.. لكنه لم يفعل ذلك لأن شيطانه الرجيم لا يرتاح لذلك؛ فالشيطان لا يحب إلا

الصراع.

وليت الأمر وقف عنده.. بل إن منهجه ولد في واقعنا آلافا.. بل عشرات الآلاف من النسخ المستنسخة منه.. والذين تجد الزبد يتطاير من أفواههم، وهم يحارون مخالفيهم بكل وقاحة وسوء أدب.

وعندما حلت الفتن بسورية لم يجد القائمون على الحرب الناعمة مثله وسيلة لإشاعة الخصام، والدعوة إلى الصراع؛ فكان يستعمل كل وسائل الكذب والخداع، ليضرب بلده، ويشوهها، مع أنه يعيش في بلاد لا تزال أنظمتها مستمدة من قوانين القبيلة البدائية.. لكنه لم يتحدث عنها، بل يكتفي فقط بدعوة الشعوب إلى إثارة الفتن في البلاد التي تختلف مع شيوخ القبائل الذين آووه وأطعموه وبنوا له القصور، وسلموه الأموال، ليسلمهم كرامته وإنسانيته، ويصبح مجرد حمار يركبونه متى شاءوا، ويستعملونه في حمل أي قذارة شاءوا.

أنور مالك.. عمالة ونذالة

مع كثرة من أفرزتهم الفتنة ا في سورية من الخونة والعملاء إلا أنني لم أجد أشد نذالة ولا عمالة ولا مكرا من ذلك الذي سمى نفسه [أنور مالك]، فقد اجتمعت فيه كل الصفات التي تجعل الأنوف تزكم من رائحتها المنتنة.. لكنه للأسف وجد من عقول القطيع من يستمع له، وقد كان الأولى بهم قبل الاستماع له معرفة تاريخه، وعلاقته ببلده وجيش بلده، وموقفه منهما، ليعرفوا أن من حرض على سورية هو نفسه من حرض على الجزائر، ولا يزال يحرض.



لا أريد أن أدخل في متاهات الفضائح، ولكنني أترك لكم أن تبحثوا في تاريخ الرجل، وفي تصريحاته التي تعلقت بالجزائر، قبل أن تذعنوا لتصريحاته وخدعه التي تتعلق بسورية، ذلك أن الذي كذب على بلاده وباعها لأعدائه لا يمكن أن يوثق فيه أو في حديثه عن بلاد أخرى.

وليت الأمر توقف عند هذا العميل الخائن على التصريحات والمقالات والكتابات.. بل إنه تعداها ليوظف في أول وظيفة قذرة وجهت لحرب سورية، وهي إرساله ضمن مراقبي الجامعة العربية في سوريا، وكأن الجزائر عقمت من الشهود العدول، ومن

الحياديين الذين لا يبيعون أنفسهم، فاختير ذلـك العميـل الفـار إلى أوروبا ليصبح أخطر شاهد زور في التاريخ.

فمع أن تلك البعثـة الـتي أرسـلها من كـانوا يخططـون لهـدم سورية أواخـر عـام 2011 لم تجـد في سـورية إلا الأمن والأمـان، والنظام المحكم، والحريـات المتاحـة، بـل إن رئيس البعثـة نفسـه [الفريق اول محمد احمد مصطفى الـدابي]، والـذي عقـد سلسـلة اجتماعات مع المسؤولين السوريين، وتجـول في المـدن السـورية صرح تصريحات كثيرة كـانت عكس مـا يأمـل أولئـك الـذين أرادوا إدخال سورية في متاهات الحروب (1)..

إلا هـذا العميـل الخـائن الـذي راح يـؤدي دوره القـذر، فيتهم اللجنة نفسها، والتي أرسلتها الجامعة العربية بناء على ثقتها فيهـا، بكونها تعرضت لإغراءات منعتها من أداء دورها.

ومنـذ ذلـك الحين، وهـو يطـل على كـل قنـوات الفتنـة الـتي حولت منه بطلا وزعيما، لأنه العملة التي يبحثون عنه، فهـو يطبـل ويزمـر مـتى شـاءوا، ويـرقص مـتى شـاءوا، ويبكي وينـدب مـتى شاءوا.

وهـــو في إقامتـــه في أوروبا(2)، وتحت حمايـــة القـــوانين الأوروبين يكتب ويصـــرح في كـــل مـــا يحطم الوحـــدة العربيـــة الإسلامية، فقضيته ليست القـدس ولا فلسـطين ولا تطـور الـدول العربية والإسلامية لتخرج من عباءا التخلف، وتركب عجلة التنمية، وإنما قضيته هي في نخر هـذه الوحـدة، ونشـر الطائفيـة، والقمـع الفكري المرتبط بها.

لهذا انتدبه أسياده للتبشير بالنظم الرجعيـة الـتي يـؤمن بهـا، ويقدرها، ويحترمهـا، حـتى أنـه راح يـدافع بكـل قـوة عن تحريمهـا

---

1) انظـر موقع bbc عـربي: رئيس بعثـة المراقـبين العـرب إلى سـورية: لمسنا تجاوبا من كافة الأطراف، 27 ديسمبر/ كانون الأول 2011..

2) انظر مقالا مهما بعنوان: من هو أنور مالـك مـع من يتعـاون وعن من يدافع ومن يحميه؟، موقع المرصد الجزائري.

لقيادة المرأة للسيارة.. بل يدافع عن كل التيارات المتطرفة التي أرسلتها لتشوه الإسلام الأصيل والقيم المرتبطة به.

وهو في برجه العاجي في أوروبا يدعو الدول العربية ذات الطابع الجمهوري لأن تتمرد على حكامها وأنظمتها لتصبح خانعة ذليلة للدول ذات الصبغة الملكية، فهو يؤمن بالنظام الملكي، ويقدره، ويدعو إليه.

لا يمكنني أن أتحدث عما فعله هذا العميل، ويمكنكم أن ترجعوا لتاريخه لتروا تفاصيل ذلك.. لكن اعلموا فقط بأن ذلك الشاهد الذي اعتمده أولئك الخونة لتبرير الحرب في سورية كان صاحب سوابق قضائية، ودخل السجن في قضايا نصب واحتيال، لاسيما منذ 2001 إلى 2006، وبعدها فر من الجزائر مدعيا أنه ضحية ممارسات سياسية وتعذيب وركب موجة المعارضة، واستفاد من حق اللجوء السياسي بدولة أجنبية بعد سنة 2006، أي بعد صدور ميثاق السلم والمصالحة الوطنية حيث بدأ أبناء الجزائر يعودون إلى وطنهم [1].

ومنذ ذلك الحين وهو يحشر أنفه في كل شيء.. ليس في سورية فقط.. بل في الجزائر [2].. وفي كل أرض إسلامية يحرض

---

1) انظر: المرجع السابق، وقد ذكر فيه: ومن انحرافاته المسجلة في سجل سوابقه العدلية ما يلي: تزوير جواز سفر باسم أحد أقاربه المتوفى، وانتحال الصفة والتزوير واستعمال المزور، وطبع وحيازة محررات تشيد بأعمال إرهابية، وحيازة المخدرات والنصب والاحتيال وخيانة الأمانة، و التزوير في محررات رسمية، والإشادة بالإرهاب والتحريض عليه.

2) من الأمثلة على ذلك أنه في عام 2011 ظهر عبر الاعلام المغربي ليصرّح في مجلة المشعل المغربية الاسبوعية، وهي أكثر المجلات اثارة في المغرب، بأن نفط الجزائر مغربي المنبع وانّه يتوجب على الجنرالات في الجزائر اقتسام هذا النفط مع المغرب، وظهرت تصريحات مالك هذه على غلاف المجلة ليتفاجأ الجميع بهذه التصريحات حتى شعرنا انّنا امام رواية بوليسية خيالية بامتياز! وقد تمّ تكذيب تصريحات مالك آنذاك من قبل جيولوجيين نشرت مواقع كثيرة توضيحاتهم في هذا الشأن، أي انها ليس لها امتداد داخل الاراضي المغربية علي الاطلاق..

على الفتنة.. وعلى قمع حرية الفكر.. ويستعمل ما تعوده من أساليب التزوير والنصب والاحتيال.

رسالة إلى خديجة

لاشك أنك ـ يا خديجة ـ قد نلت أموالا كثيرة، ونلت معها جاها عريضا، ونلت قبلهما رضى تاما من كل أمراء الخليج وملوكـه، بـل كـل محـاور الشـر في العـالم؛ فقـد كنت الأمـة والمحظيـة الـتي استطاعت أن تجلب لسادتها كل ألوان السعادة والسـرور.. وتعيـد إحيـاء امـرأة أبي لهب من جديـد، لتجمـع من الحطب، وتنشـر من اللهب ما لم تنشره أم جميل نفسها.



ما عساي أقول لك.. نحن الذين امتلأنا خزيـا وعـارا بسـببك.. كنا نفخر على العالم بجميلة بن حيرد التي وقفت طول عمرها مع المقاومة، وعندما حلت الأزمة بسورية وقفت معها، ومع المقاومة في لبنان وفي العراق وكل أرض.. وكـان الأجـدر بـك أن تتشـبهي بها، وبكل ثوار بلدك الذين وقفوا مـع الشـعب السـوري، وضـد أي تدخل في شؤون أي بلد.

كان الأجدر بك أن تتشبهي بتلك الإعلاميات اللاتي تركن قنـاة الجزيـرة، بمجـرد أن فـاحت روائحهـا المنتنـة.. ومثلهم أولئـك الإعلاميون الأبطال الذين تركوها، وأسسوا إعلاما بديلا استطاع أن يقوض الكثير من مشاريعها.. كان يمكنك أن تلتحقي بهم، وتعيـدي الكرامة التي انتزعتها منا بسبب حرصـك على ذلـك المـال الكثـير والجاه العريض.

كـان الأجـدر لـك، وأنت بنت البلـدة الجزائريـة الـتي عضـها الإرهاب بنابه، إلى أن خلصها الجيش الجزائري البطل، أن تتذكري

تلك الأيام القاسية، التي كان لصوص الإرهاب يقطعون فيها الطرق، ويسلبون فيها الأموال، ويقطعون فيها الرؤوس.

كان يمكنك أن تتذكريها لتعلمي أن ما يحدث في سورية وليبيا ومصر والعراق وكل أرض الله ليس إلا نسخة متطورة من ذلك الإجرام الذي مس بلدك.. فإن كنت قد استنكرت الإرهاب في بلدك، فلم ترضينه في بلاد أخرى؟

كان يمكنك ـ حتى تعلمي حقيقة ما يجري ـ أن تخرجي خارج المدينة التي تقيمين فيها لتري أكبر قاعدة عسكرية أمريكية، وتري الطائرات التي تضرب كل حين كل بلاد تريد أن تخرج من العباءة الأمريكية.

وكان يمكنك ـ حتى تعرفي مظلومية الرئيس السوري ــ أن تقارنيه بأولئك الأمراء والملوك الذين تعيشين بينهم، والبذخ الذي يعيشونه، وأموال الأمة التي يصرفونها ويوزعونها بالمجان لكل قوى الشر، بينما يرسلون الدمار وكل أنواع الأسلحة لإخوانهم في الدين والإنسانية.

هم يزعمون وأنت معهم بأن الرئيس السوري قمع المظاهرات التي قامت بها المعارضة السورية، فهل يسمحون في البلاد التي تقيمين فيها بالمظاهرات، وهل يسمحون بوجود معارضة، وهل يمكن أن تعتبر المعارضة سلمية، وشعارها [الشعب يريد إسقاط النظام]؟

ربما تكونين من أولئك الذين يتصورون أن صكوك الغفران بيد أولئك الشيوخ الذين صاروا عبيد للملوك والأمراء.. كذبوا.. فأولئك ليسوا سوى مجرمين لا يختلفون عن مجرمي السياسة، والدين الذي تأخذينه عنهم دين ضلالة، وليس دينا إلهيا، فالدين الإلهي يحث على المحبة والحكمة والسلام.. ولا يشجع على أي عنف، بل يقول المؤمن فيه بقلبه ولسانه: { لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [المائدة: 28]

لست أدري ما أقول لك.. لكني أذكرك فقط بالنخوة العربية

التي ربما قد فقدتها.. ولاشك أنك فقدتها.. خاصة وقد سمعت وزير الخارجية القطري يهدد بلدك بنقل الحرب إليها، كان يمكنك حينها أن تستعيدي نخوتك، وتهتزي لما قيل عن بلدك.. لكنك لم تفعلي.. ولست أدري.. ربما بريق الذهب، والأضواء اللامعة، وأولئك الذين يكذبون عليك جعلوك لا تبصرين الحقيقة.

في نهاية رسالتي إليك، أذكرك بأنك لا تقلين عن أولئك الإرهابيين لأنك واحد من الذين صنعهم.. فأنت وزميلاتك وزملائك من نشر الأحقاد، وملأ القلوب بالضغائن إلى أن انفجرت بكل أنواع المظالم.. فكل طفل يقتل، وكل امرأة تشرد، وكل بيت يهدم، تتحملين أنت وكل ذلك الطاقم الشيطاني مسؤوليته وجريرته.

لست أدري هل بقي في قلبك شيء يمكنه أن يستوعب مثل هذه الكلمات، أم أن الران قد طبع عليه، والختم قد أغلقه، ولم يبق فيه محل لاستماع أي كلمة، أو التنور بأي حقيقة.

علي الظفيري.. وأولياء الأمور

ربمـــا تعرفـــون ذلـــك الإعلامي الســـعودي المـــدعو [علي الظفيري]، ذلـك الـذي كـان يعمـل في قنـاة الجزيـرة، وكـانت لـه برامج فيها، ولم يترك كلمة نابيـة في حـق سـورية إلا ونطـق بهـا، ولم يـــترك تهديـــدا ولا وعيـــدا إلا رمى بـــه في وجـــوه الملايين أو عشرات الملايين الذين كانوا يجلسون بين يديه كما يجلس المريـد مع شيخه، متأثرين بشهامته ونبلـه ودفاعـه عن الشـعب السـوري المظلوم، وحنقه الشديد على نظامه وجيشه ومؤسساته.



وكـــانوا يـــرون ملامح وجهـــه، وهي تمثـــل كـــل أدوار النفـــاق والخداع، وربما الكثير بنى من كلماته ركاما من المواقف..

وكان مع الجزيرة، ومع قطر الـتي تـديرها في كـل مواقفهـا، فحيثمـا أرادت أن تثـير الفتنـة في دولـة من الـدول اسـتدعته مـع طاقمها ليمارس دوره بكل احترافية..

وبقي على هـــذه الحـــال خمســـة عشـــر عامـــا، يمـــارس دور المرتزق في فن النفاق والخداع.. لكن وبعد أن حصل الشقاق بين المملكـة الـتي ينتمي إليهـا مـع الإمـارة الـتي يرتـزق منهـا، وينفـذ مشـاريعها، راح يقـدم اسـتقالته، لأن بلاده قـررت أخـيرا أن قطـر دولة إرهابية..

والعجيب أن هذا الصحفي الذي كان يصرح كل حين بضـرورة التخلص من الرئيس السـوري والليـبي والمصـري.. وكـل رئيس لا يرضى عنه أمير قطر، أو أمراء الخليج، هو نفسه كتب في تغريـدة يقـول: (طاعـةً للـه وولاة الأمـر حفظهم اللـه، وانحيـازاً للـوطن والتزامـاً بسياسـاته وقوانينـه، أسـتقيل من قنـاة الجزيـرة، متمنيـا التوفيق لكل أهلي وزملائي هناك)

لا تستغربوا من هذه التغريدة، فهذا هو نفسه الذي كان يدعو كل الشعوب لتتمرد على حكامها.. وتثير الفوضى في سـبيل ذلـك حتى تنال حريته..

لكنـه لم يكن يقصـد بلـده، ولا بلاد الخليج تلـك البلاد الـتي لا يصح أن يطـالب أحـد فيهـا بالحريـة، لأن قـدر أهلهـا أن يسـتعبدوا طاعة لله ورسوله وأولياء الأمور.

هذا مجرد مثـال عن قـذارة من قـذارات تلـك الجزيـرة الـتي كنتم ولا زلتم تعبـدونها وتتفرجـون عليهـا كـل مسـرحيات الكـذب والخـداع على سـورية وعلى ليبيـا وعلى كـل البلاد المستضـعفة.. فهل يمكنكم أن تثقوا في أحد آخر بعد هذا؟

للأسف مـرت تغريدتـه واسـتقالته وعودتـه إلى حضـن ملكـه وأمرائه، وكأنه لم يفعل شيئا.. لأن شـعوبنا تعـودت أن تنسـى كـل الجـرائم الـتي ارتكبت في حقهـا، بـل تستضـيف مجـرمين جـددا، لتعـاود الكـرة معهم، فالقابليـة للإجـرام أصـبحت طبعـا، لا يمكن الفكاك منه، ولا تهنأ الحياة إلا به.

وإذا طلبت من أحدهم أن يذهب إلى قنوات أخرى، ليكتشـف الحقيقة، يقول لك بلسان طويل: تلـك قنـوات مواليـة للنظـام، أو للأنظمة، وكأن قناة الجزيرة، وتلك القنوات التي تصدر لها الأوامر من البيت الأبيض والقواعد الأمريكيـة قنـوات معصـومة، وكـل من فيهـا أنبيـاء مرسـلون، أو أوليـاء محفوظـون، أو أئمـة مطهـرون.. وكـأنهم يسـتقون معلومـاتهم من اللـوح المحفـوظ لا من شـهود العيان وشهود الزور.

طبعا لم يكن علي الظفيري وحده من فعل ذلك.. بل كل من

كـان يعمـل في تلـك الجزيـرة من السـعودية وغيرهـا راح يقـدم استقالته، ذلك أن طاعـة أوليـاء الأمـور عنـدهم واجبـة، باعتبـارهم ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كـابر، أمـا طاعـة الشـعوب لحكامهـا، فحرام، بل الخروج هو الواجب عليهم، حتى لـو دمـروا كـل شـيء يملكونه، فحريتهم أغلى من كل شيء.

برنارد هنري ليفي.. إمام الربيع العربي

يتصـور الكثـير من المغفلين أن أولئـك الخطبـاء أصـحاب الأصوات الجهورية، الذين استعملوا كل وسائل التحريض لإسـقاط الأنظمة، وتفكيك الجيوش، وتدمير البلاد والعباد، هم أصحاب فكرة [الربيع العربي]



وهـذا وهم كبـير؛ فعقـولهم أصـغر من أن تفكـر مثـل هـذا التفكير، وهممهم أقصر من أن تمتد خارج دورات المياه وما يحيط بها، وهم فوق ذلك كله أجبن من أن يقدموا على أمر لم يأذن لهم سـادتهم فيـه.. فلـذلك لم يكن لهم من دور في ذلـك الربيـع المشؤوم سوى دور الحمـار الـذي يُـركب، والأداة الـتي تُسـتعمل، والأبواق التي تُرفع بها الأصوات، وتُجتذب بها الجماهير.

أما العقل المفكر.. فهو عقل يهودي.. وصـهيوني فـوق ذلـك، ولكنه لقي الرضـا التـام من كـل المغفلين، والمسـتحمرين الـذين وضعوا أنفسهم أدوات للشـرق والغـرب، يحـركهم كمـا يحـرك أي شيء لا عقل له.

وذلـك العقـل باتفـاق الجميـع هـو عقـل الفيلسـوف اليهـودي

الصهيوني [برنارد هنري ليفي[1]] الـذي لا تخلـو فتنـة من الفتن إلا وشـارك فيهـا، وكـانت لـه صـور مـع دعاتهـا وقادتهـا بمـا فيهم الإسلاميون أنفسهم.. وقد فعـل ذلـك بكـل جـرأة، لكونـه يعلم أن هـؤلاء لا يفكـرون إلا بمـا يشـتهون، ولا يقـدمون إلا من يلـبي رغبـاتهم.. وأعلى رغبـاتهم هي الوصـول للسـلطة، وليس هنـاك أحسن من ذلك الشيطان ليحقق لهم ذلك المطلب، ولذلك وضعوا أيديهم في يديه.

فقد ظهر ذلك الشيطان اليهودي[2] إبان الفتنـة الليبيـة، وهـو يدعو الرئيس الفرنسـي السـابق [نيكـولا ساركـوزي] إلى قصـف ليبيا، ويستعمل كل وسائل الإقناع المنطقية والفلسفية في سـبيل ذلك.. ولم يكتف بذلك.. بل كـان يظهـر مـع الأغبيـاء الـذين سـموا أنفسـهم ثـوارا.. يسـاندهم ويؤيـدهم، ويفعـل معهم مثلمـا يفعـل صاحب الحمار مع حماره إن توقف، أو تكاسل.

وكذلك ظهر في إلى جانب الأكراد، عند مطالبتهم للاسـتقلال عن العراق، بل إنه طالب بدعم قوات [البشـمركة]، وصـور فيلمـا لأجل ذلك عرض بالولايـات المتحـدة وفرنسـا وغيرهـا من الـدول، ليكون وسيلة لتقسيم العراق.

بل إنه دعـا قبـل فـترة قريبـة إلى ربيـع عـربي في الجزائـر، واعترف أحد نشطـاء الحركة الأمازيغيـة الانفصـالية بـأن [ليفـــي] يساند قضيتهم في الانفصال عن الجزائر.

أمـا مـع من يسـمونهم ثـوار سـورية، فحـدث ولا حـرج، فهـو قائـدهم الفكـري، وملهمهم الـروحي، وربمـا يكـون وراء كـل تلـك المسرحيات الكيميائية التي مثلت، وصـور الأطفـال والـدمار الـتي

[1] هو كاتب وصحفي وفيلسوف فرنسي، ولد لعائلة يهودية في الجزائر عام 1948، وانتقلت عائلته لباريس حيث درس الفلسفة واشتهر كاحد الفلاسفة الجدد.. في بداية حياته المهنية اشتغل ليفي كمراسل حربي في بنغلادش عام 1971، وقد شجع في كتاباته ومراسلاته آنذاك على انفصال بنغلادش التي كانت تسمى باكستان الشرقية عن الباكستان. انظر: مقالا بعنوان: شيطان الربيع العربي . . برنار ليفي ادهم إبراهيم، الصدى نت.

[2] انظر: مقالا بعنوان: الفيلسوف ليفي شيطـان الثـورات، 8/10/2016.

صورت.. والـتي كـان الأصـل فيهـا أن تـدعو الإرهـابيين إلى وضـع أسلحتهم، والعودة للدولة، لكنها بمنطق ليفي كـانت تـدعو الدولـة إلى وضع سلاحها، والاستسلام للإرهابيين.

وسرّ ذلك أنه لم يكن فيلسوفا ومفكـرا فقـط، بـل كـانت لـه قدرات إعلامية، ولا نستبعد أن تكـون الجزيـرة والعربيـة وغيرهمـا من قنوات الفتنة تلميذة لتلك الطرق الشيطانية التي تسـللت بهـا إلى عقول المغفلين والمغرر بهم لتحولهم إلى ما نراه من تجاهـل لكل القيم.

والسر الآخر لشخصه أنـه عميـل للموسـاد، بـل هـو من كبـار رجالات الموساد، ولذلك كان أول همومه الدعوة إلى تفكيك جميع الجيوش العربية، وخاصة في الدول القريبة من الكيان الصـهيوني، ولهذا كانت له علاقة طيبة بالإسـلاميين الـذين يكرهـون الجيـوش، ويحبون تفتيتها، حتى تعم الفوضى، وتصبح الكعكة العربيـة جـاهزة لكل من يحب أن يأكلها.

ومن شك في ذلك، فليقرأ ما يكتبه الإخـوان عن جيش مصـر أو عن الجيش السوري أو العراقي، والذين حولتهم قنـوات الفتنـة إلى ميليشات، وليس جيوشا، في نفس الوقت الـذي تسـمي فيـه ميليشيات وعصابات الكيان الصهيوني بالجيش الإسرائيلي.

والسر الآخر لشخصه، وهو أخطـر الأسـرار.. علاقتـه المتينـة برؤســاء العــالم، بحكم أفكــاره الشــيطانية أولا.. وبحكم كونــه مليـارديرا أنيقـا ثانيـا، حـتى أنـه يعـرف في الأوسـاط الإعلاميـة الأوروبية بالرجل المؤثـر القـريب من الرؤسـاء والأثريـاء ورؤسـاء الدول وصناع القرار السياسيين.

فقد كان صديقا مقربا لـ [فرانسوا ميتران] وبعـدها لــ [جـاك شيراك] ثم صديقا مقربـا لــ [سـاركوزي] فقـد كانـا يتزلجـان معـا ويلعبان الجـولف معـا، وأخـيرا صـديقا للـرئيس الحـالي [فرانسـوا هولاند]

وهو دائما متواجـد في منصـة صـناعة القـرار، وفي كثـير من الأحيان يكون فيها صانعا للقرار، بينما الرئيس ينفذ، ولهـذا يوصـف

بـ [الجـنرال ليفي] ذي السـلطة السياسـية القويـة الـتي تـأثر في السياسة الخارجية لفرنسا وأمريكا.

هذا هـو العقـل المفكـر لمـا يسـمونه [الربيـع العـربي]، وهـو سبب الفتن والدماء والخراب.. أما أولئك المغفلون الـذين ينـادون بإسقاط الأنظمة، وتفكيـك الجيـوش، وتخـريب البلاد والعبـاد، فهم ليسوا سوى أدوات، أو عرائس قراقوز، أو..

القسم الثاني

سورية ..
والحرب
الدينية

أنظمة الحكم.. والإسلام

من المغالطات الكثيرة التي نسمعها في الحرب الكونية على سورية اعتبار النظام السوري نظاما محاربا للإسلام ومؤسساته.. وهذه كذبة كبرى لا يمكن لعاقل أن يقبلها.

وربما يكون السبب في انتشارها هو مقارنة موقف النظام السوري من المؤسسات والشخصيات الدينية بالموقف السعودي، أو بغيره من المواقف، وهذا ما يتطلب منا معرفة مواقف الأنظمة المختلفة من الإسلام، وكيفية التعامل معه ومع مؤسساته والشخصيات التي تمثله.



ومن خلال استقراء الواقع الإسلامي نجد ثلاثة أنواع من العلاقات، كلها مبنية على رؤية الدولة للإسلام، ودوره في الحياة، وهذه العلاقات الثلاثة هي:

أولا ـ استقلالية المؤسسات الدينية عن مؤسسات الحكم: وهو ما تطبقه النظم العلمانية عادة، سواء تلك المغالية في علمانيتها، بحيث ترفض اعتبار الدين أصلا من أصول التشريع، أو تلك التي تقبله، ولكن في نواح محددة كالأحوال الشخصية

ونحوها.

ويمكننا اعتبار أكثر الأنظمة التي تتبناها الـدول الإسـلامية من هذا النوع، حيث نجد الأزهـر في مصـر ــ مثلا ــ مسـتقلا في نـواح كثيرة، فله علماؤه وهيئة بحوثه ومفتيه ومدارسه ومعاهـده، وكلهـا مسـتقلة تمامـا عن السـلطة الحاكمـة؛ فلا السـلطة تفـرض على الأزهر ما يقول، ولا الأزهر أيضا يستطيع أن يفرض على الدولة مـا تفعل.

وهكـذا الأمـر في سـورية ــ والـتي تتهم من طـرف مناوئيهـا بالعلمانية ـ مع كونها لا تختلف عن مصر وسـائر الدولـة الإسـلامية في هذا المجال، بل إننا نرى أن المسـاحة المتاحـة للمتـدينين في سورية وخصوصا الصوفية أو مقلدة المذاهب منهم، مساحة كبيرة جــدا، بــل هي أكــثر من المســاحة المتاحــة في كثــير من البلاد الإسلامية.

وهي لم تحــد من حركــة الحركـات الإســلامية والجماعــات السلفية إلا بسبب مواقفها العدائية وخصوصـا بعـد أحـداث حمـاة، والتي اتفق فيها السلفيون والحركيون على اعتبار النظام السوري كـافرا، ويجب حربـه، حينهـا اتخـذت الحكومـة السـورية مواقفهـا المتشـددة مـع هـذا الصـنف من التـدين، متيحـة المجـال الكبـير للمخالفين له.

وهكذا الأمـر في الجزائـر، والـتي كـويت هي الأخـرى بنـيران الإرهاب التي صدرت لها من طرف الحركيين والسلفيين.. ولــذلك نرى البغض الشديد من هؤلاء للجزائر باعتبارها النظـام الجزائـري محاربا للإسلام، بينما هو في الحقيقـة لم يحـارب سـوى التطـرف والعنف والإرهاب والفكر الذي يتبناه.. أمـا سـائر المتـدينين، حـتى الســلفيون المســالمون منهم، فهم يتحركــون بحريــة، ويقيمــون الدروس في المساجد وغيرها من غير أن يمنعهم أحد.

وهــذا لا يمنــع من قيــام بعض العلاقــة الــتي تربــط بين كلا السلطتين الدينية والزمنية، فالرئيس الجزائري الشاذلي بن جديــد مثلا كان متأثرا بالشيخ محمد الغزالي، ويستشيره في أمور كثيرة،

وكان الشيخ الغزالي يثني عليه كثيرا، ويذكر أنه إنسان صاف على الفطرة، وكان ينصح الإسلاميين بأن يستفيدوا من وجوده، لكنهم طبعا لم يفعلوا.

وهكذا كان الشيخ البوطي مع النظام السوري، والذي كان مقربا جدا من كلا الرئيسين حافظ الأسد، وابنه بشار الأسد، فكلاهما يكن احتراما كبيرا للشيخ البوطي، وقد استثمر البوطي تلك المحبة والتقريب في خدمة الإسلام والتدين في بلده خير استثمار.

وهكذا أيضا كانت العلاقة الودية بين الطرق الصوفية وجمال عبد الناصر، والتي وصلت إلى حد أن قال شعراوي جمعة وزير الداخلية في ذلك الحين في مقال بعنوان [شعراوي جمعة وشهادته للتاريخ]: (حينما مات عبد الناصر كان علينا وسط مشاهد الحزن ومشاعره الفياضة أن نعمل على وضع ترتيبات خاصة لحماية الجثمان بعد أن وصلتنا معلومات تفيد بأن الطرق الصوفية ستتكالب على النعش وتخطفه لتطوف به مساجد وأضرحة أولياء الله الصالحين في القاهرة)

ثانيا ـ التحالف بين المؤسسات الدينية ومؤسسات الحكم: وربما لا يوجد لهذا الصنف من العلاقة سوى نموذج واحد هو تلك العلاقة التي تربط بين آل سعود باعتبارهم ممثلين للسلطة الزمنية، مع آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب باعتبارهم ممثلين للسلطة الدينية.

والعلاقة القائمة بين هذين الحليفين ليست كالعلاقة السابقة، المبنية على استقلال كل طرف بالمجال المتاح له، وإنما هي علاقة تحالف؛ فكلاهما يخدم الآخر، ويلبي مطالبه.

أما مطالب آل سعود من آل الشيخ، فهي أن يعطوهم الشرعية الدينية لحكمهم، بحيث يشيعون بين المجتمعات ــ لا السعودية وحدها، وإنما في جميع العالم الإسلامي ــ أن الحكم السعودي حكم إسلامي، ولا يجوز الخروج عليه، بل لا يجوز نقده، وإنما يكتفي فيه بالبيعة المطلقة، والتسليم المطلق، من غير

استعمال أي وسيلة للتغيير السلمي.

ولم يكتــف آل الشــيخ ومن تبعهم من رجــال الــدين في السعودية بتنفيذ هذه المطالب، بـل راحـوا يشـيعون أن السـعودية هي النمـوذج الأمثـل للنظـام الإسـلامي، ولـذلك يعتبرونهـا الدولـة الإسلامية الوحيدة، ومـا عـداها دول علمانيـة، بـل يعتبرونهـا دولـة التوحيد، ومن عداها دول للشرك.

ومن الأمثلة على ذلك[1] قولـه الشـيخ محمـد بن إبـراهيم آل الشـيخ: (الحكومـة دسـتورها الـذي تحكم به هو كتـاب الله وسـنة رسوله ﷺ، وقد فتحت المحاكم الشرعية من أجل ذلك .. وما عـدا ذلك فهو من حكم الجاهلية)

وقال: (محاكم هذه المملكة لا تتقيد بأي قانون وضعي، وإنمـا تسير في أحكامها وفق ما تأمر به الشريعة الإسلامية.. حكومتنـا – بحمد الله – شرعية دستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ)

وقال الشيخ تقي الدين الهلالي: (الشعب السعودي والمملكة السعودية بقيادة ملكها الإمام المصلح جلالة الملك فيصـل والأئمـة السابقين من أسلافه رحمهم الله لم يزالوا يحكمون شـريعة اللـه، ويتخذون القرآن إماما والسنة سراجا، يضيئان لهم ظلمات الحيـاة الدنيا بانتشـار الأمن على الأنفس والأمـوال والأعـراض في بلادهم إلى حـد لا يوجـد لـه نظـير في الـدنيا.. ولا يحكم حـاكم في جميـع أرجائه إلا بشريعة القـرآن، فكيـف يسـتطيع مسـلم أو منصـف أن يسوي بينهما وبين من يحل مـا حـرم اللـه، ويحكم بغـير مـا أنـزل الله)

وقال الشيخ عبـد العزيـز ابن بـاز: (آل سـعود - جـزاهم اللـه خيرا - نصروا هذه الدعوة، هؤلاء لهم اليـد الطـولى في نصـر هـذا الحق - جزاهم الله خيرا - ساعدوا، نصـروا، فـالواجب محبتهم في الله، والدعاء لهم بالتوفيق، محبتهم في الله)

---

1) انظـر هـذه النصـوص وغيرهـا في مقـال بعنـوان: المملكـة العربيـة السعودية مملكة التوحيد بشهادة العلماء، الشيخ أحمد بازمول.

وقال: (العداء لهـذه الدولـة عـداء للحـق، عـداء للتوحيـد، أي دولة تقـوم بالتوحيـد الآن من حولنـا : مصـر، الشـام، العـراق، من يدعو إلى التوحيد الآن ويحكم شريعة الله ويهدم القبور التي تعبـد من دون اللـــه من ؟ أين هم ؟ أين الدولـــة الـــتي تقـــوم بهـــذه الشريعة ؟ غير هذه الدولة اسأل اللـه لنـا ولهـا الهدايـة والتوفيـق والصلاح ونسأل الله أن يعينها على كل خير ونسأل الله أن يوفقها ؛ لإزالة كل شر وكل نقص علينا أن ندعو الله لها بالتوحيد والإعانة والتسديد والنصح لها في كل حال)

بل ذكر ما هو أخطر من ذلك، فقال: (بعض المـؤرخين لهـذه الدعوة يقول : إن التاريخ الإسلامي بعد عهد الرسـالة والراشـدين لم يشهد التزاما تاما بأحكام الإسلام كما شـهدته الجزيـرة العربيـة في ظل الدولة السعودية التي أيدت هـذه الـدعوة ودافعت عنهـا.. والمملكة العربية السعودية حكاما وعلمـاء يهمهم أمـر المسـلمين في العالم كله ويحرصون على نشر الإسلام في ربوع الـدنيا لتنعم بما تنعم به هذه البلاد)

وغيرها من الشهادات الكثـيرة، والـتي اسـتثمرتها السـلطات السعودية في تمرير الكثير من المشاريع الكبرى مثل إعانة أمريكا في حربها الباردة على الاتحاد السوفيتي، عندما تولى رجال الـدين في السعودية الـدعوة للجهـاد في أفغانسـتان والشيشـان وغيرهـا من البلاد.

ومثل ذلك استثمروهم في تمددهم في إفريقيا وآسيا وغيرهـا حـتى يسـتفيدوا من اعتبـار السـعودية عاصـمة القـرار في العـالم الإسلامي، وقد أقر ولي العهد السعودي الحالي بذلك كله.

ومثل ذلك استثمروهم في المواقـف السـلبية من البلاد الـتي يختلفـون معهـا مثـل إيـران وليبيـا وسـورية والعـراق والـتي نجـد الفتـاوى الكثـيرة من رجـال الـدين السـعوديين الرسـميين، والـتي تساير تماما مواقف الحكام السعوديين.

ثالثا ـ الجمع بين السلطتين الدينيــة والزمنية: أي أن السلطة الدينية تمارس مهام السلطة الزمنيـة، والسـلطة الزمنيـة

تكون تحت رقابة وهيمنة السلطة الدينية، وهذا أيضا لا ينطبق إلا على نموذج واحد هو نموذج [ولاية الفقيه]، والذي تبنته الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ابتداء من مرشدها الأول آية الله الخميني، والذي قال معبرا عن الضرورة الشرعية لهذا النوع من الولاية: (مجموعة القوانين لا تكفي لإصلاح المجتمع، ولكي يكون القانون مادة لإصلاح وإسعاد البشر فإنه يحتاج إلى السلطة التنفيذية، لذا فإن اللَّه عزَّ وجلّ قد جعل في الأرض إلى جانب مجموعة القوانين حكومة وجهاز تنفيذ وإدارة، والرسول الأعظم ﷺ كان يترأس جميع أجهزة التنفيذ في إدارة المجتمع الإسلامي... والحق أن القوانين والأنظمة الاجتماعية بحاجة إلى منفذ)[1]

ولهذا لم تكتف الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتكليف العلماء بالبحث والدراسة واستخراج المشاريع المرتبطة بالنواحي المختلفة، وإنما كلفتهم أيضا بإدارة شؤون الدولة، ومراقبة كل ما يجري فيها، حتى يتفق تماما مع الشريعة الإسلامية.

ولذلك صار القرار الأكبر والنهائي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية خاضعا للفقيه، فهو الذي يتدخل في جميع السلطات، ويراقب مواقفها ومدى علاقتها بالشريعة الإسلامية، فيقر ما وافقها، ويرفض ما خالفها.

وبناء على ذلك يوجد في إيران جميع السلطات المنتخبة، ولكنها جميعا لا تتصرف إلا وفق مقتضيات الشريعة الإسلامية، بحسب اجتهادات الولي الفقيه.

فالسلطة التشريعية، أو مجلس النواب، والذي له أهمية كبرى في إيران، والذي ينتخب عليه الشعب الإيراني، مع أهميته الكبرى، لا يمتلك صلاحية التشريع المطلق، بل هو خاضع لرقابة الفقيه، ولذا تكون وظيفة السلطة التشريعية ترسيم خطوط إدارة البلاد ضمن الإطار الشرعي الذي يحدده الولي الفقيه ولو ضمن آليات ومجالس معينة ، فالولي الفقيه يمضي القوانين التي يصدرها مجلس النواب، وهي لا تملك شرعيتها إلا بذلك.

---

1) الحكومة الإسلامية، ص33.

ومثل ذلـك السـلطة التنفيذيـة، فهي لا تتحقـق بالشـرعية إلا عــبر الانتخــاب من قبــل الشــعب أو التعــيين من قبــل رئيس الجمهوريـة أو غـير ذلـك، بالإضـافة إلى أنهـا لا تملـك سـلطتها الشرعية إلا من خلال الولي الفقيه لأنه هو الذي بيده شؤون إدارة الدولة.

وهكـذا السـلطة القضـائية، الـتي هي سـلطة مسـتقلة عن سابقتيها، فتعيين القضاة ونصبهم إنما هو للفقيه الولي.

وربما يكون العيب الأكبر في هذا النوع من الأنظمة هو كونــه ـ وبالصورة الحالية المطبقـة في إيـران ــ لا يمكن تطبيقـه إلا في البيئات الشـيعية، باعتبارهـا تـؤمن بحيـاة المهـدي، وكونـه الحـاكم الأول للمسلمين، وأنه ولي أمرهم الحقيقي، وأنه في فـترة غيبتـه وكل الفقهـاء ليكونـوا نـواب عنـه، كمـا يـروون عنـه قولـه: (وأمـا الحـوادث الواقعـة فـارجعوا فيهـا إلى رواة حـديثنا فـإنهم حجـتي عليكم وأنا حجة اللَّه)[1]

ولهذا نـراهم يعتـبرون مرشـد الثـورة الإسـلامية نائبـا للإمـام المهدي، ويؤمنون بوجوب طاعتـه المطلقـة، وهـذا مـا لا يمكن أن يتوفر في البيئات السـنية، الـتي يـرى النـاس الفقهـاء فيهـا بشـرا عاديين، لا دور لهم إلا التعريف بالأحكام الشــرعية، دون أن تكــون لهم أي سلطة روحية.

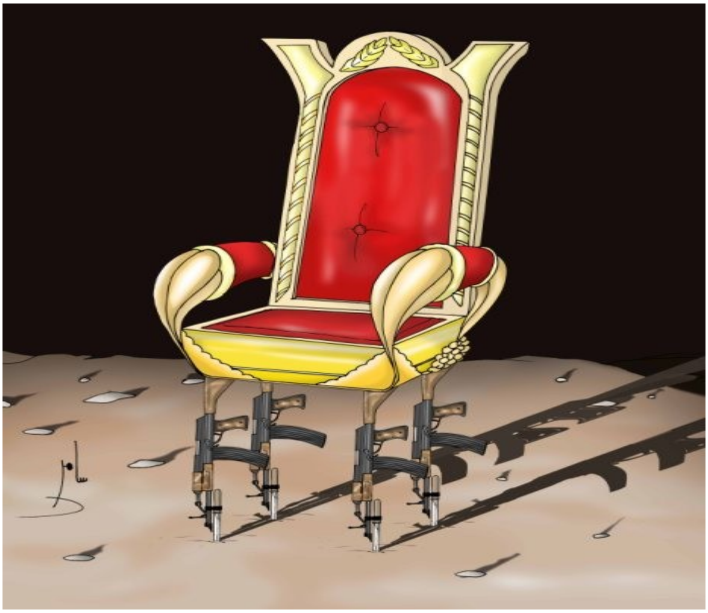
وهذا ما وفر لإيران خصوصا القـدرة على مواجهـة الاسـتكبار العالمي، فلولا ذلك الإيمان العقدي الذي يربـط الشـعب بمرشـده ما اسـتطاع أن يقـدم تلـك التضـحيات الكثـيرة، ويصـبر على ذلـك الحصار الطويل.

---

1) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج27، ص140، ح9.

حكومة المستبد.. والتعامل الشرعي معها

يطالبنا الكثير من المخالفين لنا في الموقف مما يحدث في سوريا وليبيا بترك أهوائنا ورغباتنا وأمزجتنا، وتحكيم الشريعة الممثلة في النصوص المقدسة، وكلام المحققين من العلماء، وبعضهم يطالبنا بالرجوع إلى المرجعية الدينية المرتبطة ببلدنا في ذلك.



ونحن نجيبهم إلى هذا، ونقر لهم به، ونعتبر طرحهم هذا طرحا سليما، فقد أمرنا الله تعالى عند التنازع بالعودة لله ولكتابه ولرسوله ولأولي الأمر، كما قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 59]

وعند العودة إلى القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للدين لا نجد فيه أي أمر بالخروج والقتال للمسلمين الذين كانوا يعانون في مكة المكرمة، بل نجد فيه الأمر بالصبر والصلاة والصفح الجميل، ولم يؤذن لهم في القتال إلا بعد أن صارت لهم شوكة

وقوة يمكن أن يصدوا بها الأذى عنهم، أما قبل ذلك، وطيلة الفترة المكية لا نجد أمرا بالمقاومة المسلحة لأولئك الظلمة الذين كـانوا يؤذون المؤمنين.

وهكذا نجد ما قصه علينا عن الأمم الأخرى، فموسى عليه السلام الذي كان معه الآلاف المؤلفة من بني إسرائيل لم يقاتل فرعون، بل كل ما فعله هو دعوة فرعون، ثم الفرار بقومه من بطشه.

بل إننا نجد في القرآن الكريم دعوة إلى السلم، وعدم مواجهة المعتدي علينا بنفس أسلوبه، وهي آيات كثيرة جدا، من أوضحها قوله تعالى على لسان ابن آدم الأول: { لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ } [المائدة: 28، 29]

وهذا النص الكريم الذي يبين المنهج الصحيح في التعامل مع الظلمة إن كانت لهم الغلبة، وهو ما بنى عليه [جودت سعيد] مذهبه في اللاعنف، ونصح الحركة الإسلامية التي امتلأت أدبياتها وسلوكياتها بالعنف، بأن تذهب مذهب ابن آدم الأول.

أما السنة المطهرة، فلانجد فيها أي تحريض على الخروج والعنف، بل على عكس ذلك، نراها تأمر بالصبر الجميل، ومحاولة تصحيح الأخطاء التي يقع فيها الحاكم الجائر، مع نصحه وعدم مهادنته، وفي نفس الوقت تحريم الخروج المسلح عليه، والذي يؤدي إلى الفتنة وهدر الدماء وتخريب البلاد.

ومن تلك الأحاديث ما رواه مسلم فى صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى، ولا يستنون بسنتى، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس)، فقال له حذيفة:كيف أصنع يارسول الله إن أدركت ذلك؟ فقال ﷺ: (تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك فاسمع وأطع)[1]

---

1) رواه مسلم، حديث (1847).

وفى الصحيحين عن جناده بن أبى أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض قلنا: أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من رسول اللﷺ قال:دعانا النبى ﷺ فبايعناه فقال: فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسؤنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان)(1)

وورد في الحديث منهج التعامل مع هذا الحاكم المستبد وهو قوله ﷺ: (ألا من ولى عليه وال فرآه يأتى شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ولا ينزعن يدًا من طاعة)(2)

وهذه الأحاديث كلها تبين المنهج الشرعي في التعامل مع الحاكم المستبد، وهو التفريق بين ما يأمر به من طاعة، وما يأمر به من معصية، فيطاع في طاعة الله، ولا يطاع في معصيته، ولا يخرج عليه أحد، وخاصة إن علم أن وراء خروجه ذلك فتنة وسفكا للدماء.

وهو ما فهمه العلماء والمحققون من جميع المدارس الإسلامية، سواء من السنة أو الشيعة أو الإباضية أو غيرها.. فكلهم يحرمون الخروج الذي يؤدي إلى الفتنة مثلما يحصل حاليا في البلاد العربية.

والاستدلال بما فعل الإمام الحسين سوء فهم لحركته وثورته، فهو لم يسفك دما، ولم يثر أي فوضى، وإنما خرج بناء على أمر رسول الله ﷺ طلبا للإصلاح في دين جده، وكان الأصل في الأمة جميعا أن تخرج معه، باعتباره الإمام المنصب من رسول الله ﷺ نفسه كما ورد في الأحاديث الثابتة عند السنة والشيعة.. لكن الظلمة منعوه من ذلك، وقاتلوه.

والدليل على ذلك أن كل الأئمة من بعده سواء ممن تبنتهم المدرسة السنية أو الشيعية لم يجيزوا لأتباعهم الخروج على

1) رواه البخارى: حديث(7056) ومسلم حديث (1709).

2) رواه مسلم.

الظلمة والمستبدين، بل طلبوا منهم الصبر والنصيحة، بل حتى الإعانة على الحق، كما فعل يوسف عليه السلام مع محاولة إحداث التغيير وفق الطرق السلمية.

ومن أقوال المحققين من العلماء في المدرسة السنية ما روي عن الإمام أحمد بن حنبل صاحب المذهب الحنبلي، فقد روى حنبل قال: (اجتمع فقهاء بغداد فى ولاية الواثق إلى أبى عبدالله يعنى الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) وقالوا له:أن الأمر قد تفاقم وفشا يعنون إطهار القول بخلق القرآن وغير ذلك ولانرضى بإمارته ولا سلطانه ! فناظرهم فى ذلك وقال: عليكم بالإنكار فى قلوبكم، ولاتخلعوا يدًا من طاعة، ولاتشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم وانظروا وعاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح ويستراح من فاجر، وقال: (ليس هذا ـ يعنى: نزع أيديهم من طاعته ـ صوابًا هذا خلاف الآثار)[1]

مع العلم أن أهل الحديث الذين اجتمعوا للإمام أحمد كانوا مجمعين على كفر القول بخلق القرآن، وكانوا يعتبرون المأمون كافرا بسبب ذلك، بل مصرحا بالكفر وداعيا إليه، ومع ذلك أمرهم بالطاعة.

ومثل ذلك روي عن كبار أئمة المدرسة السنية المتقدمين، فعن الحسن البصرى قال فى الأمراء: (هم يَلُون من أمورنا خمسًا الجمعة والجماعة والعيدين والثغور والحدود، والله لا يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا وظلموا، والله لَمَا تُصلح الله بهم أكثر ما يفسد، مع أن طاعتهم ـ والله ـ لغبطة، وإن فُرْقتهم لكفر)[2]

ولهذا نرى أمثال هذا الموقف مودعا في كتب التوحيد والعقائد، فقد قال أبو جعفر الطحاوي في العقيدة المعروفة التي يتبناها السلفيون والكثير من الحركيين: (ولا نرى الخروج على

---

[1] الخلال فى السنة، ص : (133)، والآداب الشرعية لابن مفلح، (1/195).

[2] آداب الحسن البصرى، لابن الجوزى ص(121).

أئمتنا وولاة أمرنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله مالم يأمرونا بمعصية وندعوا لهم بالصلاح والعافية)

وهذا ما قرره الحافظ أبو بكر الإسماعيلي في كتابه في عقيدة أهل الحديث، حيث قال: (ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والعطف إلى العدل، ولا يرون الخروج بالسيف عليهم ولا قتال الفتنة، ويرون قتال الفئة الباغية مع الإمام العدل، إذا كان وجد على شرطهم في ذلك)(1)

وهو ما قرره أبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث، حيث قال: (ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعية، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل)(2)

وهو نفس ما أقره البربهاري في قوله: (وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب بدعة وهوى وإذا سمعت الرجل يدعوا للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة)(3)

أما شراح الحديث، فكلهم يقرر ذلك، ويمكن الرجوع لكتب الشروح، وفي الأحاديث التي ذكرنا، ليرى مواقفهم، وكنموذج على ذلك قول الصنعاني: (من خرج على أمام اجتمعت عليه كلمة المسلمين فإنه قد استحق القتل لإدخاله الضرر على عباده وظاهره سواء كان عادلا أو جائرا)(4)

---

1) اعتقاد أئمة أهل الحديث، ص (75: 76).

2) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص (93)

3) شرح السنة للبربهاري(107)

4) حاشية ضوء النهار (4/2487-248.

وقال النووي: (لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجـرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئا من قواعد الإسلام)(1)

وقال الشوكانى: (ينبغي لمن ظهر لـه غلـط الامـام في بعض المسائل أن يناصحه، ولا الشناعة عليـه على رؤوس الأشـهاد، بـل كما ورد في الحديث أنه يأخد بيده ويخلو به ويبدل له النصيحة، ولا يذل السلطان اللـه وقـد قـدمنا في أول كتـاب السـير أنـه لايجـوز الخــروج على الأئمــة، وان بلغــوا فى الظلم أى مبلــغ، ماأقــامو الصلاة، ولم يظهر منهم الكفر البواح، والأحاديت الـواردة فى هـذا المعنى متـواترة، ولكن على المـأموم أن يطيـع الامـام فى طاعـة الله، ويعصيه فى معصية الله، فإنه لا طاعـة لمخلـوق فى معصـية الخالق)

وهكـذا نقـل ابن قدامـة إجمـاع الفقهـاء على ذلـك، فقـال: (وجُملة الأمر أن من اتفق المسـلمون عَلَى إمامتـه، وبيعتـه، ثبتت إمامته ووجبت معونته لِمَا ذكرنا من الحديث والإجماع، وفي معناه من ثبتت إمامته بعهد النَّبِي ﷺ أو بعده إمام قبله إليـه.. ولـو خـرج رجـل عَلَى الإمـام فقهـره وغلب النـاس بسـيفه حتَّى أقـروا لـه وأذعنوا بطاعته وتابعوه صـار إمامًـا يَحـرم قتالـه والخـروج عليـه.. وذلـك لِمَـا فِي الخـروج عليـه من شـق عصـا المسـلمين وإراقـة دمائهم وذهاب أموالِهم)(2)

أما ابن تيمية الـذي يـدعي كـل السـلفيين والحركـيين الـذين يؤيـدون الفتن في سـورية وليبيـا وغيرهـا من البلاد التبعيـة لـه، واعتبـاره محققـا، بـل مصـدرا من مصـادر الـدين، ومرجعـا عنـد الخلاف، فقـد وردت عنـه التصـريحات الكثـيرة بمـا ذكرنـاه، ومن أقواله في ذلك: (وأمـا أهـل العلم والـدين والفضـل فلا يرخصـون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمـور وغشـهم والخـروج عليهم بوجـه من الوجـوه كمـا قـد عـرف من عـادات أهـل السـنة

1) شرح صحيح مسلم (12/195)

2) المغني (9/5)

والدين قديمًا وحديثًا، ومن سيرة غيرهم)[1]

أمـا المتـأخرون من العلمـاء الـذين يعتـبرون محققين عنـد السلفيين والحركيين، فقد اتفقوا جميعا على ذلك، فقد قال الشيخ بن باز: (لا يجوز منازعـة ولاة الأمـور والخـروج عليهم لأنـه يسـبب مفاسـدا كبـيرة وشـرا عظيمـا وإذا رأى المسـلمون كفـرا بواحـا عندهم من الله فيـه برهـان فلا بـأس أن يخرجـوا أو كـان الخـروج يسـبب شـرا أكـثر فليس لهم الخـروج رعايـة للمصـالح العامـة والقاعدة الشرعية المجمع عليها: (أنه لا يجوز إزالة الشر بمـا هـو أشر منه، بل ويجب درء الشر بما يزيله أو يخففه)

وقال ابن عثيمين: (فالله الله في فهم منهاج السلف الصـالح في التعامل مع السلطان وان لا يتخذوا من أخطاء السلطان سبيلا لإثـارة النـاس والى تنفـير القلـوب عن ولاة الأمـر فهـذا عين المفسدة وأحدا لأسس التي تحصل به الفتنة بين الناس)[2]

وقـال الألبـانى فى الـرد على دعـاة الخـروج على الحكـام احتجاجـا بقولـه تعـالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَـا أَنْـزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: 44]: (فى هذه المسألة يغفل عنها كثـير من الشـباب المتحمسـين لتحكيم الاسـلام، ولـذلك فهم فى كثـير من الاحيان يقومون بالخروج على الحكام الذين لا يحكمـون بالإسـلام، فتقع فتن كثيرة، وسفك دماء أبرياء لمجرد الحماس الـذى لم تعـد له عدته، والواجب عندى تصفية الاسـلام ممـا ليس منـه كالعقائـد الباطلة والأحكام العاطلة والآراء الكاسدة المخالفة للسـنة وتربيـة الجيل على هذا الاسلام المصفى)

أما الذين يطالبوننا بالرجوع إلى مرجعية بلادنا الفقهية، فنحن أيضا نسلم لهم بذلك، وندعوهم إلى قراءة مصادر الفقه المـالكي، وموقفها من المسألة، ويخضعوا للحق، ويتركوا الأهواء.

ولا شك عند أكثر الناس أن أهم تلك المصادر رسالة ابن أبي

1) مجموع الفتاوى(35/12).

2) انظر: رسالة حقوق الراعي والرعية، ومجموع خطب ابن عثيمين.

زيد القيرواني المالكي (ت٣٨٦هـ) الذي يُلقب بمالك الصغير، فقد قال في رسالته المعروفة، والتي لا يزال طلاب الزوايا في الجزائر يحفظونها: (فمما أجمعت عليه الأمة من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة.. ثم قال: والسمع والطاعة لأئمة المسلمين، وكل من ولي من أمر المسلمين عن رضا أو عن غلبة، فاشتدت وطأته من بر أو فاجر، فلا يخرج عليه جار أم عدل.. ثم قال: وكل ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه، وكله قول الإمام مالك، فمنه منصوص من قوله ومن معلوم من مذهبه)

وقال الدردير المالكي (ت١٢٠١هـ) في كتابه المعروف الذي لا يزال يدرس في الزوايا وغيرها: (اعلم أن الإمامة العظمى تثبت بأحد أمور ثلاثة؛ إما بإيصاء الخليفة الأول لمتأهل لها، وإما بالتغلب على الناس؛ لأن من اشتدت وطأته بالتغلب وجبت طاعته ولا يراعى في هذا شروط الإمامة؛ إذ المدار على درء المفاسد وارتكاب أخف الضررين)[1]

وإن رفضوا الإمام مالك وطالبونا بالعودة للشافعي باعتباره مذهب أهل سورية، فننقل لهم قول الشافعي نفسه: (كل من غلب على الخلافة بالسيف حتى يسمى خليفة ويجمع الناس عليه فهو خليفة)[2]

وقال ابن حجر الهيتمي الشافعي (ت٩٧٣هـ) في [تحفة المحتاج في شرح المنهاج]: (المتغلب يصير كالحاكم لدفع المفاسد المتولدة بالفتن لمخالفته)

وإن رفضوا الشافعية وطالبونا بالمذهب الحنفي باعتباره كان المذهب السائد في العهد العثماني، نقلنا لهم قول الحصكفي الحنفي (ت١٠٨٨هـ) في الدر المختار: (وتصح سلطنة متغلب للضرورة)

---

1) شرح الكبير (٢٩٨/٤)

2) رواه البيهقي في مناقب الشافعي (٤٤٩/١)

وقال ابن عابـدين الحنفي (ت١٢٥٢هـ): (الامـام يصـير إمامـا بالمبايعة أو بالاستخلاف ممن قبله. قوله: (يصـير إمامـا بالمبايعـة) وكذا باستخلاف إمام قبلـه، وكـذا بـالتغلب والقهـر كمـا في شـرح المقاصد)(3)

وإن شـاءوا أن ننقـل لهم من أقـوال فقهـاء وأئمـة المدرسـة الشيعية، فعلنا.. ولكنا موقنون أنهم لا يقرون لهم بدين ولا بإمامة، فلذلك نكتفي بإلزامهم بما ألزموا به أنفسـهم، ومن شـاء منهم أن يرد، فليأتنا بنص واحد لأحد أولئك المحققين يستدل به على إجازة ما يحصل من فتن في العالم الإسلامي.

---

3) حاشيته(٤/٤٥٠)

الإسلام السوري.. والإسلام السعودي

مع إن الإسلام واحـد إلا أن هنـاك قـراءات متعـددة لـه، وقـد تتبنى الأنظمة الحاكمة بعض تلك القراءات، وحينها ينسب الإسـلام إليهـا، ومن هـذا المنطلـق يمكننـا أن نـرى مجموعـة كبـيرة من الإسلامات تمثل كل دولة أو منطقة من مناطق العالم.

وبنـاء على هـذا يمكننـا أن نـرى مجموعـة من الفـوارق بين الإسلامين السعودي والسوري، ذلك أن الحـرب الـتي قـامت على سورية لم تستعمل فيها الأسلحة العسكرية فقط، وإنمـا اسـتعمل فيها كذلك سلاح الدين..



وكما كـان الصـراع فيهـا بين الجيش السـوري وحلفائـه وبين العصـابات الإرهابيـة ومن يسـاندها، كـذلك كـان هنـاك صـراع بين الرؤية السورية الرسمية للإسلام، والتي تبناها علمـاء الشـام منـذ عهد بعيـد مـع الرؤيـة السـعودية للإسـلام والـتي تبناهـا آل سـعود وحلفاؤهم من آل الشيخ منذ زمن بعيد.

وأول فـارق بين الإسـلامين السـعودي والسـوري، هـو ذلـك التنـاقض في المدرسـة الفكريـة الـتي ينتمي إليهـا كلا الإسـلامين؛ فالإسلام السعودي يتبنى القراءة الوهابية للإسـلام، والـتي تنطلـق خصوصـا من مدرسـة ابن تيميـة، والـتي تـرى أن أكـثر الـدول

الإسلامية دول مشركة، لوجود الأضرحة ومقامات الأولياء فيها، ولكونها لا تزال تتوسل إلى الله تعالى برسله وأوليائه، ولا تزال تمارس السلوك الصوفي، وهو سلوك مبتدع، بل كافر عند المدرسة الوهابية.

ولذلك فإن الوهابية بمشايخها وعلمائها ووعاظها، بل حتى بهيئاتها الدينية الرسمية تنظر للإسلام السوري، كما تنظر إلى الإسلام الجزائري والمغربي والمصري، بكونه كفرا وشركا مغلفا بغلاف الإسلام، ولهذا، فإن تكفيرها لعلماء سورية، والشام جميعا، ليس وليد فترة الأسد الأب أو الأسد الابن، بل هي قبل ذلك بكثير.

ففي الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية حاكمة على أكثر بلاد الإسلام صدرت الفتاوى الكثيرة من لدن مشايخ الوهابية بتكفيرها، لا بسبب حكمها المستبد، وإنما بسبب انتشار الأضرحة بينها، وقد سئل الشيخ عبدالله بن عبداللطيف (1339هـ) عن حكم من توقف في تكفير الدولة العثمانية، فأجاب: (من لم يعرف كفر الدولة العثمانية، ولم يفرق بينهم وبين البغاة من المسلمين لم يعرف معنى لا إله إلا الله، فإن اعتقد مع ذلك أن الدولة العثمانية مسلمون فهو أشد وأعظم، وهذا هو الشك في كفر من كفر بالله وأِرك به، ومن جرهم وأعانهم على المسلمين بأي إعانة فهي ردة صريحة)[1]

وقال الشيخ سليمان بن سحمان (ت 1349هـ) معبرا عن هذا المعنى في قصيدة له [2] :

وما قال في الأتراك من وصف كفرهم .. فحق فهم من أكفر الناس في النحل

وأعداهم للمسلمين وشرهم .. ينوف ويربو في الضلال على المللْ

---

1) الدرر السنية، 8/242..

2) (ديوان ابن سحمان) ص 191.

ومن يتول الكافرين فمثلهم .. ولا شك في تكفيره عند من عقلْ

ومن قد يواليهم ويركن نحوهـــــم .. فلا شك في تفسيقه وهو في وجـــلْ

وهذه التهمة وحدها كافية في إثبات شمولية التكفير السلفي لكل المسلمين، بل حتى أحباب سلفهم الأول منهم، بل حتى أحباب ابن تيمية نفسه، لأنهم جميعا، وفي كل العصور، وفي كل الأماكن يعظمون من يعتقدون ولايته، وإذا مات يبنون على قبره ضريحا، ويظلون يزورونه، وقد يقيمون المناسبات التي تسمى الموالد تذكيرا به.

وقد أشار الشيخ علي بن أحمد الحداد إلى هذا التكفير الذي مارسته الوهابية على جميع بلاد العالم الإسلامي، فقال: (ومن قال بكفر أهل البلد الذي فيه القباب وإنهم كالصنم فهو تكفير للمتقدمين والمتأخرين من الأكابر والعلماء والصالحين من جميع المسلمين من أحقاب وسنين)[1]

وبناء على ذلك الموقف القديم كتب علماء الشام الردود الكثيرة على الوهابية، وتكفيرها لهم ولسائر بلاد الإسلام بسبب تلك الأضرحة، أو ذلك التبني للرؤية الصوفية للإسلام.

وبناء على هذا أيضا، استثمر حكام آل سعود هذا الموقف المتشدد من المؤسسة الدينية في مواقفهم من الدول المختلفة؛ فأي دولة يرغبون في إثارة الفتن فيها أو حربها، يستخرجون لها من سجل المشايخ ما يحكم عليها بالكفر، وهو ما يتيح لهم دعوة شعوبها إلى الخروج على الحاكم الكافر، أو المؤسسات الدينية الكافرة، مثلما فعلوا في ليبيا، ولذلك كان أول ما فعلوه بعد قتلهم للقذافي هو تدميرهم لأكبر ضريح موجود في ليبيا ضرح الشيخ الصوفي الكبير [مكين الدين الأسمر]، وقد اعتبروا ذلك إنجازا كبيرا، وكأنهم حطوا الصنم الأكبر الذي كان يعبد من دون الله.

---

1) إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد والقباب على القبور، ص7.

أما الإسلام السوري والشامي عموما، فهو ــ مثل سائر بلاد الإسلام ــ يتبنى رؤية أخرى مفارقة تماما، فهو يؤمن بتقليد المذاهب، ويرى أن عامة الناس أقل من أن يجتهدوا بأنفسهم في التعرف على الأحكام الشرعية، لذلك رأوا المصلحة ــ خاصة في أحكام العبادات ـ في تبني أحد المذاهب الفقهية، والعمل بها.. بالإضافة إلى الممارسات الصوفية، ولهذا قلما نجد شيخا من مشايخ العلم في سورية إلا وله ارتباط ببعض مشايخ التصوف.

وهذا ما طبعهم بسماحة وروحانية كبيرة؛ فالعلم الشرعي وحده لا يكفي لتهذيب النفس، وترقية الروح، ما لم تصحبه الأوراد والرياضات الروحية وصحبة المشايخ التي تفيد في تهذيب السلوك.. ولهذا نجد الاختلاف الكبير بين هدوء ولطف وسماحة مشايخ الشام، مقارنة بتلك الغلظة والشدة في مشايخ نجد.

ولهذا أيضا لا نجد التكفير في الإسلام السوري؛ فهو إسلام ينطلق من التسامح الديني، ويترقى ليمارس دور الداعية الهادئ، لا القاضي المنفعل.

وكمثال على ذلك ما كتبه الشيخ جمال الدين القاسمي (ت 1332 هـ)، وهو من علماء دمشق الكبار؛ فهو مع كونه من علماء الحديث والتفسير، والذين يميل إليهم التيار السلفي إليهم عادة، لكنه مختلف عنهم اختلافا جذريا، فقد كان من دعاة الترفع على الأحقاد، والتعامل مع البشر بإنسانية، لا بما يقتضيه ولاؤهم وبراؤهم، فمن مقولاته في ذلك: (من المعروف في سنن الاجتماع أن كل طائفة قوي شأنها، وكثر سوادها، لا بد أن يوجد فيها الأصيل والدخيل، والمعتدل والمتطرف، والغالي والمتسامح، وقد وجد بالاستقراء أن صوت الغالي أقوى صدى، وأعظم استجابة، لأن التوسط منزلة الاعتدال، ومن يحرص عليه قليل في كل عصر ومصر، وأما الغلو فمشرب الأكثر، ورغيبة السواد الأعظم، وعليه درجت طوائف الفرق والنحل، فحاولت الاستئثار بالذكرى، والتفرد بالدعوى، ولم تجد سبيلاً لاستتباع الناس لها إلا الغلو بنفسها، وذلك بالحط من غيرها، والإيقاع بسواها، حسب ما تسنح

لها الفرص، وتساعدها الأقدار، إن كان بالسنان، أو اللسان)(1)

وقال مدافعا عن المتهمين بالبدعة: (ولكن لا يستطيع أحد أن يقول: أنهم تعمـدوا الانحـراف عن الحـق، ومكافحـة الصـواب عن سـوء نيـة، وفسـاد طويـة، وغايـة مـا يقـال في الانتقـاد في بعض آرائهم: إنهم اجتهدوا فيه فأخطأوا، وبهذا كان ينتقـد على كثـير من الأعلام سلفاً وخلفاً لأن الخطأ من شأن غير المعصوم، وقد قـالوا: المجتهـد يخطئ ويصـيب: فلا غضاضـة ولا عـار على المجتهـد أن أخطأ في قول أو رأي، وإنمـا الملام على من ينحـرف عن الجـادة عامداً معتمداً، ولا يتصور ذلك في مجتهد ظهر فضله، وزخر علمه) (2)

وقال: (دع مخالفك ـ إن كنت تحب الحق ـ يصرح بمـا يعتقـد، فإما أن يقنعك وإما أن تقنعه ولا تعامله بالقسـر فمـا انتشـر فكـر بالعنف أو تفـاهم قـوم بـالطيش والرعونـة. من خـرج في معاملـة مخالفــه عن حــد الــتي هي أحســن يحرجــه فيخرجــه عن الأدب ويحوجه إليه لأن ذلك من طبع البشر مهمــا تثقفت أخلاقهم وعلت في الآداب مراتبهم. وبعد فإن اختلاف الآراء من سنن هذا الكــون، وهو من أهم العوامل في رقي البشر، والأدب مع من يقول فكـره باللطف قاعدة لا يجب التخلف عنها في كل مجتمع. والتعادي على المنازع الدينية وغيرها من شأن الجاهلين لا العالمين، والمهوسـين لا المعتدلين)(3)

وبناء على هـذا لم نـر علمـاء سـورية الرسـميين يـدعون إلى الجهاد في أفغانستان أو الشيشان أو الصـومال، بـل لم يُسـتثمروا من طرف الجهات الرسمية إلا في الدعوة للجهـاد في فلسـطين، وخاصة إبان الحروب التي جـرت بين سـورية والكيـان الصـهيوني،

---

1) الجرح والتعديل ـ ص4.

2) الجرح والتعديل ـ ص10.

3) الجرح والتعديل ـ ص38.

وما أكثرها.

والنتيجة الـتي نخلص إليهـا من هـذا البيـان المختصـر هي أن الخلاف في الحقيقة ليس فقـط بين الإسـلام السـعودي والإسـلام السوري، وإنما بين الإسلام السعودي وجميـع القـراءات الإسـلامية المتواجدة في العالم الإسلامي، لأنها جميعا تختلـف اختلافـا جـذريا مع الرؤية الوهابية للإسلام، وللتوحيد، ولجميع قضايا الدين.

أمـا مـا اسـتخرج في الـوقت الحـالي من حقـد على سـورية وإسلامها وعلمائها، فهو مجرد سهم من السهام المصوبة على هذا البلد الكريم، ولكل بلاد سهامه الخاصة به.

لصوفية في سوريا

أدرك حافظ الأسد الفرصة السياسية الموجـودة في التـدين، خصوصاً في إسلام صـوفي معتـدل يعطيـه شـرعية عـدم محاربـة الدين من خلال التقرب واستخدام المشايخ لتأييد حكمه، شأنه في ذلك شأن الدكتاتوريات في العالم العربي، فعبـد الناصـر مثلاً وفي أعقاب ثورة عام 1952 استخدم السلطة الصوفية لتثبيت شرعيته وتبرير سياساته،

وقد وجد الأسد في التيار الصـوفي خزانـاً بشـرياً لملأ الفـراغ الديني بعد أحداث الثمانينات وما تبعها من هجرة واعتقال العلمـاء والشيوخ المحسوبين على جماعة الإخوان المسـلمين، وكـان على رأسـهم أحمـد كفتـارو المنتمي للطريقـة النقشـبندية مفـتي الجمهوريّة السوريّة السابق الذي بدأت علاقته مـع النظـام مبكـراً وحظي باهتمام وصلة خاصة مع الرئيس الراحل حافظ الأسد. وقد ساهم في بناء "مجمع أبو النـور" في دمشـق الـذي اسـتقبل آلاف التلاميذ في التعليم الأساسـي والجـامعي وعـدد كبـير من العلمـاء والدعاة والفقهاء.

مع اندلاع الثورة في سوريا أصبح بالإمكان تمييز التيارات الصوفية وموقفها من الحراك الجماهيري ففي حين التزمت المؤسسة الدينية الرسمية موقف النظام، حتى أن مفتي الجمهوريّة أحمد حسون أصدر فتوى رسميّة في شهر آذار عام 2012 تعلن وجوب الجهاد دفاعاً عن النظام السوري، واعتبر الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي الذي يرأس الطريقة الكلتاوية أن ما يجري في سوريا مؤامرة غربية، كما أيد النظام صراحةً بعض أبناء الطريقة النقشبندية في حلب خصوصًا أحفاد عبد القادر الجزائري، وكذلك أبناء الطريقة الشاذلية في حلب أيضاً،

قول الباحث في الدراسات الإسلامية والفكر السياسي "عمران سميح نزال": ترجع بعض التحليلات السياسية تشير ضعف الاحتجاجات في مدينتي دمشق وحلب في بداية الثورة إنما يعود إلى الانتشار الكثيف للطرق الصوفية ومشايخها ومريديها في كلتا المدينتين، وبنظرة سريعة لتوزع مدارس أو الطرق الصوفية في سورية نستطيع أن نفهم أموراً كثيرة، فمدينة دمشق تعتبر معقل النقشبندية بحكم وجود رأسها الشيخ أحمد كفتارو أو خلفائه الحاليين فيها، بالإضافة إلى أنها تضم جماعة القبيسيات التي دعم وجودها البوطي.

وبالرغم من صعوبة التميز في المواقف نظراً للتداخل والتشابك وتنوع الطرق الصوفية وغياب التنظيم الموحد، يبدو أن التيار الصوفي الوحيد الداعم للثورة كان جماعة زيد، وقسم من القبيسيات، في حين ظهرت الانشقاقات في بعض من التيارات في العلاقة مع النظام لكن بنسب قليلة.

أهم المبادئ الفكرية التي اعتمدها الشيخ أحمد كفتارو في منهجه التعليمي:

1- اعتماد كتاب الله عز وجل المشروح بالسنة الصحيحة هو أساس النجاح للمسلمين

قال تعالى:«كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر

أولـوا الألبـاب»، «ومـا آتـاكم الرسـول فخـذوه و مـا نهـاكم عنـه فانتهوا».

يقول سماحة الشـيخ: المسـلمون الأول بكتـاب واحـد ومعلم واحد فتحوا نصف العالم القديم.

2- اعتماد تزكية النفس وإحياء القلب بذكر الله للوصـول إلى مقام الإحسان أساساً في التربية الروحية.

قال تعالى: «قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى».

يقول سماحة الشيخ: أكثروا من ذكـر اللـه فـإن الـذكر مـادة الإيمان.

3- فهم الإسلام فهماً شمولياً، وأن الإسلام كل لا يتجـزأ، فهـو علم القرآن والحكمة والتزكية

قال تعالى: «يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم».

يقول سماحة الشيخ: انقسم رجـال الـدين بين صـوفي زاهـد وفقيه جامد.

ومن كلماته: لا نريد صـوفية تشـطح، ولا سـلفية تنطح، ولكن نريد وسطية تنصح.

4- بناء طالب العلم الشـرعي وفـق المنهج القـرآني لتخـريج العالم الحقيقي الرباني، بعيداً عن رواسب العصور، وجمــود الفهم السائد لدى بعض المدارس.

قال تعالى: «ولكن كونـوا ربـانيين بمـا كنتم تعلمـون الكتـاب وبما كنتم تدرسون»، والذي يسعد المجتمع ويستحق لقب الوراثـة عن رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم حيث يقـول عليـه الصـلاة

والسلام: «العلماء ورثة الأنبياء».

يقول سماحة الشيخ: «الـوارث الحقيقي يـرث من الواجبـات والمهام ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم، والشيخ المربي يفنى ويذوب من أجل بناء أمة ورجال».

5- الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال تعالى: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن».

يقول سماحة الشيخ: «الداعي إلى الله طبيب لا قاضٍ».

ومن كلماته: الداعية يجب أن يبلغ الإسلام بلاغاً مبينـاً حكيمـاً، يتناسب مع أساليب العصر، وأدواته.

6- التأكيـد على عالميـة الإسـلام قـولاً وعملاً وذلـك من خلال الأسفار الكثيرة التي قام بها رغم ضـعف صـحته، والـتي بلغت مـا يقارب المـأتي رحلـة لإبلاغ رسـالة الإسـلام في مشـارق الأرض و مغاربها واستقباله لمئات الوفود التي جاءته تنشـد معرفـة حقيقـة الإسلام.

قال تعالى: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

يقـول سـماحة الشـيخ: «في الإسـلام الحقيقي حيـاة العـالم، القرن الواحد والعشرين هو قرن الإسلام».

7- اعتماد مبدأ الوسـطية والاعتـدال وعـدم الغلـو في الـدين والتطرف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يحمل هذا العلم من كلِّ خَلَفٍ عدوله، ينفون عنه تحريف الغـاليين، وانتحـال المبطلين،

وتأويل الجاهلين» أخرجه البيهقي وإبن عساكر وأبو نعيم.

8- نبذ التعصب المذهبي والسعي تحقيق التلاقي والاتفاق بين جميع فئات المسلمين

قال تعالى:«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»، «إنّ الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء».

يقول سماحة الشيخ: « كل الأئمة المجتهدين كانوا يقولون إذا صح الحديث فهو مذهبي و إذا كانت السنة إتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلنا سنة، وإذا كانت الشيعة حب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلنا شيعة».

9- الحوار مع غير المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة وتحقيق التعايش السلمي

قال تعالى: «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً»، «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن».

10- التعاون مع الحكومات الوطنية لخدمة قضايا الدعوة، وتحقيق مصالح الأمة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«الإسلام والسلطان أخوان توأمان، لا يصلح واحدٌ منهما إلا بصاحبه، فالإسلام أُسٌّ، والسلطان حارس، وما لا أس له يُهدم، وما لا حارس له ضائع» رواه الديلمي عن ابن عباس

حسن على كبار علماء دمشق، كالشّيخ عبد القادر شموط،

والشّيخ أمين سـويد، والشّـيخ عبـد القـادر الإسـكندراني، والشّـيخ سـعيد البتليسـي، والشّـيخ عطـا الكسـم، والشّـيخ أحمـد العطّـار، والشّيخ بدر الدّين الحسني، والشّيخ عليّ الـدّقر، والشّـيخ محمـود العطّار،

أخيه الشّيخ صادق حبنّكة، وولده الشّيخ عبـد الـرّحمن حسـن حبنكـة، والشـيخ حسـين خطـاب شـيخ قـرّاء الشّـام، وشـيخ قـراء الشّام من بعده محمد كريّم راجح والشـيخ خـيرو ياسـين والشّـيخ مصطفى الخن، والشّـيخ محمـد سـعيد رمضـان البـوطي والشّـيخ مصطفى البغا، وغيرهم كثير.

الشّيخ جمال الدّين القاسمي

1283-1332 هـ = 1866 -1914م

علاّمة الشّام والمجدّد لدين الإسلام

سورية.. والإسلام السني

من أهم مـــا اســـتعمله الإعلام المغـــرض ومعـــه الحركـــات الإسلامية في حربها على سورية ادعاؤه الانتصار لأهـل السـنة في مواجهة الذين يحاربونهم من الشيعة أو النصيرية، وهـذه كذبـة من أعظم الكذبات التي نبرأ إلى الله أن نقرها، أو نقف مع من يقـول بها.



وأول مــا يــرد على هــذا المــبرر الشــيطاني هــو كــون كــل المؤسسات السورية ـ قبل الحرب وبعدها ـ من جامعات ومدارس وإعلام.. وكـل المتحـدثين من سـورية من مشـايخ وبـاحثين، لم يعرضوا أبدا أي فكر شيعي أو نصيري، بل إن الكثير منهم يعتبرون أعلاما في المدرسـة السـنية، حيث يتتلمـذ عليهم الكثـير من أبنـاء العالم الإسلامي.

لكن هــؤلاء مــع ذلــك يرفضــون هــذا، ويصــمون آذانهم عن سماعهم، ويغلقون أعينهم عن رؤيتهم، ويظلون يصرخون كل حين باضطهاد أهل السنة..

ومقصدهم واضح، فأهل السنة عندهم ليسوا أولئــك المتبعين للمـذهب الشـافعي أو غـيره من المـذاهب الإسـلامية الموجـودين بسورية، والذين يمتلكون الكثير من المؤسسات والمـدارس الـتي تتيح لهم تعليم مذاهبهم وتدريسها.

وليسوا أولئك الصوفية الذين يمتلكون الخانقهات والزوايا، ويتاح لهم القيام بأنشطتهم في جميع المساجد، والذين استنارت الأمة الإسلامية جميعا بتوجيهاتهم وتربيتهم، كما استمتعت بتلك الألحان الروحانية العذبة التي نسمعها منهم.

وإنما أهل السنة عندهم هم أولئك المتطرفين الإرهابيين من أبناء الجماعات الإسلامية السلفية أو السياسية، والذين يريدون بناء دولة منغلقة، لا يمكن أن تتوفر على أي عنصر من عناصر الحضارة أو حقوق الإنسان.

وقد ظهر ذلك واضحا في سلوكاتهم الممتلئة بالعنف والإرهاب، فهم قبل هذه الحرب الجديدة، كانوا قد قاموا بحرب مماثلة في حماه، حيث احتلوها، واحتلوا مؤسساتها، وأذاقوا المخالفين لهم من الصوفية خصوصا الأمرين إلى أن وفق الله الشعب السوري لاستعادة المدينة.

وهم الآن أنفسهم من استثمرهم المشروع الغربي لضرب سورية وضرب غيرها من البلاد، لأنه لا يوجد في الدنيا من يفتقد الوطنية الصادقة، مثلهم، ولذلك استعملهم الغرب في كل حروبه ابتداء من حربه على المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي.

ومنذ ذلك الحين وهو يستعمل هذا الإسلام العنيف الذي يلقبونه زورا وبهتانا [الإسلام السني]، مع أن الإسلام السني الحقيقي هو الإسلام الذي ينتهج نهج رسول الله ﷺ، وهو نهج ممتلئ بالأخلاق والعلم والحضارة، وبعيد عن كل همجية وعنف.

لذلك فإن المصطلح الحقيقي الذي يتبناه أولئك الإرهابيون هو [الإسلام المحرف]، أو هو النسخة الصهيونية أو الأمريكية من الإسلام.. أو هو بتعبير رسول الله ﷺ الإسلام المقترن بقرن الشيطان.. فهو إسلام لا يؤمن بالحوار، ولا بقبول الآخر، ولا بالمنهج السلمي، ولا بالبراءة من الصهيونية وأذنابها.

ولذلك نُجل سنة رسول الله ﷺ أن يقترن بها هذا النوع من الإسلام الذي لم يخدم أبدا سوى مصالح الأعداء، والدليل على ذلك ما يحصل في ليبيا والصومال ونجيريا وأفغانستان وغيرها؛

فهذه المناطق السنية الممتلئة بالصراع لم يحرك الحروب القـذرة فيها سوى أولئك الإسلاميين الذين يفتخرون كـل حين أنهم شـعب الله المختار، وأنه لا يحق لأحـد أن يسـمي نفسـه مسـلما دون أن يمر بهم، ويتتلمذ على أيديهم.

وأكـبر دليـل على ذلـك مـا ذكرتـه بتفصـيل ممـل في كتـابي [كلكم كفرة]، والذي وضعت فيه الأدلـة الكثـيرة على تكفـير تلـك الحركات التي تزعم لنفسها أنها سنية لكل مخالفيها من الصـوفية وأصحاب المـذاهب الإسـلامية؛ فهم يكفـرون بكـل أنـواع التكفـير، ويرمونهم بالبدعة، ويستحلون دماءهم لأجل ذلك.

فأي سـنة هـذه الـتي يزعمونهـا لأنفسـهم، وهم الـذين أبـادوا البشر، ودمروا الحجر، وحرقوا كـل شـيء، ودعـوا إلى حـرب كـل الجيوش، ولم ينجو منهم سوى أمريكـا وربيبتهـا إسـرائيل وأذنابهـا ممن وصفهم رسول الله ﷺ بقرن الشيطان.

القرضاوي.. وأرذل العمر

من مساوئ طول العمر التي ذكرها القرآن الكريم، ما عبر عنه قوله تعالى: { وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا} [النحل: 70]، ولا ينطبق هذا الوصف على أحد كما ينطبق على ذلك الشيخ الذي كان في فترة شبابه وكهولته وشيخوخته محل احترام من كثير من المسلمين، وحتى الذين لم يكونوا يحترمونه كان من الصعب عليهم أن يجدوا مثلبة يمكنهم رميه بها.



وكان في إمكانه بعد كل تلك الفترة الطويلة، أن يتقاعد عن كل تلك الوظائف التي يعمل فيها، واللجان التي يرأسها، والرحلات الكثيرة لكل بلاد العالم التي يقوم بها.. ليترك المجال لغيره من العلماء، الكهول أو الشيوخ، لكنه أبى، بل إنه في تلك الفترة الحرجة من عمره، وهي أرذل العمر راح يؤسس [اتحاد العلماء المسلمين]، ويصير هو رئيسه، وأمينه العام، وكل شيء فيه.. وراح يحدد أصناف من يطلق عليهم هذا الاسم، فانتقى كل شاذة وشاردة، ليستثمرها بعد ذلك أعداء الأمة في حربها لها.

عندما رد إلى أرذل العمر انكشف المستور، وظهر لنا

شخصه الباطن المختفي وراء تلك الكلمـات المعسـولة، والخطب الرنانة، والحكمة الرشيدة.. حينها راح يغير على كل ما قام به في حياته من محاسن ليحولـه {كَسَـرَابٍ بِقِيعَـةٍ يَحْسَـبُهُ الظَّمْـآنُ مَـاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا } [النور: 39]

كان في مراحل حياته السابقة، يدعو مع صديقه الشيخ محمد الغزالي إلى وحدة الأمة، والتقارب بين المذاهب الإسلامية، ويحذر من كل تلك الخطابات الطائفية الـتي يقـوم بهـا علمـاء السـعودية وغيرهم من ذوي التوجهات السلفية، بل إنـه ذهب إلى الجمهوريـة الإسلامية الإيرانية، وأشاد بها، ووقف ضد أعداء حـزب اللـه حينمـا رفضوا الدعاء له.

لكنه.. وبعد أن رُد إلى أرذل العمـر راح يغـير على ذلـك كلـه؛ فراح يصف العلماء الطائفيين بالحكماء، وراح يتهم نفسـه ـ لأجـل إرضائهم ـ بكونه كان مخطئا، وأقل بصيرة.. لكنهم ما إن أبـدوا لـه طلاقة وجوههم في الصباح، حـتى عبسـوا في وجهـه في المسـاء، وحولوه إلى ورقة محروقة، ورموه ورموا اتحاده بالإرهاب.

وهكذا، وقف مع سورية قبل الفتنة، وأشاد برئيسـها، وأخـبره أنهم سـيتآمرون عليـه.. ولم يكن يـدري أنـه سـيكون أكـبر أولئـك المتآمرين.

وهكذا، كان يدعو إلى الحكمة، وانتهاج المنـاهج السـلمية في التغيير والدعوة، لكنـه تحـول بعـد ذلـك إلى إرهـابي، يحـرض على الإرهـاب، ويجمـع المـال والسـلاح ليسـلمه لشـذاذ الآفـاق الـذين تحولوا فيما بعد إلى داعش والنصرة وغيرها.

وهكذا، كان يثني على صـديقه الشـيخ محمـد سـعيد رمضـان البـوطي، وروحانيتـه، وقـد سـمعت ذلـك بـأذني.. لكنـه راح يفـتي بقتله، وقتل كل العلماء الذين يقفون مع النظام، وفي وقت تأبينـه بدل أن يطرح أحقاده، ويقول كلمة طيبة عنه، راح يتهمه بالعمالـة والخيانة، ناسيا أنـه يصـبح في بيـوت الأمـراء، ويمسـي في بيـوت الملوك.

وكـان يحـذر من أمريكـا، وصـار يسـتجديها، ويطلب منهـا أن

ترمي بقنابلها على ليبيا وسوريا وتحرق كل المنطقة حتى يتمكن هو وأصحابه من قيادة العالم.

وكان يحذر من إسرائيل، ويتوعدها بأن يحاربها بنفسه، لكنه صار يسترضيها، ويخبرها أن ثوار سورية الذين يدعمهم حتى لو وصلوا الحكم، فلن يفعل لها شيئا.

وهكذا لو تتبعنا ما فعله به طول العمر، لاستعذنا بالله منه، أو لفعلنا مثلما كان يفعل أولئك العلماء الأتقياء الحكماء؛ فقد كانوا إذا بلغوا سنا معينة تفرغوا لعبادة الله، وتركوا كل المناصب، وما معها من الجاه والمال.. مثلما فعل أبو حامد الغزالي ومصطفى محمود، والكثير من العلماء والصالحين..

اضرب في المليان

هذه العبارة التي استعملتها قنوات الفتنة ورعاتها وقطيعها وسيلة لتشويه العلامة المفتي الشيخ علي جمعة، والتي لقيت استهجانا كبيرا من طرف الكثير مما جلعهم يسقطون ذلك الشيخ الجليل من عيونهم، ويجعلون سبه دينا، والتحذير منه دعوة، تدعوني إلى أن أسألهم هذه الأسئلة البسيطة ليجيبوا بها أنفسهم، ولا عليهم أن يجيبوني، فأنا لا أملك لهم ضرا ولا نفعا.



وأول سؤال هو عن ضرب الناتو وأمريكا لليبيا، وفتوى القرضاوي وغيره بجواز التعاون معهما.. وهي موثقة في المصادر المختلفة، والتي تتبناها الحركات الإسلامية نفسها.. فهل طلب القرضاوي وغيره من علماء الفتنة من أمريكا والناتو أن يضربوا بالرصاص المطاطي، أو بالقنابل المسيلة للدموع، أم أنه طلب منهم أن يضربوها بالمليان، بل بالأسلحة الذكية، وبالصواريخ والطائرات المتطورة؟ وهل كانت تلك الأسلحة المتطورة تقتل نملا وبعوضا، أم أنها كانت تقتل بشرا مسلمين.. بل من أهل السنة والجماعة الذين تدّعون أنكم حماتهم وأنصارهم؟

والسؤال الثاني هو عن طلب القرضاوي الذي تدينون له بكل أصناف الولاء، وتعتبرون عصمته المطلقة، هو ومن معه من علماء

الفتنــة، أمريكــا بــدعم المســلحين الــذين يقــاتلون ضــد الجيش السوري، وقوله لهـا، وهـو على منـبر رسـول اللـه ﷺ في الدوحـة عاصـمة القاعـدة الأمريكيـة الكـبرى: (نشـكر الولايـات المتحـدة الامريكية على تقديمها السلاح للمقـاتلين بقيمة 60 مليـون دولار، ونطلب المزيد) [1]، وقولــه لهــا: (أمريكا تخــاف على اســرائيل، وتخاف أن ينتصر المسـلحون في سـورية ويـذهبوا الى إسـرائيل.. من أين جئتم بهذا الكلام؟)

وقوله لها، وهـو يـذكرها بفعلهـا الجميـل في ليبيـا: (لمـاذا لم تفعل أمريكا مثلما فعلت في ليبيــا؟.. على أمريكا أن تــدافع عن السوريين، وأن تقف وقفة رجولة، ووقفة لله، وللخير والحق)

فهل كـان هـذا الاسـتجداء اسـتجداء للأسـلحة المطاطيـة، أم للأسلحة المخصصة للعرض، وليس لقتل الأبرياء من أبنــاء الجيش السـوري، الـذين ليسـوا سـوى أبنـاء للشـعب السـوري، فـالجيش السوري لم يأت من المريخ، بل وراء كل جندي عائلات كثيرة.

وعندما قيل لـه: إن طلبـك من أمريكـا والنـاتو دعـوة لحـرب صليبية في المنطقـة، راح يتلاعب بالألفـاظ، ويحتـال على العقـول الضعيفة المخدرة، الـتي تتـأثر بنـبرة الصـوت، قبـل أن تتمعن في معناه.

قــد يقــال بــأن القرضــاوي فعــل ذلــك لمواجهــة الاســتبداد والجريمة.. لا بأس نسلم لكم ذلك جدلا.. فما دام هو الوصي على حرية الأمة، فلماذا أهدر دماء الموالين للنظـام الليـبي والسـوري، لم يفت بهدر دماء الموالين للأنظمــة الـتي انطلقت منهــا القــوات الأمريكيــة لتــدمر أفغانســتان والعــراق، وهي الأرض الــتي يســكن فيها، ويعيش في ظلال أمرائها؟

ولماذا لم يطالب بهـدر دم مُجـرم الحـرب الأمـريكي [جـورج بوش] قاتل الملايين من المسلمين، كما طالب بهـدر دم القـذافي وبشــار الأســد، أم أن بــوش عنــده عــادل وصــالح، ولم يــر من

---

1) انظر مقالا بعنوان: القرضاوي يشكر أمريكا ويدعوها لضرب سـورية، نشر بالقدس العربي، احمد المصري..

المستبدين في العالم إلا ذينك الحـاكمين اللـذين مـا أفـتى بإهـدار دمهما إلا لكونهما عدوين للملوك والأمراء الذين ارتضـى أن يكـون خادما لهم بعد أن آووه وأطعموه وأغنوه؟

لا تجيبوني أنا.. فأنا لا أملك لكم ضـرا ولا نفعـا، ولكن أجيبـوا أنفسكم، واخلعوا تلك الثيـاب الـتي تضـعونها على عيـونكم آذانكم حتى تفروا من الحقائق.. ولا تهتموا بي ولا بمصـيري، فأنـا صـادق مع نفسي ومع ربي ومع الحقيقـة، ولـو كنت كاذبـا معهم، لسـرت كما يسير التيار، وغردت كما يغـرد السـرب، ورعيت مثلمـا يـرعى القطيع.

العرعور.. مهرج الفتنة السورية

لكـل فتنـة رؤوس وأذنـاب، ومفكـرون وإمعـات، ومهندسـون ومنفذون، وميزة ما يسمونها الثورة السورية أنها أضافت إلى كـل أولئـك وظيفـة جديـدة هي وظيفـة [التهـريج]، والـتي تولاهـا كبـار سياسييها وإعلامييها ورجال دينها.



ويتربع على رأس هـؤلاء المهـرجين جميعـا، المـدعو [عـدنان العرعور]، ذلك الذي أخرجته الفتنة السورية، كنموذج لرجل الدين الذي يجمع بين قراءته للقرآن الكريم، حديثه بحـديث رسـول اللـه ﷺ مع قدرة فنية عجيبة على التهـريج والتلاعب باللسـان، وبجميـع ما آتاه الله من أعضاء.

فمن يتابع أحاديثه وتصريحاته ووقوفه وقعوده وحركـات يديـه وعينيه، وتمطيط شفتيه، وإدارة خده.. وغير ذلك كلـه من حركـات جسده، يرى مواهب كبيرة جدا في التمثيل الكوميدي تعودنـا على رؤيتها من الممثلين المحترفين، ولم نتعود عليها من رجـال الـدين ودعاته.

وقدرة هذا المهرج الذي استطاع أن يتلاعب بعقـول الملايين،

وخاصة في بداية ما يسمونه ثورة سورية، لا تكمن فقط في التلاعب بجسده، وإنما أيضا بالكلمات والعواطف؛ فقد كان يشجع من يسمونهم ثوارا، ويخطب الخطب الحماسية في دعوتهم للتصفية الجسدية للجيش السوري وللشبيحة التي هي الشعب السوري، ولكل من يقف في طريقهم، ويخبر بحماسة شديدة عن الكثير من الانتصارات الزائفة التي كانت تتحقق عندما يحتل المسلحون المدن أو المؤسسات، أو يضع صورا لجثث الجيش السوري، وكأنها جثث نازيين أو مستعمرين.

لكنه وبعد أيام معدودة، وعندما يستعيد الجيش السوري زمام المبادرة، ويعيد المؤسسات إلى أحضان الدولة، والمدن إلى سكانها الأصليين، يقوم متباكيا كالمرأة الثكلي، ويضع أيضا صورا لأولئك الإرهابيين، وهم قتلى، ثم يصيح في الأمة أن تثأر لهم، لأن بشارا يقتل شعبة.. وأحيانا يرتفع صوته بالبكاء، ولا يستطيع التوقف إلى أن تتوقف الحصة.

وأحيانا يظهر بمظهر المستجدي الشحاذ، وكم أخرجت لنا الفتنة السورية من شحاذين على أبواب البيت الأبيض وأبواب البرلمانات الأوروبية لا يستجدون أموالا فقط، وإنما يستجدون جميع أنواع الأسلحة لضرب مؤسسات دولتهم، وقتل من لا يواليهم من شعبهم.

وقد جمع في تلك الحصص التي يلقيها وغيرها أموالا كثيرة، ثم اتهمته المعارضة السورية التي كان يدافع عنها بسرقة الكثير من تلك الأموال؛ فصار يخصص حصصه للدفاع عن نفسه ونزاهته، ويخصص أخرى لمواجهة الفصيل الذي واجهه من المعارضة والتحريض عليها.

وكان في كل حين تتغير ملامحه عندما يشعر أنه أفرط في التهريج؛ وأن ما ذكره من الدعوة إلى الثورة على النظام السوري، قد يفهم منه الثورة على غيره من الأنظمة، حينها يسارع، فيصطنع بعض الجد، ويتظاهر بالحكمة، ولكنه بدل أن يوجه حكمته لبلده، يوجهها إلى بلاد أخرى، وخصوصا تلك الدول التي رعته وآوته وأعطته من أموالها لينفذ مشاريعها، فكان كل

حين يشيد بها، ويبين أن العالم يتآمر عليها، وينصح رعيتها بأن تتمسك بها.

لا يمكنني أن أصور مشاهد ذلك المهرج، ولكني كلما رأيته وسمعت كلماته تذكرت قوله تعالى: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: 175، 176]

فهاتان الآيتان الكريمتان تصور حقيقته الباطنة خير تصوير، فهو شخص قد غلبته العدوانية والسبعية والبهيمية، فهو ينبح كما ينبح الكلب.. ولكنه في نفس الوقت جبان رعديد لا يختلف عن الكلب، فلذلك يتحول بسرعة إلى كلب وفيّ يمص العظام التي يرميها سادته إليه، ثم يمضي في تنفيذ أوامرهم.. ليبتلعها الحمقى والمغفلون وتمتلئ شوارعنا ومساجدنا بمقلديه من المهرجين.

القرني.. ومشيخة البلاط

من الشخصيات التي كان لها حظها الوافر في سفك الدم السوري، ويمكن اعتبارها من القيادات الاجتماعية الكبرى التي كان لها دورها في التحريض والإرهاب، من يطلق عليه لقب [شيخ البلاط] عائض القرني، ذلك الذي اجتذب ملايين العقول المعطلة، لا لفضل علم أو حكمة أو أخلاق عالية، أو مواقف قوية، وإنما للسان سليط يعرف كيف يجمع المفردات، وينسق بينها، لتصطدم في طبلة أذن المواطن العربي، مثل رقصات متناغمة، فيرقص معها، من غير أن يدرك ما يقال، ولا أن يحلله، ولا أن يعرضه على الموازين التي جعلها الله في عقله.



وقد اكتسب هذا الشيخ الإرهابي لقبه هذا [شيخ البلاط] من ذلك التزلف المقيت الذي يبديه لكل ملك من ملوك السعودية، أو أمير من أمرائها، وقد اكتسب من وراء ذلك التزلف ثروة ضخمة، وجاها عريضا، ومقبولية واسعة.

فهو في كل مناسبة من المناسبات يشكر البلاط السعودي بملوكه وأمرائه، ويعتبر السعودية وحكامها نعمة كبرى، ويعتبر حكمهم حكما إسلاميا لا يجوز الخروج عليه، ولا نقده.

ومن الأمثلة على ذلك أنه عند استضافته على قناة بداية في

الحلقة 18 من برنامج [حياتـك]، وأثنـاء حديثـه راح يـدعو بخشـوع للأمـير محمـد بن سـلمان قـائلا: (اسـأل الله أن ينصـره ويتـولاه ويسعد أيامه ويصبح من الظاهر والباطن)

ثم راح يقول له بيتـا من الشـعر العـامي: (لا يلتفت للملـوك، ولاعيال الملوك ... يقص رأس الملك، ويقول صب قهوة)

وعند سـؤاله عن الـوطن، وكيفيـة الحفـاظ عليـه قـال: (حب الوطن إيمـان، انتمـاء، ولا يخـون الـوطن إلا خـائن، ولا يتخلى عن الوطن إلا ناقص، دفع الدم عن الوطن شهادة)

وقال: (الدفاع عن الوطن واجب، وحمايته شرف، وحبه وفاء، والحفــاظ على أمنه أمانــة، والمشــاركة في بنائه رســالة إيمانية إنسانية حضاريّه)

ثم راح يثني على السـعودية، بنظامهـا الحـالي، معتـبرا إياهـا جنــة الأرض، وفردوســه الأعلى، وأن على المســلمين جميعــا أن يوالوها، ويحبوها وينصروها، باعتبارها ـ كما يذكر ـ (جبريل جاء في بلدنا ما جاء في لنـدن أو بـاريس، منا عمر والمثـنى صـاحب الثلـة وخالد بن الوليد وما أكثر أمثاله، حفظ الوطن والله إنه يبري العلة نلبسه تاج عز ونحفظ أفضاله..)

بل إنه ومن قدرته على التزلف كتب يقول في تغريدة له بعد مـوت الملـك السـعودي السـابق: (في ليلـة واحـدة نـودّع ملكًـا، ونستقبل ملكًا بلا انقلاب ولا صواريخ ولا ضجيج)

وهو يستثمر الوسائل التي تتاح له ليجـدد بيعتـه للملـك وولي عهـده كـل حين، ومن ذلـك قصـيدته الـتي أنشـدها نجم الفلكلـور السعودي فهـد القـرني، والـتي يقـول فيهـا: (باسـمك اللهم رفعنـا البيرق الأخضر.. يا صلاتي على المختار وأصـحابه.. مـا نبغي ثـورة أكتوبر وسبتمبر .. عندنا بيعة في الشرع غلابة.. كب قانون هولاكو معا هتلر.. نهجنا سنة المختـار واكتابـه.. واللـه مـا يـدخل الأوطـان مستعمر.. دام فينا مليك يفتل أشنابه.. ما طمع بأرضنا كسـرى ولا قيصـر.. لأن قـدامهم للمـوت طلابـة.. مهبـط الـوحي والإسـلام

والمنبر.. مولد المصطفى الهادي وطلابه)

وكان كثيرا ما يتملص من الأسئلة المحرجة التي يسأل عنهـا، والتي يرى أنها قد تـؤثر في علاقتـه بـالملوك والأمـراء، ومن تلـك الطـرق في التملص التهـرب من الحـديث في السياسـة، ومن الأمثلـة على ذلـك أنـه عنـدما صـدرت الأوامر الملكية بالإطاحـة بـالأمير متعب بن عبداللـه وعـدد آخـر من الأمـراء والمسـؤولين، والذي كانت له بهم علاقة جيدة، وسـئل عن ذلـك راح يقـول: (أنـا لسـت بمحلـل سياسـي، وأبشـركم وأبشـر الإخـوة أني تبت من السياسة منذ سنوات، وتبت إلى الله ومن تاب إلى الله تـاب اللـه عليه، طلقتها بالثلاث لا رجعة بعدها، وتبت إلى الله)

ثم قال: (الشـأن العـام لـه محللين، والسياسـة للسياسـيين، والاقتصـاد للاقتصـاديين، عنـدنا في السـعودية اقتصـاديين، وعنـدنا رياضيين لهم في الشأن الرياضي، أما أن أدخل أنا في قـل قضـية مثلا اتهـدم جسـر رحت شـاركت مثلا في أزمـة في الميـاه رحت وشاركت ومثلا مستشفى فيـه مشـكلة.. ليسـت مهمـتي، مهمـتي تبليغ الدين والآيات والأحـاديث ومـا يصـلح الفـرد وأخـاطب الكبـير والصـغير والمـرأة والرجـل بالحسـنى وبالموعظـة الحسـنة، وهـذا منهج القرآن ومنهج الأنبياء)

لكن هذه التوبة ليست توبة عامة، بل هي خاصة بالبلاط الذي يعمل فيه، أما سائر البلاطات، فهي عنده مباحة، وخاصـة إذا كـان لهـا عـداوة مـع البلاط الـذي يعمـل فيـه، ولـذلك كـان من الأسـود والوحوش التي هجمت على سورية، وحرضت عليها أيما تحريض.

ولا نزال نذكر قصيدته التي قالهـا، والـتي حولهـا بعضـهم إلى أنشـودة تثـير الحماسـة في نفـوس الإرهـابيين للمزيـد من القتـل والتدمير، والتي يقول فيها:

أيها السوري زدهم	أمطر الجو ببرقٍ
دكدك الظالم مّزق	ادفَن الباغي وقطّع
كن كميناَ كن جحيماَ	كن عذاباً من زؤاما

اشحن البندق بالنار   تتقي الموت فإن

اذبح العلج على   ثم رتل قل هو الله

واهجر الدنيا ولا   لغبيٍ أو جباناً يرتعد

الذي لا همه إلا   يوم خان الله ذو

نحن بالإيمان أقوى   إن صدقنا في جهادٍ

حسبنا الله على   فهي أقوى من عتادٍ

ولم تقتصر حربه على سورية على ذلك تلك القصائد، ولا المقالات، ولا الخطب، بل كان يصدر الفتاوى الشرعية كل حين، يحرض فيها على سفك الدم السوري، ويعتبره أفضل الأعمال الصالحة.

وفي حوار أجرته معه قناة (العربية) في بدايات الفتنة السورية، وقبل أن تتطور إلى ما تطورت إليه، راح يصيح بصوته المجلجل قائلا: (يجب على الشعب السوري أن يحمل السلاح ضد بشار، ويجب أن تنعم جميع الأقليات والطوائف بالأمن والحرية)

ثم أضاف يقول: (بشار منتهية شرعيته، ووجب في حقه القتل لأنه قاتل، قتل مئات الأطفال، هدم المساجد، بدلاً من واجبه في حماية الجولان)

بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث راح يعتبر (قتل بشّار أوجب من قتل إسرائيلي الآن، لأنه دفع للصائل والمارق وزنديق الديانة، هو بَشّارون على وزن (رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق آرئيل) شارون، ولن يتحرّر الجولان حتى يذهب هذا النظام الخائن العميل)

وقال: (قاتل المسلم يُقتل ومكتوب عليه الإعدام، وأنا أضم صوتي لاستفتاء الشعب السوري عن كيفية قتل بشار بدلاً من استفتاء الدستور، فهل يشنق أو يسحل أو ينحر أو غيرها؟)

ولم يكتف بذلك، ولم يرو غليل حقده كل ذلك، بل راح يدعو أفراد الجيش السوري إلى الانشقاق، وعدم طاعة الرئيس ،

وقال: (سأقدّم رسائل مختصرة للجيش والجـزّار بشـار، فلا يجـوز للجيش السوري طاعة أوامر هذا الطاغية، فلا طاعة لمخلـوق في معصية الخالق)

ولم يكتف بتحريضه على الجيش، بل راح يحرض على حـزب البعث السوري، ويتهمه بالرده، فيقول عنه: (حزب مـارق منـاقض للإسلام، ولا يجوز أن يحكم ديار المسلمين)

أمـا العلمـاء السـوريين الـذين كـانوا ولا زالـوا في سـورية، ويعيشون بكل حرية، ويـؤدون أدوارهم المناطـة بهم بكـل إخلاص، فقد اتهمهم بكونهم علماء بلاط وعلماء سلطة.. وكأنه هـو الوحيـد العالم العالم المجاهد.. وقد قال فيهم ـ محرضا عليهم مثلما فعـل القرضـاوي: (أزلام وأبـواق للنظـام، وسيصـدر علمـاء المسـلمين فتوى تسقط عدالتهم)

بـل راح يسـميهم واحـدا واحـدا، وكأنـه يـدعو الإرهـابيين إلى تصفيتهم، وقد وصف في ذلك الحوار مع قناة العربية مفتي سوريا الكبير الشيخ أحمد حسّون بكونه (كذاباً أشر.. ومن علماء السوء)

وختم كالعادة حديثه بما تعود أن يختم بـه من أنـه (يجب على الشعب السوري بكل طوائفه أن يقاتـل هـذا النظـام الخـارج على الإسلام)

وحـتى يثـير عواطـف شـذاذ الآفـاق للقـدوم لسـورية وزرع الإرهــاب فيهــا، راح يحكي عن نفســه، أنــه عنــد زيارتــه لمخيم الزعتري في الأردن، سمع حـديث السـوريين هنـاك عن أن قيـادة جيش النظام كانت ترغمهم على (السجود لصورة الأسد، ويسبّون اللـه).. وهـو بطبيعـة الحـال صـدق كـل شـيء، ولم يضـع أبـدا أي احتمال بأن يكون كل ذلـك كـذبا وزورا ودسـا حـتى يصـدق أمثالـه أمثل هذه الترهات.. وأنا موقن تماما لو أن مـدعيا ادعى ذلـك عن جيش بلاده، لراح يكذبه، ويفتي بكفر الكاذب، ويضـع القصـائد في هجائه.. وسـيجد أيضـا مصـدقين ومطبلين، لأن المشـكلة مشـكلة العقول التي تقبل كل المتناقضات.

وهـو لا يكتفي بـالتحريض على سـورية، بـل إنـه راح يحـرض

على اليمن، ويشكر عاصفة الحزم، ويفرح لكل صبي يقتـل أو بيت يهدم، وقد قال في بعض تغريداته: (يا معشر المسلمين لو حسمنا معركة سـوريا مبكـرا لما احتجنا لحـرب اليمن، ولكنّا الآن نشـارك في تحرير الأقصى لم يفت الأمر بعد)

وقال في أخرى: (يـا معشـر المسـلمين لنعلم جميعـاً أننـا إن سمحنا بسقوط ثورة سوريا فسـيقاتلنا الحلـف الصـفوي الروسـي في مكة والمدينة والرياض)

وقال في أخرى: (سيتحقق النصر بالرجوع إلى اللـه وبتوحيـد أهل السنة، وبالدعم السياسي والعسكري الحاسم لثورتي سـوريا وفلسطين، إن تواصـل قتـل جـنرالات إيـران وإسـرائيل يؤكـد أننـا أمام شعب سينتزع النصر قريباً بإذن الله، فلنكن شركاءه في هذا الشرف بدعمه)

أما الكيفية الـتي يصـفها لـدعم الإرهـاب السـوري، فهي كمـا يذكر: (الشعب السوري لا يحتاجنا للقتال معه، إنما حاجتـه الـدعاء ثم غطاء سياسـي ودعم مـالي وتـدريبي وإعلامي وسـلاح نـوعي.. زدعمنا لسوريا ليس تفضلاً منـا بـل هـو واجب شـرعي ودفـاع عن مقدساتنا وأنفسنا ومستقبلنا والمتبقي من عواصمنا)

وقد طالب مرات كثيرة أن تشن عاصفة حـزم على سـورية، مثلما شنت على اليمن، ومن ذلك قولـه: (يجب أن تكـون عاصـفة الحزم نهضة أمة، وأن يمتـد نهجهـا إلى سـوريا وفلسـطين وكافـة قضايا الأمة، وأن يكون اليمن خطوتها الأولى فقط)

وهو لم يكتف بذلك، بل كان يلمح كل حين، وفي كل مناسـبة إلى الـذين وقفـوا ضـد المشـاريع الخليجيـة والغربيـة في سـورية، ومن بينهـا الجزائـر، الـتي يشـير كـل حين إلى أن ثـورة جديـدة تنتظرها لا تقل عن الثورة السورية.

وفي حوار أجرته معه بعض الصحف الجزائرية قـال ــ موجهـا نصيحته للحكومة الجزائرية ـ : (والله أرجو أن تكـون الجزائـر، في أمن وأمان وأرجو أن تقوم الحكومة الجزائريـة بإصـلاحات واسـعة مع رفع المظالم وتحقيق مطالب الشعب قبل أن يصلها الطوفـان

الذي أخذ غيرها، كما قال أبو الطيب المتنبي، مصائب قومٌ عند قوم فوائد.. وعندي كلمة خاصة للرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة وهو رجل عاقل ومحنك، وأناشده فيها بأن يختم حياته بإصلاح واسع، لأني جلست مع كثير من الجزائريين سواء في أوربا أو في الحرم المكي من المفكرين والكتاب والدعاة، البعض يرون أن الجزائر بحاجة إلى عملية جراحية كبرى تنهي الفساد والظلم وتبديد المال العام حتى يكتب هذا الشرف للرئيس بوتفليقة، ولأننا لا نريد أن يتكرر في الجزائر ما حصل فيها من عنف وقتل ودمار)

ولست أدري لم لم يوجه هذه النصيحة لأمراء بلاده وملوكها الذين لا يكتفون بتبذير الثورة في الداخل، وإنما يذهبون بكل ما يجمعونه من مال، وعبر عقود طويلة ليضعوها في بنوك أمريكا وأوروبا.. ويهدرون من حقوق شعبهم ما لا يمكن التعبير عنه أو وصفه.

لكن هؤلاء الذين رضوا بأن يكونوا مشايخ للبلاط لا يطيقون أن يقولوا مثل هذا، بل إن هذا الشيخ لم يستطع أن ينبس ببنت كلمة في نقد الذين اعتقلوا أصدقاءه من المشايخ كسلمان العودة وغيره.. بل إنه يثني على المعتقلين، ويمدحهم، ولا يهمه ما فعلوه بأصدقائه.. فأصدقاؤه هم أموال الأمراء، والجاه الذي يوفرونه، أما الآخرون فيمكنه أن يبيعهم بشق تمرة.

حسان.. والأكل من جميع الموائد

من المشايخ الذين استعملهم الإعلام المغرض في التحـريض على سورية ذلك الذي يدعى الشيخ محمد حسان، صـاحب القنـاة الفضـائية، وصـاحب الجـاه العـريض، والـذي كـان يسـتقبل في السـعودية اسـتقبال الأمـراء، ويسـتقبل بين الشـعوب العربيـة استقبال الأنبياء.. والذي كانت تنهال عليها الهدايا والأموال من كل مكـان، حـتى من القـذافي نفسه[1]، إلى أن اسـتطاع أن يؤسـس قناة فضائية خاصة به، لا يزاحمه فيها غـيره.. ذلـك مـا ظهـر، ومـا خفي أعظم.



ولم نكن لنتحـدث عنـه، أو نهتم بـه، لـولا ولوغـه في الـدم السوري، ذلك أنـه كـان يحـرض عليـه كـل حين، بـل إنـه من قـام

(1) تداول عدد من نشطاء مواقـع التواصـل الاجتمـاعي صـورة للـرئيس الليبي الراحل معمر القذافي ومعـه كـل من الشـيخ محمـد حسـان وصـفوت حجازي وعمر عبد الكافي والشيخ أبـو اسـلام، كمـا عرضـوا شـيكات، قـدمها القذافي لكل من لمحمد حسان بمبلغ 3 ملايين دولار أمريكي والثاني بمليون ونصف دولار للشيخ صفوت حجازي والشيك الثالث لعمر عبد الكافي بمليـون ونصف دولار، وتكشف الشيكات العطايـا الماليـة الـتي حصـل عليهـا الشـيوخ الكبار من القذافي، قبل سقوط نظامه، وكلها عبارة عن خطابات صادرة عن بنـك ليبيـا المركـزي. انظـر: بالمسـتندات..أمـوال حصـل عليهـا حسـان وعبـدالكافي وحجـازي من القـذافي، فهمي غـالي، موقـع البوابـة، 17/08/2014.

بقراءة بيان الدعوة للنفير العام في ذلك المؤتمر المشؤوم الذي أقامته مصر إبان حكم الإخوان المسلمين.

وقد اختاروه خصوصا، لأن الجماهير تطرب لسحر بيانه، وقعقعة ألفاظه، كما يطرب غيرها لصوت أم كلثوم أو عبد الحليم حافظ، لكن الفرق بينهما أن صوت عبد الحليم يحرك المشاعر العاطفية والوجدانية، أما صوت حسان، فيحرك مشاعر العدوانية والكراهية.

والعجيب أن هذا الرجل، الذي يكثر من استعمال المفردات والتراكيب، ويمزج بينها بطريقة عجيبة كما يفعل الكهان، ثم يستنتج منها نتائج مملوءة بالغرابة.. وعندما يكتشف غرابتها يروح يقسم ويكرر القسم، حتى ينطلي قسمه لا أفكاره على أولئك الذين استسلموا للألفاظ، ولم يستسلموا للمعاني.

ويذكرني موقف أتباعه ذلك بشخص رؤي منبهرا بخطبة بعض المشايخ، فقيل له: هل فهمت شيئا مما يقول؟ فرد على البديهة: ومن أنا حتى أفهم كلمات هذا الشيخ الجليل؟

وهكذا أتباع هذا الشيخ ومقدسوه وعابدوه، فهم لا يحللون مواقفه ولا تصرفاته، وإنما يطربون فقط لكلماته التي تسحرهم، وتجعلهم مسخرين كما يسخر الجن للكهان.

ولو أنهم تساءلوا عن سر تلك الثروة العريضة التي يملكها، ومن أين له بها.. وتساءلوا معها عن ذلك الاستقبال الخاص الذي يلاقى به لدى ملوك السعودية وأمرائها.. لعرفوا القصة من أولها، وعرفوا أن التجارة بالدين لا تقل عن التجارة بالمخدرات، ففوائدها أكثرها، وريعها أعظم، بالإضافة إلى ذلك الجاه لا يمكن لتاجر المخدرات أن يحصل عليه حتى لو غسل نفسه بمياه البحار جميعا.

لو أن هؤلاء قارنوا موقفه التحريضي على الرئيس السوري بموقفه اللين مع الكيان الصهيوني لعرفوا الحقيقة التي خبأها سحر بيانه.. فأثناء الحرب الصهيونية على غزة عام 2008 والتي أطلق عليها الصهاينة اسم [الرصاص المصبوب] وأطلقت عليها

المقاومة [معركة الفرقان]، والتي أسفرت عن استشهاد أكثر من ألف ومئتين من الفلسطينيين، كانت قناته [قناة الرحمة] تتبنى وجهة النظر الإسرائيلية التي حملت المقاومة المسئولية عن هذه الحرب، مثله في ذلك مثل الموقف السعودية الذي ظهر واضحًا في قناة العربية (1).

فقد كانت قناته حينها تتبنى نفس المنطق، وتستضيف من يهاجم المقاومة، مبررًا العدوان الصهيوني على غزة، بل إنها كانت تصف صوايخ المقاومة الفلسطينية بالصواريخ العبثية.

وهكذا كان موقفه من الرئيس المصري [حسني مبارك] الذي انتفض عليه الملايين من شعبه، وكان الأصل فيه لو كان صادقا أن يقف منه موقفه من الرئيس السوري، لكنه لم يفعل، بل آثر الصمت في انتظار النتائج التي تسفر عنها تلك المظاهرات، فهو مثل التجار الذين يخافون أن يقدموا على شراء سلعة قد تتسبب لهم في خسارة كبيرة، ولذلك استدعاه الرئس مبارك حينها، وطلب منه أن يهدئ الثوار، ويصرفهم من ميدان التحرير، فخرج الشيخ مطالبًا الثوار بالعودة لبيوتهم وترك الميدان مع وعود بتلبية مطالبهم.

ولذلك حين قرر مبارك قبيل ثورة يناير إغلاق القنوات الإسلامية كانت قناة الرحمة الوحيدة التي سمح لها بالاستمرار مع تغيير الاسم فقط بنفس المحتوى الذي كانت تقدمه مما يدل على رضا النظام عنه.

لكنه وبعد صعود الإخوان المسلمين إلى السلطة تحول إلى إخواني أكثر من الإخوان أنفسهم، وصار صديقا لمرسي، وصار يدعو بدعوتهم، يصيح بلسانهم، ولذلك اختير في ذلك اليوم المشؤون ليدعو للنفير العام للجهاد في سورية، لعلمهم بسحر كلماته، وتخديرها للعقول.

لكنه ما لبث أن أدار ظهره للإخوان، بعد أن احترقت

---

1) انظر مقالا بعنوان: حول الغضب من ولأجل الشيخ محمد حسان.. لا عصمة لبشر في الإسلام، عبد الله النجار، موقع ساسة.

ورقتهم، بل صار ناقدا لهم، وصار يهددهم بأنه لو شاء أن يكشف أوراقهم، لفضحهم بها.. وسكتوا.. واستسلم الكثير منهم لتهديداته.. وراح بعضهم ينتقد طروحاته، وهم يتصورون أنها طروحات يمكنهم تحليلها ومناقشتها، ولا يعلمون أنهم يناقشون تاجرا استفاد من الجميع، وباع الجميع.

فهو قد استفاد من القذافي تلك الملايين الكثيرة، وبعدها راح يبيع فتوى لأعدائه بقتله والتحريض عليه.. واستفاد من الرئيس مبارك، ثم راح يبيعه بعد أن احترقت أوراقه.. واستفاد من مرسي.. ثم باعه.. وهكذا مارس التجارة الدينية بكلمات يرددها، وسجعات كهان يأسر بها القلوب، ويقيد بها العقول التي تستسلم للكلمات، ولا تحللها ولا تفكر في مضامينها.

عمرو خالد .. والتجارة الدينية

من الشخصيات التي ابتليت بها الأمة بعد أن أعرضت عن العلماء المحققين، والمشايخ المربين، والحكماء الناصحين شخصية [عمرو خالد]، الذي تاجر في الوعي الشعبوي الإسلامي فترة طويلة، لا ببضاعة من علم واسع، أو تحقيق دقيق، أو روحانية سامية، وإنما بقدرة عجيبة على التمثيل جعلت من جمهوره يتعلم الدين المزيف في قالب لا يختلف كثيرا عن قوالب المسلسلات المصرية.



ولا أريد أن أتحدث هنا عن تلك الصورة المشوهة التي كان يصور بها رسول الله ﷺ، والتي أنزلته في أذهان العامة من منزلته الروحانية السامية إلى صورة ممتلئة بالتشويه، ليس هنا مجال ذكرها.

ولا أريد كذلك أن أتحدث عن عدم تخصصه في العلم الديني.. فهو خريج كلية التجارة من جامعة القاهرة عام 1988، ثم عمل بعدها بأحد مكاتب المحاسبة لمدة سبع سنوات، ثم افتتح مكتب محاسبة خاصا به في القاهرة.. لكنه ترك ذلك كله بعد أن رأى أن التجارة الدينية أكثر فائدة من تلك التجارة.. ولذلك ـ بعد أن رأى إقبال الناس ـ حصل هكذا فجأة، ومن غير دراسات سابقة ـ على دبلوم الدراسات الإسلامية من المعهد العالي للدراسات الإسلامية بميت عقبة (الجيزة)، ثم حصل على درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية من جامعة ويلز ببريطانيا عام 2010، مع

العلم أن الكثير من طلبة الأزهر، والذين يبدؤون دراستهم الشرعية فيه من صغرهم الباكر، إلى أن يشتعل الشيب في رؤوسهم لا ينالون مثل هذه الشهادات العالية.

ولا أريد كذلك أن أتحدث عن هوايته للمناصب، فهو مثل جميع التجار الدينيين من هواة تعديد المناصب.. فلذلك رأس في شبابه اتحاد طلاب كلية التجارة بجامعة القاهرة 1988.. ثم كان نائب رئيس اتحاد كليات جامعة القاهرة 1988 .. ثم كان عضو فريق الناشئين بالنادي الأهلي المصري 1985.. ثم أسس حزبا سياسيا، صار هو رئيسه بالطبع.. وأسس قبله وبعده جمعيات أخرى.. كان هو رئيسها دائما.

ولا أريد أن أتحدث عما حصل له بعد أن احتضنه الإعلام، وحظي بتلك الشهرة الكبيرة التي كان الصالحون يخافون منها، بل يجنحون إلى العزلة خشية أن يكون حظهم من دينهم هو ذلك الثناء الذي ينالونه.. حيث لم يفعل عمرو ذلك.. وإنما استثمر الفرصة تجاريا، حتى ذكرت مجلة [فوربز العربية] أن صافي دخل عمرو خالد في عام 2007 وحدها بلغ مليونين ونصف مليون دولار.

وقد عبر بعض المقربين منه العارفين به ذلك التهافت على المال بعد أن نال كل تلك الشهرة، فقال: (عمرو خالد منذ أصبح داعية يرفض أن يعطي أي درس ديني بشكل مجاني، حتى لو كان ذلك في المسج.. ويشترط من أي جهة توجّه له دعوة لإعطاء محاضرة الحجز له على درجة رجال الأعمال أو الدرجة الأولى.. كما أنه لا يقبل الإقامة بفندق أقل من خمس نجوم.. حتى لو كان الطرف الداعي جهة خيرية، أو جمعية لا تستطيع تحمّل تكاليف هذه الشروط)[1]

لا أريد أن أتحدث عن هذا جميعا، وإنما أريد أن أتحدث عن ولوغه في الدم السوري، فقد هيئ تهيئة خاصة مثله مثل سائر

---

1) انظر مقالا بعنوان: عمرو خالد.. السقوط إلى الهاوية، محمد الصنهاوي، موقع المصيدة.

القيادات الاجتماعية، ليكون له دور كبير في إثارة الفتن، والتحريض عليها.

مع أنه كان قادرا، لو كان له العلم الكافي، والروحانية الصادقة، أن يستثمر تلك الشهرة الكبيرة التي نالها، والسمعة العظيمة التي حصل عليها في الدعوة إلى التهدئة والحوار واستعمال الحكمة، خاصة وهو يعلم أن الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي كان موقفه مختلفا عن ذلك الموقف الذي تبنته الحركات الإسلامية، وتبنته معها الرجعية العربية بعمائمها المختلفة.

لكنه لم يفعل، بل راح يرسل رسالة للشيخ البوطي ينصحه فيها بأن ينقلب على بلده، ويتحول إلى داعية من دعاة الفتنة، مع أنه يشهد على نفسه أنه تتلمذ على كتابه [فقه السيرة]، وأن الملايين من المسلمين تتلمذوا على يديه.. ولكنه مع ذلك راح ينصحه.. ويحاول أن يستجره بما تعود أن يستجر به عوام الناس الذين لا يحبون إلا من يخرج دموعهم من مآقيهم لا من يخرج الجهل والخرافة مع عقولهم.

ولم يكتف بذلك، بل كان يبث حصصا خاصا بسورية، يدعو فيها إلى الفتنة، ويصور فيها الإرهابيين، كما كان يصور غزوة بدر وأحد والخندق.. ولم يكلف نفسه يوما ـ مع الثروة التي أتيحت له ـ بأن يذهب إلى سورية، ويسمع من علمائها، بل قد يتاح له اللقاء حتى مع رئيسها، لم يفعل ذلك كله، لأنه كان حريصا على سمعته وشهرته، وقد رأى كيف سقط كل من لم يقع في فخ الفتنة سقوطا حرا.. وهو لا يريد أن يسقط من عيون جماهيره سقوطا حرا.

وليت موقفه مع سورية ونظامها طبقه مع غيرها، إذن لهان الأمر.. بل هو على العكس من ذلك تماما كان يتحرك حيث تتحرك الكاميرات، ويستجيب لكل ما يطلبه جمهوره، لأنه لا يمكن لتاجر أن يبيع بضائعه قبل أن يكسب زبائنه.

وزبائنه للأسف هي هذه الأمة التي أعرضت عن أهل العلم

والحكمة فيها، واشتغلت بمن يلبي أهواءها، لا تسـمع للمعـاني، ولا للحقائق، وإنما تنظر لجمال الصوت، وحركات الجسـد، والقـدرات التمثيلية، ولذلك أصبحت فلما مرعبا ممتلئا بالآلام..

ومن العجيب أنه مع وجود كبار العلماء والحكماء في الأمة إلا أن عمـرو خالـد نـال من بينهم جميعـا قصـب السـبق في أشـهر الشخصـيات العالميـة، حيث اعتبرتـه مجلـة تـايم الأمريكيـة أكـثر الشخصيات تأثيراً في العالم عام 2007، وقد حضر عمـرو خالـد ـ طبعا ـ حفل التكريم الذي يضم المائـة شخصـية الـتي تم اختيارهـا لذلك العام، وألقى هناك كلمة قصيرة.

وبعد أن أدى أدواره الكثيرة في إثارة الفتنـة، وتشـويه الـدين راح يمارس تجـارة أخـرى، لعلهـا لن تقـل عمن سـبقها من أنـواع التجارة.. فقد عرض شريطا إعلانيا على صـفحته الـتي يتابعهـا 29 مليونـاً، ظهـر فيـه في إعلان رمضـاني لشـركة دواجن مصـرية - سعودية إلى جانب الطاهية المصرية آسيا عثمـان؛ حيث عمـد إلى ربط صحة الصيام والتقرب إلى الله بتناول الـدجاج الـذي روج لـه في الإعلان قائلاً: (لن ترتقي الروح إلا لمـا جسـدك وبطنـك يبقـوا صح.. وعشان هتجرب مع وصـفات آسـيا ارتقـاءك لربنـا في قيـام الليل بعد الفطار وفي التراويح أحلى)

ولا زالت أشكال أخـرى للتجـارة.. ولا زال الكثـير من التجـار يظهرون كل يوم، ليمارسوا أدوارهم في هذه الأمة الـتي لا تسـلم نفسها إلا لمن يخدعها، ويتلاعب بعواطفها، ويشـتري منهـا عقولهـا بحفنة من الدموع.

العريفي.. واللعب على العقول

من العجـائب الـتي أفرزهـا الربيـع العـربي ذلـك الإعـراض الشديد عن العلمـاء الحكمـاء الربـانيين، الـذين دعـوا إلى التعقـل والحكمـة، وحـذروا من التهـور والعنـف.. في نفس الـوقت الـذي أقبلت فيه العواطف الجياشة والحماسة المتدفقة على الكثـير من الدمى التي زينها الإعلام المغرض، وزخرفها الكذب والدجل لتؤدي وظيفتها في تخدير العقول، والتلاعب بالعواطف.. ولتتهيأ الأرضـية الإسـلامية للحـرب الناعمـة بكـل وسـائل وأسـاليبها، وبكـل آثارهـا ونتائجها.



ومن تلك الدمى التي صنعها الإعلام، وحركتها الأيادي الخبيثـة كمـا تحـرك عـرائس القراقـوز الداعيـة الكبـير المعـروف [محمـد العريفي]، والذي وصل عدد متابعيه ــ كمـا يـذكر في موقعـه على النت، وغيرها من الموقـع في فـترة ازدهـار الربيـع العـربي ــ في موقع التـدوين المصـغر [تويـتر] إلى 15مليـون متـابع، ليـدخل في قائمة الشخصيات الأكثر متابعة في الدول العربية جميعـا، أمـا في حسابه على الفايس بوك، فقـد بلـغ متـابعوه مايقـارب 22 مليـون

متابع.

وهذا كله صنيعة الإعلام المغـرض.. فقـد كـان يستضـاف في كل القنوات، ويطوف العالم بأسره يبشر بدين الفوضـى وإسـقاط الأنظمـة، في نفس الـوقت الـذي يبشـر فيـه مبشـرو المسـيحية بالسلام الإنساني والله محبة.

وكـانت خطاباتـه في القنـوات وعلى صـفحاته في وسـائل التواصـل الاجتمـاعي ممتلئـة بالغرابـة واللاعقلانيـة، ومنهـا ذلـك الخطاب الذي تداولته وسائل الإعلام، وتقبله المغفلـون والحمقى، بفعـل ذلـك التخـدير الـذي حصـل لعقـولهم؛ فقـد ذكـر في ذلـك الخطـاب الـذي ألقـاه في إحـدى خطب الجمعـة أن (رجلاً سـورياً أخبره عن قصة خيول بيضاء تقاتل إلى جانب ثوار سوريا)

ثم راح يفسر بعدها لعقول المحيطين به في مسجده، أو في الذين يرقبون كل كلمة منه ليعتبروها دينا وشـريعة وعقيـدة قـائلا: (مـا كـان معهم رجـال ولا خيـول بيضـاء، إلا أن تكـون ملائكـة من السماء تقاتل معهم)

وهنا يكبر المغفلون.. وتمتلئ الساحات بالتكبير؛ ففي سـوريا ـ على حسب العريفي ومن معه من الدمى ـ لا يقاتل الجيش الحر فقط، ولا داعش، ولا النصرة، ولا لواء الإسـلام ولا جيش الإسـلام، ولا فيلق الرحمن.. ولا غيرها من الألوية والجيوش فقط.. بل هناك أيضا ألوية من الملائكة.. وألويـة من الجن الصـالح.. بالإضـافة إلى الكيـان الصـهيوني، والشـيطان الأكـبر والشـياطين الصـغرى الـتي تبناها.

ومن العجيب أن تتفـق الملائكـة مـع الشـياطين في هـذه الحـرب.. ومن العجيب أن تشـارك الملائكـة أمريكـا وإسـرائيل وبريطانيا ودول الإجرام الكبرى في ضرب سوريا.

لكن المغفلين يكـبرون، ومـع كـل تكبـيرة يهـدم بيت أو مؤسسة، أو تسـفك دمـاء.. ليصـبح التكبـير مثـل حبـوب الهلوسـة والأفيون وحقن التخدير.

ولا تتوقف عجائب العريفي في هذا فقط.. فكله عجائب، فهو الذي استطاع أن يكتشف ذلك الاكتشاف العلمي الذي انبهر له جميع أطباء العالم، وهي تلك الغدة التي أطلقوا عليها [الغدة العريفية(1)]، والتي عبر عنها بقوله: (إن نقصان شهادة المرأة عن شهادة الرجل يرجع إلى أن لديها غدة ـ نسيت اسمها ـ تجعل لديها القدرة على القيام بأمر واحد فقط، وهو إما أن تتكلم أو تتذكر)

وقد لقي ذلك استحسانا كبيرا لا من أتباعه المخدرين فقط، بل من المبشرين والحداثيين والملاحدة.. كلهم راح يبشر بهذه الغدة، ويسخر من الدين ورجاله بسببها.

وهكذا كان يرسل الرسائل كل حين لإرهابيي سورية واليمن وليبيا وغيرها من بلاد العالم الإسلامي، بل كان يظهر أحيانا يلبس لباسا عسكريا، ويحمل سلاحا، ليدعو الكل للنفير لقتل الرئيس السوري والرئيس الليبي وكل من لا يتفق معهم الملوك الذين يأتمر بأمرهم، وينتهي لنهيهم.

وكان إذا ما انتهى من ذلك الدجل والفوضى يذهب في استراحات خاصة للفنادق الراقية في بريطانيا أو غيرها من البلاد ليبشر بسماحة الإسلام، وسلامه، وأخلاقه، ويعود منها بهداياه الكثيرة لزوجاته اللاتي خصص لكل واحدة منهن قصرها الخاص.

أما المغفلون الساكنون في البيوت القصديرية، والمشردون في الشوارع؛ فينظرون إليه باعتباره ملكا من ملائكة السماء جاء لينقذهم من رؤساء السوء، وليتم الدين الذي لم يكتمل، والنعمة التي لم تتم.

هذا شأنه مع الكل إلا مع بلده ومن يحيط بها من الممالك والإمارات، فهو حينها يتحول إلى مواطن صالح، فبلاده بلاد التوحيد التي لا يجوز مسها، ولا التظاهر فيها، ولا نقد حكامها، لا سرا ولا

---

1) بالمناسبة استضاف برنامج «ياهلا» على فضائية «روتانا» خليجية أحد الأطباء المتخصصين في هذا المجال، وقد نفى نفيًا تامًا ما جاء على لسان العريفي، وذكر أن الغدد ليس لها دور في التأثير على الذاكرة، إنما الجهاز العصبي من يقوم بهذا الدور.

علانية.. لأن نقدهم بدعة، والتظاهر ضد فسادهم وتبذيرهم لأموال الأمة خروجا وكفرا وضلالة.

طارق سويدان .. والتدريب على الفتنة

من الشخصيات التي كان لها تأثيرها السلبي في الحرب على سورية ومصر وليبيا وكل فتنة في البلاد الإسلامية ذلك الكويتي المدعو [طارق سويدان]الذي نال حظه من الشهرة قبل الفتنة وبعدها، وهيئ له الجو المناسب ليدلي بدلوه فيها.



وخطره أنه كان من دعاة الاعتدال والتحضر والسلمية، ولذلك نال كما محترما من الجماهير إلى الدرجة التي أصبح فيها محظيا عند الوليد بن طلال، وكلفه بإدارة قناة الرسالة، لتصبح هي الأخرى خنجرا مسموما تطعن به سورية، كما تطعن به كل البلاد التي لا يرضى عنها ملوك وأمراء الخليج.

وهو مثل أكثر الدعاة الجدد، لم يتفرغ لدراسة المطولات، ولا البحث العميق في المسائل الدينية، والتي تستدعي وقتا كثيرا، وتفرغا كبيرا لتفهم على وجهها الصحيح.. وإنما كان مهندس بترول، بل له دكتوراه في هندسة البترول نالها من الولايات المتحدة الأمريكية عام 1990، وهذا يعني أن جزءا مهما من حياته قضاه مع البترول ما يرتبط به من علوم.

ويعني كذلك أن جزءا من حياته قضاه بأمريكا، مثل الكثير من الدعاة الذين يصدرون لنا، بعد أن يهيأوا جيدا.. فقد نال بكالوريوس في هندسة البترول من جامعة بنسلفانيا، عام 1975 ، أي أنه درس في أمريكا أكثر من عشرين سنة.

وعندما عاد لبلده، لم يتفرغ أيضا لدراسة العلوم الشرعية والتحقيق فيها، وإنما عمل في المجال الاداري والتعليمي، فقد رأس مجلس إدارة مجموعة الإبداع منذ عام 2001 وبقي فيه فترة طويلة، كما رأس قبلها مجلس إدارة شركة الإبداع الخليجي للاستشارات الإدارية والاقتصادية منذ عام 1992 وحتى الآن.

وفوق ذلك كله كان من الشخصيات التي نقلت لنا من أمريكا مفهومها الخاص للتنمية البشرية، فلذلك عمل مدربا محترفا في مجالات التنمية الشخصية والإدارة العامة منذ عام 1992 ..

وله فوق ذلك كله الكثير من الوظائف التي لا علاقة لأي منها بالدين، وكلها تتطلب وقتا كبيرا، وجهدا ذهنيا عاليا.. فهو نائب رئيس مجلس إدارة شركة زاد للاستثمارات في أمريكا منذ عام 1997 وحتى عام 1999.. وعضو مجلس إدارة مجموعة أبرار للاستثمارات في ماليزيا منذ عام 1992 وحتى عام 1996.. وأستاذ مساعد بكلية الدراسات التكنولوجية في الكويت منذ عام 1977 وحتى عام 2001 .. ومراقب هندسة المكامن في وزارة النفط الكويتية منذ عام 1975 وحتى عام 1977.. وغيرها من الوظائف الكثيرة التي لا يحلو له مثل شيخه القرضاوي إلا أن يكون رئيسا فيها.

بعد هذا التقديم لشخصيته لا ينتظر القارئ منا أن نذكر إنجازاته في هندسة البترول، ولا إنجازاته في المجالات التي عمل فيها.. فكل إنجازاته فيها هي كونه رئيسا .. ومسؤولا كبيرا..

ولذلك كانت إنجازاته مثل أكثر الفاشلين في وظائفهم ومعارفهم إنجازات مرتبطة بالدين، حيث راح يحشر أنفه في كل مسائل الدين، ويحلل ويحرم، ويكفر ويبدع، ويتحدث في كل شيء..

ومن الأشياء التي كانت له بصمته الواضحة فيها هي الدعوة للجهاد في سورية، حيث كان يحمل كل حين العلم السوري المزور، ثم يحرض الإرهابيين على القتال في سورية، ويعتبره جهادا في سبيل الله..

بل كان فوق ذلك من العلماء الموقعين على وجوب النفير العام.. ولست أدري كيف يتحول عالم بترول فجأة إلى عالم دين.. ثم كيف يفتي في تلك المسائل الخطيرة التي تقتضي بحثا مفصلا، ودراسة عميقة.

وكانت قناة الرسالة في بداية الأزمة السورية لا تختلف عن الجزيرة وجميع قنوات الفتنة، فقد كان يستضاف فيها رؤوس الإخوان والسلفية والدعاة الانتهازيين ليحرضوا الجيش السوري على الانشقاق، ويحرضوا عامة الناس على الفتنة، واعتبار أن من لم يخرج إلى المظاهرات عميلا وخائنا، وسيحرم في الآخرة من الجنة، وسيدخل جهنم.

وأذكر جيدا أنه في لقاء من اللقاءات التي أجريت معه في أوائل الفتنة في سورية سئل عن الوقت الذي تنتصر فيه الفتنة، فقال: (ثورة سوريا تحتاج الصبر، ووصلت لنقطة لا تراجع فيها، والجيش الحر سينهي حكم الأسد)[1]

ثم ذكر ـ مستشرفا المستقبل ـ أن (بشار الأسد وعصابته جبناء يكرهون الموت ، لذا حين يضيق بهم الأمر سيفرون هرباً، وسيتركون ما يقاتلون شعوبهم من أجله، وسيفضلون النهاية التي حظي بها زين العابدين بن علي ، الذي فر هارباً من ثورته التونسية، على أن تختم حياتهم كما ختمها صديقهم معمر القذافي في صحراء ليبيا)

وقال: (أعتقد أن المعارضة السورية لو استطاعت أن ترتب صفوفها وحصل الجيش الحر على دعم بسلاح نوعي ستنتهي الثورة في فترة قصيرة جداً.. وليس هناك حل للأزمة السورية إلا

---

1) انظر: حوار مع الدكتور طارق السويدان، الكاتب : عيون نت، التاريخ: الأحد 13 يناير 2013.

بالتخلص من بشار، ولا يبدو أن هذا سيحدث إلا على أيـدي الجيش الحر المجاهد، فالواجب دعمه بالسلاح وتثبيت الشعب)

وقال: (قالوا: لن يسقط بشار، فقلت: قد سقط من هو أشـد منه قوة، فقالوا: مازال معـه أسـلحة كثـيرة، قلت: قـد كـان لـدى القذافي أكثر منه، قالوا: معه روسيا، قلت: الله أكبر)

لكنه عندما سـئل عن الربيـع العـربي والـدول المسـتبدة في الخليج، ارتبـك ارتباكـا شـديدا، ثم قـال ــ متنصـلا من الإجابـة أو مخادعا ـ : (هناك قاعدة عامة ، أن في الدولـة الجمهوريـة تحـدث ثورات ، لكن في الدول الملكية تحدث تطـورات تدريجيـة ، لـذا لا أعتقد أن تقوم ثورات في دول الخليج)

وعنـدما سـئل عن ثـورة البحـرين راح يـذكر موقـف شـيخه القرضاوي منها، ويقول: (الثورات لا تنجح في مثـل هـذه الـدول ، وحـتى مـع وجـود هـذه المؤشـرات ، فالـدول الملكيـة لا تغيرهـا الثورات)

ثم عقب على ذلك بقوله: (ليس بالضرورة أن تتغـير الملكيـة كاملة، بل يكفي أن تتحول إلى ملكية دستورية)

ثم راح يثـني على الملكيـة في بلاده، فقـال: (أقـرب نمـوذج للملكيـة الدسـتورية هي الكـويت ، لأن الديمقراطيـة فيهـا أصـيلة والشـــعب لـــه دور والمنتخب منتخب حقيقي وليس بـــالتزوير والمجلس النيابي له صلاحيات ويمكنه تغيير الحكومات وإسقاطها، ومع ذلك سيأخذ هذا الأمر وقتا بين خمس إلى عشر سنوات ، في الدول الأخرى المجالس غير منتخبة وليس لها دور)

وهكذ راح يستعمل كـل مـا درب عليـه في أمريكـا من فنـون الاحتيال ليقلب الأمور، ويحولها إلى الاتجاه الـذي يريـده الوليـد بن طلال وجميع أمراء الخليج.

ولكنه، وبعد أن أنهى مهمتـه بدقـة، رمي في سـلة المهملات كما فعل بغيره، وكان أول من رماه الوليد نفسه الذي كان محظيا لديه.. وعندما رمي كما ترمى النفاية والقاذورات، راح يغرد قـائلا:

(لا يخاف على الرزق إلا ضعيف التوكّل، ولا يتنازل عن المبـادئ إلا من كان همّه الدنيا)

ثم رمي بالإرهـاب بسـبب انتمائـه أو تعاطفـه مـع الإخـوان المسـلمين.. مـع أنـه طيلـة الفـترة الـتي كـان يحـرض فيهـا على سـورية، كـان يتكلم باسـم الإخـوان، ويخطب باسـمهم، بـل لا يستضيف غيرهم، وغير السلفيين ممن يرضون عنهم.

وقـد كـان من ابتلاءات اللـه لهـذا الرجـل أن خـرجت ابنتـه ميسون ـ والتي درست هي الأخرى في بعض الجامعات الأمريكيـة ـ من عباءة أبيها، وراحت تصرح بما رأتـه من علمـاء الفتنـة، حـتى كفرت لذلك، فقد قالت عبارتها المشهورة: (لو أنّي بحثت عن الله في مكّة لكفرت من زمان)

وعندما حكم عليهـا بـالكفر، من أولئـك الـذين كـانوا أصـدقاء لأبيها، راحت تغرد قائلة: (أتظنونني سأسكت عنكم يا مكفّـرون؟.. لا والله لن أسكت.. لم أتمسّك بديني كل هذه السنين في الغـرب حـتى يـأتي المسـلمون ليسـلبوني إيـاه.. لقـد عـدنا واللـه إلى الجاهليـة،أنتم تعـذّبون المسـلمين بالشـتم حـتى تخرجـوهم من دينهم.. وأنا والله لن أخرج من دين الله ولو كره المكفرون)

ثم راحت تصيح فيهم، وفي والدها بكل قوة: (هذا الدين الذي تدافعون عنه ليس بديني هذا صـحيح. أنـا ديـني الإسـلام والرحمـة وأنتم دينكم التكفير والنَّقمة.. لم أذهب إلى مكـة لأرى من يـدَّعي أنَّه يمثِّل الدين يضرب أرجل النساء بالعصا ويهشّـهن كـالغنم.. أنـا لست بعيراً بيـد راعٍ أنـا إنسـانة جـاءت لتقلى ربهـا.. لم أذهب إلى مكـة كي أرى متـاجر إسـرائيل على بُعـد خطـوات من بيت اللـه الحـرام.. لم أذهب إلى مكـة لأرى آلاف الفقراءالمسـاكين يقفـون بين يدي الله بـأثوابهم الباليـة فيجـبرهم الإمـام أن يـدعوا للملـوك والسلاطين الذين لا يصلّون أصلاً.. لم أذهب إلى مكة ليبكي قلـبي ما فعلتموه بهذه المدينة الطاهرة..بالمسـجد الحـرام، ذهبت إليهـا بحثاً عن الله..فلم أجدْه عندكم..نعم، ما وجدته إلا بقلبي.. لـو أنّي

بحثت عن الله في مكّة..أو في مذهبكم التكفيري العـنيف الملطّخ بالدماء لكَفرتُ من زمـان...هـذا صـحيح.. فالحمد لله أنّي لم أبحث عنه إلا بقلبي)[1]

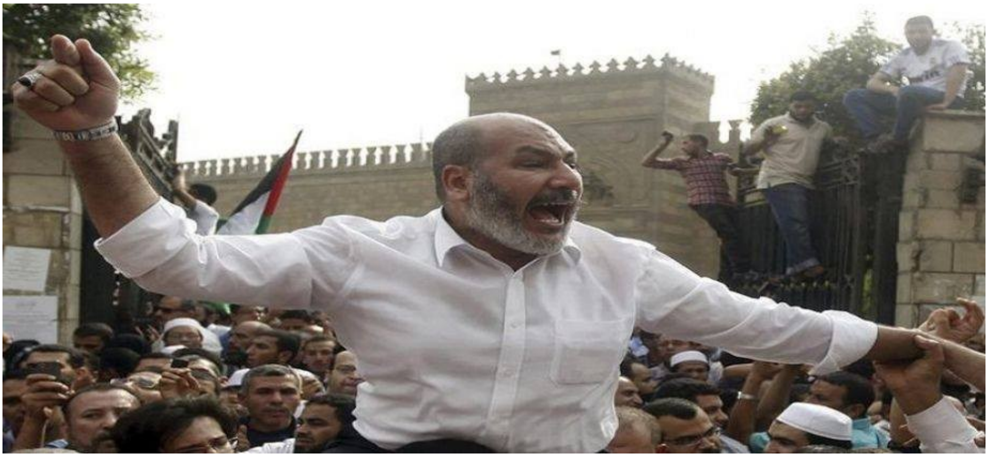
هذا بعض ما قالته..وقد جعل الله بحكمته ولطفـه هـذه البنت الشجاعة الجريئة أكبر من رد على ذلك الدجل الـذي مـورس على سورية وعلى كل بلاد الإسلام.. وعلى كل طوائف المسلمين.

---

1) انظر: مقالا بعنوان: أنا ديـني الإسـلام والرحمـة وأنتم دينكم التكفـير والنَّقمة، شبكة الاعلام في الدانمارك.

صفوت حجازي.. والخصومة الفاجرة

من الصفات التي كان للربيع العربي والإعلام التابع له دور كبير في نشرها وتغذيتها وتربية رعاته ودعاته عليها صفة [الخصومة الفاجرة]، تلك التي اعتبرها رسول الله ﷺ من صفات المنافقين، وذمها الله تعالى قبل ذلك، فقال: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [البقرة: 204]



وأَلَدُّ الْخِصَامِ ـ كما ورد في التفاسير ــ هو صفة ذلك الذي يلجأ إلى كل طرق الكذب والافتراء والزور والبهتان، لكي يكيد خصمه، ويتغلب عليه.. ولا يتورع في سبيل ذلك من ارتكاب أي جريمة أو كبيرة من الكبائر.. فالغاية عنده تبرر الوسيلة.

وألد الخصام أيضا هو ذلك الذي يصيح في المجالس، ويرتفع صوته مهددا ومتوعدا، ومستعملا كل القنابل الصوتية التي يرميها في وجه خصمه لينهار انهيارا كليا، من غير أن يستعمل معه حجة عقلية، ولا براهين منطقة، فيكفي تلك الترددات العالية التي يقذفها في وجهه.

ولمن يلتمسون نموذجا عن هذا يبسط لهم هذه المفاهيم، ويظهرها لهم على أرض الواقع، فإنه يمكنهم أن يبحثوا في سيرة [صفوت حجازي] ذلك الذي اعتبر نفسه عالما، بل نائبا لرئيس رابطة علماء أهل السنة، وكان أمينا عاما لدار الأنصار للشئون

الإسلامية، وإماما وخطيبا بمسجد دعوة الحق، وعضو المجمع العلمي لبحوث القرآن الكريم والسنة المطهرة.. بل كان من المرشحين لانتخابات الرئاسة المصرية عام 2012، حيث أعلنت الجماعة الإسلامية أنها قررت دعمه كممثل لحزب البناء والتنمية المعبر عن الجماعة الإسلامية في سباق الانتخابات الرئاسية، ثم انسحبت من ذلك بعد توجهه للجنة انتخابات الرئاسة وإكماله كافة الأوراق اللازمة للترشح.

بالإضافة إلى ذلك كله كان وجها إعلاميا بارزا، يبرزه الإسلاميون كممثل لهم، وناطق باسمهم، فهو يظهر في جميع القنوات، ويتاح له الحديث في كل المواضيع، بل كانت له برامج خاصة، وكان لها جمهورها العريض.

وكان الأصل في الذي يتاح له كل هذا أن يكون هادئا، وحريصا على كل كلمة تخرج من فمه، خشية أن تؤثر على تلك الجهات الكثيرة التي ينطق باسمها، ويدعي أنه يمثلها..

لكنه لم يكن يفعل.. بل لم يكن يستطيع أن يضبط نفسه، فهو يرمي بقنابله الصوتية المشتملة على كل ألوان السباب والتكفير والتبديع والعنف في وجوه مخالفيه دون مراعاة لأي حرمة، فهو يعتبر نفسه ـ بفعل ذلك التضخيم الذي حصل لشخصه ـ عالما حقيقيا مع أنه لم يدرس في مدرسة دينية، بل تخرج من الجامعة في تخصص المساحة والخرائط من جامعة الإسكندرية، وكل دراساته الدينية كانت من مشايخ معظمهم إن لم يكونوا كلهم من ذوي التوجه السلفي، المختلط بالتوجه الحركي.

ولهذا كان يظهر في كل مناسبة، بل يختاره القائمون على المحافل ليكون الطبل الذي يحدث الضجة، وترقص له القلوب التي لا تحب إلا الضجيج.

فقد ظهر في ذلك المؤتمر المشؤوم لنصرة المشاريع الصهيونية والأمريكية الموجهة لسورية بصورة البطل الذي يدعو إلى النفير العام؛ فقد دعا في ذلك اليوم إلى إرسالة قافلة للجهاد إلى سورية، بسبب كون النظام السوري ــ كما يذكر ــ (مجرم

وكافر، خرج من الإسلام بمكفرات)

بل إنه راح يستعرض عضلاته بين أعضاء المؤتمر، فذكر أن لرابطة علماء أهل السنة التي يتولى نيابة رئاستها قصب السبق في تشكيل كتائب للجهاد على أرض سوريا، داعيًا جموع المسلمين لتشكيل هيئات لدعم سوريا بالسلاح والرصاص والمال قائلا: (نحن لسنا أقل من الرافضة أو المنظمة الإرهابية المسماة بـ [حزب الله] والمرتزقة الذين يحتلون أرض سوريا الآن)

وعندما فطن الشعب والجيش المصري لخطورة المشاريع التي يخطط لها الإسلاميون، وراحوا يطالبونهم بالخروج من الحكم، استدعي هذا البطل ليؤدي دوره التهديدي للشعب المصري، بعد أن أداه مع الشعب السوري، وقد قال حينها كلمته المشهورة: (اللي يرش مرسي بالمية نرشه بالدم)

والعجب أن الحركيين والسلفيين فرحوا بكلمته هذه مع أن الله تعالى يعلمنا في فنون الحوار مع المخالفين أن نتأدب وندقق في الكلمات التي نستعملها، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس:41)

بل إن الله تعالى علمنا من الآداب ما يفوق ذلك بكثير، حيث قال مخاطبا رسوله ﷺ: ﴿ قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ (سبأ:25-26)، فالله تعالى أضاف الإجرام إلى المؤمنين، ولم يذكره في حق غيرهم، بل ذكر بلفظ العمل احتراما للطرف الآخر، حتى لا يمنعه نسبة الإجرام إليه من النظر في الحق والبحث عنه.

لكن هؤلاء الذين توهموا أنفسهم يمثلون الدين، ويمثلون الكتاب والسنة، وهم أبعد الناس عن هذه الأخلاق.. ولهذا كرهتهم الشعوب.. بل كان منها من تبرأ من الدين نفسه بسبب تبرؤه منهم.. فقد كانوا الآلة التي استعملتها الشياطين لتشويه الدين.

ولم يقف صفوت حجازي عند هذا الحد، بل إنه ـ وفي الفترة

التي أتيح فيها للإسلاميين أن يراجعوا أنفسهم، ويهذبوا خطاباتهم بعد أن زالت دولتهم ـ كان يواصل تحريضه من خلال منصة رابعة على اقتحام الحرس الجمهوري، مما أدى إلى اشتباكات راح ضحيتها 54 شخصاً، مع إصابة العشرات.

هذا هو الصنف الذي يراد له أن يمثل الإسلام.. وهو صنف لا علاقة له بالدين، ولا بالأخلاق، ولا بأبسط الآداب الإنسانية.. ولذلك انهار حكم الإخوان في فترة قصيرة، وكيف لا ينهار، وهذه القنابل الصوتية التي تنفجر كل حين، لا تنهد لها الأنظمة فقط، بل تنهد لها الجبال وكل شيء.

فلذلك لا يصحح للإسلاميين أن يتهموا غيرهم بإسقاطهم.. فالذي أسقطهم هي تلك الألسنة الحادة الممتلئة بكل أنواع السموم.. ولو أنهم عرفوا كيف يختارون ممثلهم والناطقين باسمهم لما وقعوا فيما وقعوا فيه.

لب أحد الصالحين من خادم له أن يحضر له الماء ليتوضأ، فجاء الخادم بماء، وكان الماء ساخنًا جدًّا، فوقع من يد الخادم على الرجل، فقال له الرجل وهو غاضب: أحرقْتَني، وأراد أن يعاقبه، فقال الخادم: يا مُعَلِّم الخير ومؤدب الناس، ارجع إلى ما قال الله –تعالى–. قال الرجل الصالح: وماذا قال تعالى؟!قال الخادم: لقد قال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ﴾.قال الرجل: كظمتُ غيظي.قال الخادم:

﴿والعافين عن الناس﴾.قال الرجل: عفوتُ عنك.قال الخادم: ﴿والله يحب المحسنين﴾. قال الرجل: أنت حُرٌّ لوجه الله.

وعندما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة منتصرًا، جلس صلى الله عليه وسلم في المسجد، والمشركون ينظرون إليه، وقلوبهم مرتجفة خشية أن ينتقم منهم، أو يأخذ بالثأر قصاصًا عما صنعوا به وبأصحابه. فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (يا معشر قريش، ما تظنون أني فاعل بكم؟). قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم.. قال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) (14). قال تعالى: ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ (15).

وهو من أهم الأسس النفسية، لأن المحاور الذي يحتقر غيره، ويتكبر عليه ولا يعترف به يمنعه كل ذلك من الإصغاء له أو تفهم حجته والإجابة عليها.

وقد علمنا القرآن الكريم أدبا أرفع من مجرد الاعتراف بالمحاور، هو أدب إحترام المحاور، قال تعالى: قُلْ لا تُسْأَلونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (سبأ:25)

ومن آدب ختم الحوار التي نستنبطها من خلال نماذج الحوار المعروضة في القرآن الكريم هو ختم الحوار بتأكيد المحاور لرأيه، وتبيينه لمسؤولية غيره على ما

رآه في حال عدم اقتناعه، ليكون في ذلك دعوة لمحاورة النفس، أو للتأمل فيما دار في الحوار من معاني، فتأثير الحوار لا يقتصر على مجلسه.

مؤلفات

تحقيق كتاب موسوعة الدماء للشيخ عطية محمد سالم مطبوع

تحقيق كتاب "العين والرقية" للشيخ عطية محمد سالم مطبوع

تحقيق كتاب شرح الأربعين النووية للشيخ عطية محمد سالم تحت الطبع

كتاب "في بيتنا مرابط" مطبوع

كتاب "نساء بيت النبوة". تحت الطبع

البرامج التليفزيونية

برنامج "رحمة للعالمين" في قناة اقرأ

برنامج "نساء مؤمنات" في قناة اقرأ

برنامج "جيل النصر" في قناة اقرأ

برنامج "فضفضة" في قناة الناس

برنامج "زمان العزة" في قناة الناس

ضيف في البرامج الآتية:

برنامج "عم يتسائلون" في قناة دريم2

برنامج "مجلة المرأة" في قناة اقرأ

برنامج "دنيا ودين" في القناة الثانية بالتليفزيون المصري

برنامج "الرحمن علم القرآن" القناة الأولى بالتليفزيون المصري

مجموعة شرائط كاسيت وCd

نساء بيت النبوة 12 شريط

نبينا 11 شريط

أبى وأمى أحبكما شريط

وقل الحمد لله شريط

الرباط شريط

أدب الاختلاف 2 شريط

النبى في بيته شريط

كيف نكون رجالا 2 شريط

، قال الرازي تعليقا على الآية:(هذا إرشاد من الله لرسوله إلى المناظرات الجارية في العلوم وغيرها وذلك لأن أحد المتناظرين إذا قال للآخر هذا الذي تقوله خطأ وأنت فيه مخطىء يغضبه وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر وعند اختلاله لا مطمع في الفهم فيفوت الغرض، وأما إذا قال له بأن أحدنا لا يشك في أنه مخطىء والتمادي في الباطل قبيح والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق فنجتهد ونبصر أينا على الخطأ ليحترز فإنه يجتهد ذلك الخصم في النظر ويترك التعصب وذلك لا يوجب نقصاً في المنزلة لأنه أوهم بأنه في قوله شاك ويدل عليه قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم:﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ ﴾ مع أنه لا يشك في أنه هو الهادي وهو المهتدي وهم الضالون والمضلون)([64])

ما وردت عدة آيات تخبرنا عن مقدار كيد هؤلاءِ للدعوة وللإسلام، وتحدثنا عما كانوا يدبِّرونه في الخفاء للنيل من الإسلام والمسلمين.

عليه السلام قال تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: 108]

نزلت هذه الآيات في رهط من المنافقين، فجروا في خصامهم لله ورسوله، وفي خصامهم للدعوة وأصحابها.

إن المنافقين أكل الحقد قلوبهم، واستولت الضغينة على نفوسهم، يستغلون كل فرصة للكيد للإسلام والمسلمين.

ولولا حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإيمان أصحابه لاندلعت نار الفتنة، ولَتَزَعَّمَ رأس المنافقين (ابن أُبيّ) حركة ثورية انتقامية [2].

فالفجور في الخصام: آفة من آفات النفاق، وخَصلة من خصال المنافقين ما بقيت السماوات والأرض. فإن كان الهدف منه تعطيل الرسالة وأعمال الدعوة، والكيد للإسلام، وهدم سيادته وأهدافه وأركانه، فهذا أشرُّ أنواعه وأقبحها.

[1] أخرجه مسلم: ك: صفات المنافقين وأحكامهم، ح (2779)، وقوله: ﴿تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ﴾ ويُروَى﴿تكفيهم﴾، ويُروَى﴿تكفتهم﴾، ومعناه:

تميتهم وتغطيهم فى قبورهم، وقد فسَّر المراد بالدبيلة بما بعدها وهو (سراج من النار). انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (8/310)، وشرح النووي على مسلم (17/125).

الحويني.. وفنون التوحش

من القـادة الاجتمـاعيين الكبـار الـذين كـان لهم حظهم في التأثير في الشباب، وتوعيته وتربيته وإخراجه للعالم ذلك المحـدث الذي يصر دائما على أن يعتبر نفسه تلميذا للألباني، ولكبار علمـاء السلفية، والذي يحـرص أتباعـه على تلقيبـه بـ [أسـد السـنة] أبـو إسحاق الحويني.



وله مزايا كثيرة بالإضافة إلى ما ذكرنا، وأهمهـا إتقانـه للكثـير من فنـون التـوحش، والـتي كـان يصـفها في أحاديثـه ودروسـه المسجلة بلذة كبيرة، وكأنه كان يمارسها أثناء حديثه عنها.

وكان أتباعه المنبهرون به يكـبرون عنـد كـل فن من الفنـون، ويلتذون بحديثه، وهو يطرح صورة للدولة الإسـلامية الـتي تفـرض سيطرتها ووحشيتها على العالم، وتمارس كل فنون السادية عليـه حـتى يمتلئ الكـل رعبـا منهـا؛ فيسـلمها الإتـاوات والجزيـة، وهي باعتبارها دولة إسلامية، وباعتبار أهلهـا شـعب اللـه المختـار تظـل كسولة مقعدة لا تعمل شيئا سوى أن ترسل جنودها كــل حين لأي مدينة من المـدن الـتي يتمـرد أهلهـا لتسـبي نسـاءهم وأطفـالهم، وتذبح شبابهم وكبارهم.. ثم تسـطو على بنـوكهم ومصـانعهم، كمـا تسكن بيوتهم وقصورهم.

وبـذلك اسـتطاع الشـيخ أن يقنـع الشـباب بالجهـاد.. فمزايـا الجهاد ـ كمـا يصـورها ــ لا تتوقـف على جنـان الآخـرة فقـط.. بـل مزاياه أكبر من ذلك بكثـير، فليس على المجاهـد سـوى أن يـدخل أي معركة، ليصـير لـه سـهم في غنائمهـا، ثم يتحـول مباشـرة من صعلوك فقير إلى غني كبير، بالإضافة لذلك الوسام الذي اكتسـبه، والضياع الكثيرة في الجنة التي ستوفرها له الملائكة حال سقوطه شهيدا.

وقد كـانت كلماتـه قديمـة، وكثـيرة، وكـان يحضّـر من خلالهـا الأجيال التي تؤسس للقاعدة وداعش والنصـرة وجيـوش الإسـلام الكثيرة التي مارست كل فنون التوحش في سورية والعراق وليبيا والصومال والجزائر وكل بلاد الإسلام..

ومن أحاديثه الـتي لا تـزال تسـجيلاتها موجـودة، والـتي نـالت حظهــا من الإشــهار الإعلامي، والاســتغلال الغــربي حديثــه عن الاسترقاق، والذي طبقتـه داعش خصوصـا خـير تطـبيق، فأسـرت النساء والغلمان، كما حفرت المقابر الجماعيـة للشـباب والكهـول والشيوخ.

فقد قال في ذلك التسجيل، وباللهجة العاميـة، بحكم بسـاطة مستواه، ومسـتوى من كـان يحضـر دروسـه، ومسـتوى الجمـاهير العريضة التي أعطته عقولها ليملأها بكـل فنـون التـوحش: (أظلنـا زمان الجهاد.. والجهاد فى سبيل الله متعـة.. هـو الفقـر اللى إحنـا فيه ده مش بسبب تركنا للجهـاد؟ مش لـو كنـا كـل سـنة عمـالين نغـزو مـرة ولا اتـنين ولا تلاتـة مش كـان هيسـلم نـاس كتـير فى الأرض)

وهذا ما فـرح بـه المبشـرون والمستشـرقون والمسـتغربون الذين يصرون كل حين على أن الإسلام نشـر بالسـيف، ونحن نـرد عليهم بأنه لم ينتشر به.. لكن حضرة الشيخ، يـأتي ويؤكـد لهم أنـه بالفعل انتشر بالسيف.

ثم يعقب على هذا بمـا ينالـه المجاهـدون من مغـانم وسـبايا، وأن ذلك هو الحل للخروج من الأزمـة الاقتصـادية، والـتي شـرحها

الشيخ بقوله ـ وهو يعدد مزايا الجهاد الاقتصادية ـ: (كل واحد كان هيرجع من الغزوة جايب معاه تلات أربع أشحطة، وتلات أربع نسوان، وتلات أربع ولاد، اضرب كل رأس فى ستميت درهم، ولا ستميت دينار يطلع بمالية كويسة)

ثم يقارن الشيخ بين هذه المشروع الاقتصادي الذي يعتمد الغزو والغنائم المالية والبشرية على التجارة والصناعة وعقد الصفقات قائلا: (ولو رايح علشان تعمل صفقة عمرك ما هتعمل الأموال دى)

ثم ينظر إلى أحد الذين أحنوا رؤوسهم لكلماته، قائلا له: (وكل ما الواحد يتعذر ياخد رأس يبيعها، ويفك أزمته ويبقاله الغلبة)

ثم يتوجه إلى الجمهور المحيط به، والذي يعلف كلماته كما تعلف البهائم شعيرها قائلا لهم: (واللى يرفض هذه الدعوة نقاتله ونخدوا أسير وناخد أموالهم ونساءهم وكل دى عبارة عن فلوس)

وهكذا عندما يتحدث عن تطبيق الشريعة الإسلامية، فهو لا ينظر إلى سماحتها وسلامها والمبادئ الإنسانية التي تحملها، وإنما ينظر إليها باعتبارها حدودا وزواجر؛ ومن حديثه في هذا قوله: (إن تطبيق حدود الشرع هو الحل لكل مشاكلنا، فإذا وجدنا من يسير فى الشارع يده مقطوعة عرفنا أنه سارق، وبالتالى يصبح عبرة لمن يعتبر.. فلماذا نعطل الحدود الشرعية التى هى لب الإسلام؟)

وهكذا عندما يتحدث عن الصحابة يصورهم بهذه الصورة، فيذكر أن خالدا بن الوليد طبخ رأس مالك بن نويرة، وتزوج امرأته في نفس الليلة التي قتله فيها.. ويصور ذلك بصورة سادية تجعل من أتباعه وحوشا لا إنسانية فيهم، ولا رحمة لهم..

ويعلل ذلك بأن الجيش المسلم يحتاج إلى زرع الرعب في أعدائه، واستعمال كل وسائل الإرهاب، وليس هناك أي شيء محرم في هذا المجال.

ولذلك مارس تلاميذه كل ألوان الوحشية؛ فكانوا يدمرون

الـبيوت، ويأسـرون النسـاء والأطفـال، ويمارسـون كـل فنـون التعذيب، وعندما أتيح لهم السلاح الكيمياوي ضربوا بـه، ثم اتهمـوا الجيش السوري، لأن الحرب عندهم خدعة ودجل وإرهاب.

وأنا أحمد الله على أن السلاح النـووي لم يكن بيـدهم، وكـان بيد مجنون كوريا، ومجنون أمريكـا، وغيرهمـا من المجـانين.. ذلـك أنه لو كان بأيديهم لأصبحت الأرض كوكبا ميتا مثلها مثل المشـتري وعطارد وزحل.

وجدي غنيم.. والتكفير ثلاثي الأبعاد

[كافر.. كافر.. كافر] ربما مرت هذه الكلمة الحادة الشديدة على مسامعكم، وربما جرحت الكثير منكم، وهي حقيقة بذلك.. فهي صاروخ أخطر من كل صواريخ الدنيا، لأنه لا يحمل رؤوسا نووية، قد تشوه الأجساد أو تحرقها، وإنما يحمل رؤوسا تضم كل معاني الحرمان والطرد من رحمة الله.



وهو صاروخ لم تستطع أمريكا ولا القوى العظمى صناعته، وإنما الوحيدون الذين تخصصوا فيه، وبرعوا، وصاروا يحملون علامة تسجيله أولئك الذين نصبوا أنفسهم بوابين على رحمة الله، يغلقونها في وجه من شاءوا، ويفتحونها في وجه من شاءوا، وكيفما شاءوا، وكأن الله تعالى قد فوضهم شؤون خلقه، وأعطاهم صكوك الغفران، وصكوك الحرمان، ليوزعوها كما يحلو لهم.

ولا يمكنني هنا أن أذكر أسماء أولئك الذين يحملون أمثال هذه الصواريخ، فعدّهم مستحيل، لذلك سأكتفي بأحدهم، باعتباره صاحب اختراع التكفير ثلاثي الأبعاد، فهو مثل ذلك الزوج الذي لم يرض أن يطلق زوجته بكلمة واحدة، بل راح يعدد كلمة التكفير بعدد براكين الحقد التي تغلي في قلبه.

وهكذا هو الشيخ، أو رجـل الـدين، أو الكـاهن الأكـبر [وجـدي غـنيم]، صـاحب الكلمـات الشـديدة، والمواقـف الصـلبة، واللهجـة الحادة.. ذلك الذي يتطاير الزبد من فمه نتيجة براكين الأحقاد التي تغلي في قلبه.

ذلـك الـذي يمثـل التربيـة الحركيـة في عنفـوان قوتهـا.. تلـك التربية التي لا تغرس السلام والمحبة والتسـامح والأخلاق العاليـة، وكل ما يرتبط بها من هـدوء وأنـاة ورفـق، وإنمـا تتقن فن صـناعة النمـور والأسـود والصـقور.. أولئـك الـذين يبحثـون كـل حين عن فرائس يصطادوها، وينشبوا أنيابهم فيها.

لعلكم سـمعتموه، ورأيتمـوه كيـف يتحـدث عن السياسـيين والفنانين والعسكر.. وكيـف يفـرز أحقـاده على الشـعب المصـري لأنه لم ينتفض ضد الجيش.. وعلى الشعب السـوري، لأن أكـثره لا يزال يلتف حـول رئيسـه.. وعلى كـل شـعب يختلـف معـه، فهـو لا يكتفي بالنصح والتوجيه، وإنمـا ينصـب نفسـه قاضـيا على كرسـي الحكم، ليحكم على كـل من يتفـوه بكلمـة لا يتفـق معهـا بـالكفر والضلالة، وجهنم وبئس المصير.

وهــو من الألســن الــتي ولغت في دم الشــعب الســوري، وحرضــت عليــه، وأمــدت الإرهــابين بســيول من أنهــار الحقــد، ليمارسوا كبرياءهم وغطرستم وحقدهم.

وهــو من الألســن الــتي لا تنفــك عن الحــديث عن الــرئيس المصري، ذلك الذي أنقذ شـعبه من حـرب داخليـة كـادت تطحنـه، فهو لا يسميه باسـمه، وإنمـا يحرفـه تحريفـا شـديدا، ويكفـره كـل حين، ويحرض الجيش على الانشقاق عليه، ويحرض الشــعب على اغتياله.

وهو من الألسن التي حرضت على الرئيس التونسي، بســبب قضية فرعية بسيطة حـول مسـاواة المـرأة للرجـل في المـيراث، ولو أنه كان يعـرف الشـريعة حقـا، لعـرف أنـه يمكن في ظـروف كثيرة مساواة المرأة مـع الرجـل في المـيراث، بـل إنـه يمكن أن يصير نصيبها أكثر منـه، فـالمواريث مبنيـة على العدالـة، والوصـية

للأقـربين الـواردة في القـرآن الكـريم يمكن توظيفهـا في هـذا المحـل، كمـا وظفهـا علمـاء الأزهـر الشـريف في تـوريث الأحفـاد الذين مات آباؤهم، ولـذلك يمكن توظيفهـا أيضـا في إعطـاء البنت المحتاجة مثل أخيها أو أكثر من أخيها، إذا كانت أحوج من أخيها(1).

كـان يمكنـه أن ينظـر للمسـألة من هـذه الزاويـة، أو يقـوم بنصيحة الرئيس التونسـي وتوجيهـه وتعليمـه، فهـو ليس فقيهـا ولا عالما، وربما قال ما قال متأولا أو بناء على جهله بالمسألة.. لكنــه رفض ذلك، لأن عقله والبركان الذي يغلي بداخله يمنعه من ذلــك؛ فهو يريد أن يصدر حكما بتكفيره كما أصدر حكمـا قبـل ذلـك على القذافي ليقوم الشعب بعدها بقتله، وتتحول تونس إلى بلد فاشل.

وينسى أنه بعمله ذلـك ينشـر الحقـد في قلب هـذا الـرئيس، وفي قلب المحيطين به وفي قلوب أنصاره، لينصـب غضـبهم على كل من يتوجه توجها إسلاميا، وبذلك يضر إخوانه قبل أن يضر ذلك الرئيس الذي لا يبالي به، لأن لديه من علماء تـونس من هم أفقـه وأورع وأعلم منه.

لكن هذا الحريص على الدين، وعلى أن يظـل نصـيب الرجـل في الميراث متفوقا على نصيب المرأة ينسى أن يتحدث ولو بثلث كلمة عن قطر تلك التي ساهمت في تـدمير العـراق وأفغانسـتان، وضـربت سـوريا.. ولا تـزال تخطـط لضـرب كـل عـدو لأمريكـا أو إسرائيل.

وينســى أن يتحـدث عن السـلطان الـتركي ذلـك الـذي يقيم علاقات استراتيجية مع إسـرائيل، ويـأذن لكـل مواخـير الرذيلـة أن تقام في بلاده، وهو يتبنى العلمانية، ويضـع صـورة كمـال أتـاتورك في مكتبه.. ومع ذلك لا يتحدث عنه، لأنه مخـول أن يـوزع صـكوك الغفران لمن يرضى عنه، ويوزع صكوك الحرمان لمن يحقد عليه.

هذا نمـوذج فقـط للتربيـة الحركيـة.. وللعمـل الـذي يسـمونه إسلاميا.. فهل يمكن أن تقام دولة أو مجتمع في ظل هؤلاء؟

1) أقول هذا عن علم لأن لي بحثا قديما فيه، بعنوان [الوصـية للأقـربين ودورها في تحقيق العدالة في المواريث] وأدلته كثيرة جدا..

لهذا أكره التنويريين

تعجب الكثير من مواقفي السابقة من التنويريين، لتوهمهم أنهم يريدون نهضة الأمة وتحضرها، وأنهم ينتقدون التراث حتى تنطلق الأمة انطلاقة صحيحة.. ولكنهم يجهلون أن ذلك مجرد طلاء خارجي، والحقيقة عفنة جدا لا يمكن تصورها.. فمشكلة التنويريين أنهم مثل السلفيين تماما، مجرد بضاعة جديدة يقدمها الغرب كبديل للبضاعة القديمة المستهلكة، والتي انتهى دورها، واحترقت أوراقها.



ولمن شاء الدليل على ذلك، فليذهب إلى موقع أحدهم.. ذلك المسمى [عدنان إبراهيم]، ذلك الذي نال الشهرة الواسعة، واستقبلته القنوات الفضائية، وصاح الشباب في كل مكان بالدعاية له.. وكان في إمكانه أن يبث وعيا سياسيا في الأمة يقيها آثار الحرب الناعمة التي تتسلط عليها، لكنه لم يفعل.

زوروا موقعه الالكتروني، لتروا قيمة هوكينغ عنده، وكيف خطب الخطب في الترحم عليه والدعاء له والدفاع عنه بمجرد أن جاءت الأخبار بوفاته.. لكنه لم يتكلم كلمة واحدة في حق العدوان الثلاثي على سورية، ولا في حق عدوان إسرائيل عليها.. بل إنه في كل حين يثني على أعدائها، ويتحدث عن عدالتهم والقيم

الإنسانية التي يحملونها.

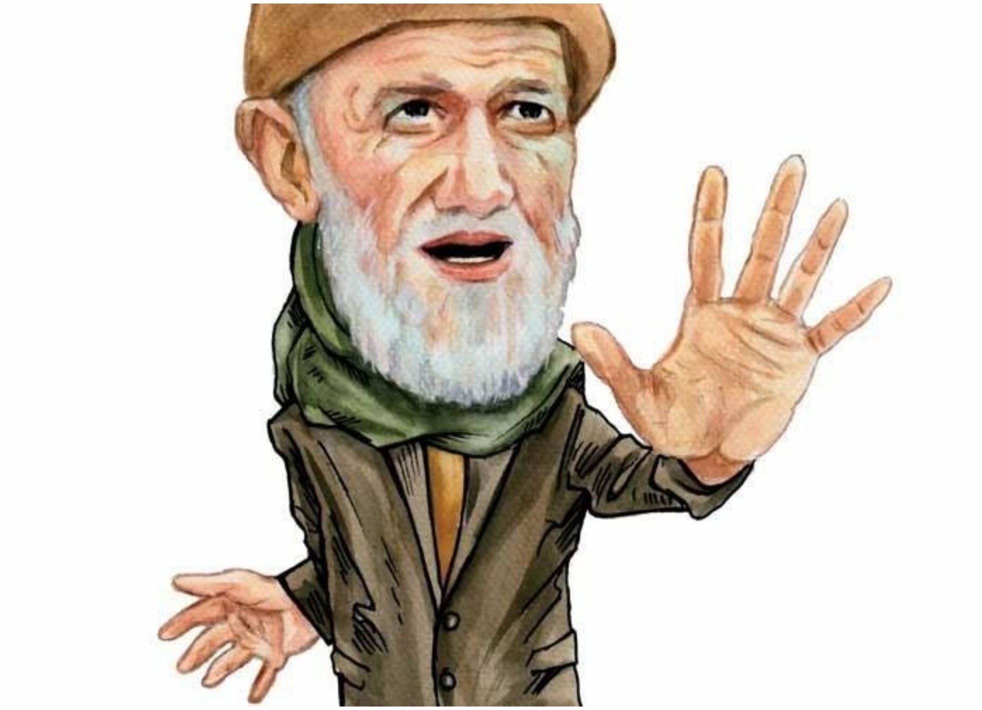
لهذا أكره هؤلاء التنويريين الـذي لا يختلفـون أبـدا عن أولئـك السلفيين المتطرفين.. والفرق بينهما ليس سـوى في أن أحـدهما يلبس قميصا والآخر بذلة.. أما الحقيقة؛ فكلاهما يشـرب من مبنـع واحد.

قاعدتي الـتي أتعامـل بهـا مـع الأشـياء، والـتي على أساسـها يكون الجـرح والتعـديل هي أنـه: (لا يمكن أن ينهض بالأمـة من لم يتألم لآلامها، ويحزن لحزنها، ويفرح لفرحها)

ولذلك لا يمكن أن أكره المتطرفين والأمريكان والإسرائليين، ثم لا أكره بعد ذلك من يشاركهم أفراحهم في ضرب قلب العروبة النابض.. سورية الحبيبة.

جودت سعيد.. الناصح المضيع

من جنايات الإعلام المغرض الذي استخدم في حـرب سـوريا وغيرها من البلاد العربية ذلك الإشـهار الخطـير للأقـزام من دعـاة العنف والفتنة والحرب، في نفس الوقت الذي يقـزم فيـه عمالقـة الفكر والهداية والتنوير من دعاة الحكمة والسلام والرفق.



وعلى رأس هؤلاء المفكر الكبير، والداعيـة القـدير، والناصـح المضيع [جودت سـعيد]، داعيـة اللاعنـف، والـذي يطلـق عليـه في الساحة الفكرية لقب [غاندي العرب]

فلو أن الحركة الإسلامية في الجزائر اسـتمعت إليـه، وآثرتـه على أولئك المشايخ الذي كـانوا ينفخـون فيهـا كـل بـراكين الحقـد والعنف، ونظرت إلى حكمته، خاصة وهـو يسـتمد الكثـير منهـا من شيخه وأسـتاذه وصـديقه [مالـك بن نـبي]، لمـا سـالت قطـرة دم واحدة في الجزائر، ولكان وضع الحركيين الآن مختلفا تماما، ولكنا بدل الكتابة عن جرائرهم ومثالبهم نكتب في محاسنهم ومناقبهم.

ولـو أن الحركـيين في سـورية، أولئـك الـذين أحرقـوا حمـاه،

واستولوا عليها، وراحوا يبرزون عضلاتهم باسم الإسلام وهم يفتحونها بسيوفهم ـ كما يذكرون ـ استمعوا إلى نصائحه وأحاديثه المفعمة بالصدق والإيمان، والداعية إلى السلم واللاعنف، لكان وضع سورية الآن مختلفا تماما، ولما حدثت أحداث حماه، والتي أعيدت أحقادها بعد ذلك على الشكل الذي نراه.

ولو أن الحركيين الذين أرسلوا خيرة أبناء الأمة وشبابها إلى أفغانستان والصومال والسودان وأندونيسيا وكل أرض الله، ليفجروا أنفسهم، ويشوهوا الإسلام.. لو أنهم استمعوا إليه، لأرسلوهم إلى جامعات العالم ليتخرج منهم المهندس المسلم، والطبيب المسلم، والفلكي المسلم، والمفكر المسلم..

ولو أن الإخوان في مصر، استمعوا إلى نصائحه الغالية، وقوله قبل عقود من الزمان وعلى شاشة التلفزيون السوريّ: (إنّ الإسلام من معدن صدقٍ وأمانةٍ ووفاء، والسياسة من معدن كذبٍ وخيانةٍ وغدر).. لما أقحموا أنفسهم في السياسة، ولآثروا التغيير الاجتماعي الهادئ على التغيير السلطوي العنيف.. وحينها لن تكون هناك رابعة، ولا ثورة مضادة، ولا مصادرة أموال، ولا رمي بالإرهاب..

لكن هؤلاء جميعا لم يفعلوا، لأنهم لا يستطيعون أن يهضموا إسلاما من دون سيوف، وقد عودهم الإعلام أنه لا يمثل فلم ديني من غير سيوف، ومن غير رقاب تقطع، ودماء تسفك.

وعندما حضرت الفتنة السورية، وراحت قنوات الفتنة تبحث عن القادة الاجتماعيين الذين يخدمون أغراضها، تغريهم بالأموال الكثيرة، وكان يمكن أن تشتريه، كما اشترت غيره، وأن تجعله يصدر فتوى واحدة ضد نظام بلاده، يدعو فيها إلى المواجهة المسلحة.. لكنه لم يفعل مثلما فعل أولئك الخونة من القرضاوي وأذنابه.. فلذلك راح يسقط ويقزم ويحقر.. وراح يعمل في الفلاحة وتربية النحل في بلدته الصغيرة في الوقت الذي راح فيها دعاة الفتنة يتنافسون على القصور والأموال والجاه العريض.

ولهذا لا نستغرب أننا عندما نتحدث عن أولئك الظلمة من

علماء الفتنة، أن يبرز لنا من عوام الناس بل من خواصهم من يقول لنا: ومن تركت من مشايخ الإسلام؟

وكأن مشايخ الإسلام ليسوا سوى أولئك الذين يظهرهم الإعلام، ويزينهم كما يزين منتوجاته التي يقوم بالإشهار لها.

لقد كان من كلماته التي استقبل بها تلك الموجة المسلحة التي بدأت بها الفتنة في سورية قوله: (إذا نجحت الثورة السورية بالسلاح فسنظل محكومين بالسلاح الذي نحكم به منذ 1400 سنة من حكم معاوية إلي يومنا هذا. كل من أخذ بالسيف، بالسيف يهلك، والديمقراطية لا تحل في بلد إلا إذا أجمع الفرقاء فيه على الاحتكام لا إلى القوة بل إلى الصندوق. هذه أشياء بدهية ولا يتكلم بها أحد)[1]، وكلمات كثيرة وجهها لقومه وللحركة الإسلامية خصوصا، تلك التي لا تعرف شيئا سوى العنف، والتي قابلت كلماته بالعبوس والشدة، واعتبرته شبيحا، وعميلا للنظام.

وكان قبل ذلك قد كتب الكتب الكثيرة التي يدعو فيها هذه الحركة إلى الكف عن منهجها العنيف، والتزام الإسلام المسالم؛ فهو الممثل الحقيقي لرسول الله ﷺ.. والممثل الحقيقي للدين الأصيل.

لكن الحركة الإسلامية الممتلئة بمفاهيم الجهاد والعنف ترد عليه بقوة: كيف نهادن الأنظمة التي تريد اعتقالنا وقتلنا؟، فيجيبها بكل هدوء: بمذهب ابن آدم الأول الذي ذكره القرآن الكريم، لنعيشه ونعتبر به، والذي عبر عنه هابيل عندما هدده أخاه قابيل بقوله: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [المائدة: 28]

لكن الحركة الإسلامية الممتلئة بالعزة الآثمة راحت تسخر منه، وتعتبر ما يدعو إليه مهانة، لأن الإسلام في تصورها لا يمثله الإنسان المسالم الذي يفعل ما فعله ابن آدم الأول، وإنما هو ذلك العنيف الذي عبر عنه صفوت حجازي بقوله: (من رشنا بالماء

---

1) انظر مقالا بعنوان: جودت سعيد: الهجرة إلى الإنسان، صالح عمر عبد النور.

رششناه بالدماء)

وللذين يتساءلون عن البديل، وكيف نغـير الواقـع السياسـي، يجيبهم جـودت الـذي تعـود ألا يجيب إلا بـالقرآن الكـريم، بقولـه تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: 11]

ثم يفسـر لهم ذلـك بأنـه لا يمكنهم أن يغـيروا السياسـة ولا المجتمـع، حـتى يبـدأو بـالأنفس؛ فيهـذبوها، ويربوهـا، ويعلموهـا، ويرفعوهـا إلى مسـتوى الإنسـان العـدل لا الإنسـان الكـل، حينهـا يحصل التغيير وبصورة تلقائية من دون تكلف، ومن دون دماء.

ولـذلك كتب كتبـه الكثـيرة يـدعو إلى هـذا النـوع من التغيـير المسالم المبني على رفع الإنسان إلى مستوى الإنسـان، والـترفع به عن تلك البهيمية والسبعية والعدوانية الـتي تـدعو إليهـا الحركـة الإسلامية، وتربي أتباعها عليها.

ومن عنـاوين كتبـه الكثـيرة نستشـف رؤيتـه للتغيـير وترشـيد العمل الإسلامي، فمن عناوينها [مذهب ابن آدم الأول ـ أو مشـكلة العنـف في العمـل الإسـلامي]، والـذي شـرح فيـه قصـة ابـني آدم الـواردة في القـرآن الكـريم واسـتنبط منهـا مبـدأ [اللاعنـف في الإسلام]، مسـتدلا لـذلك بالأحـاديث الكثـيرة الداعيـة إلى مواجهـة العنف باللاعنف.

وقد يتصور البعض أنه كتبه بعد حـوادث العنـف الـتي حصـلت في حماه، ولم يكن الأمر كذلك، بل كتبه قبـل حصـولها، وبالضـبط في منتصف الستينيات من القـرن العشـرين، ليوجهـه نصـيحة لهـا قبل أن تقدم على ما أقدمت عليه، وقد دعاه إلى ذلك مـا رآه في صراع إخوان مصر حينها مع السلطة، والذي جرهم إلى مـا جـرهم إليه من اعتقالات كان يمكنهم تفاديها لو أنهم اكتفـوا بـالتغيير لمـا في الأنفس، والتزموا المنهج الهادئ.

وقد بين جودت سعيد في ذلك الكتـاب أنـه لا يجـوز الوصـول إلى السـلطة والحكم بـالقوة وبالسـيف، فكـل من أخـذ بالسـيف بالسيف يهلك، والتغيير بالقوة لا يغير المجتمع وإنما يذهب بهرقــل

ويأتي بهرقل، ولذلك منع الرسول ﷺ أصحابه من الدفاع عن أنفسهم أثناء وجودهم في مكة، وإنما سمح لهم الجهاد بالسيف بعد أن تشكل المجتمع الراشد في المدينة بدون ممارسة عنف وإنما بإقناع الناس، وعندما يتشكل المجتمع الراشد يصبح من واجبه نصرة المظلومين والدفاع عن سلامتهم.

ومن كتبه المهمة الممثلة لمشروعه البديل كتاب[حتى يغيروا ما بأنفسهم]، والذي قدمه له [مالك بن نبي] الذي نرى الحركة الإسلامية تتبنى شخصه، وتحارب أفكاره.

وقد طرح جودت سعيد في كتابه ذلك منهج الوصول إلى السلطة الذي تطمح إليه الحركة الإسلامية، فهو منهج يعتمد على تغيير ما بالأنفس، والذي يؤدي بالضرورة إلى تغيير الواقع، ففي الآية الكريمة ـ كما يفهم جودت سعيد ـ تغييران: تغيير يؤديه الله، وتغيير يقوم به القوم، والتغيير الأول نتيجة للتغيير الثاني، فالله لن يغير حتى يقوم القوم بالتغيير أولاً. كما أن مجال التغيير الذي يحدثه الله، هو ما بالقوم، والتغيير الذي أسنده الله إلى القوم، مجاله ما بأنفس القوم.

ويختم كتابه بقوله: (كم من حقائق قرآنية أولية بسيطة على مسمع كل أحد في قارعة الطريق، ولكن مع هذا كله لا ينتبه إليها منتبه، وكم من المصائب التي تسد علينا منافذ الحياة تنشأ عن هذا النسيان وعدم الانتباه.. وكم من الآلاف المؤلفة من الشباب يصابون بخيبة أمل، أو بخلخلة في ثقتهم بجدية المنهج الديني حين يكشفون الحقيقة، لأنهم يعيشون على الوهم متقوقعين! ثم كم من الشباب يصابون بالشك في الدين إطلاقاً، ويظهر عليهم آثار ذلك بأساليب مختلفة، لكل موسم ما يناسبه، وليس آخرها أصحاب الشعور الطويلة الذين يملأون الأسواق ... إنه الامتلاء بالأوهام. أجل إنها مشكلة مجتمع، مشكلة جيل ضائع متخم بالأوهام، ومجاعة من إدراك سنة الحياة)

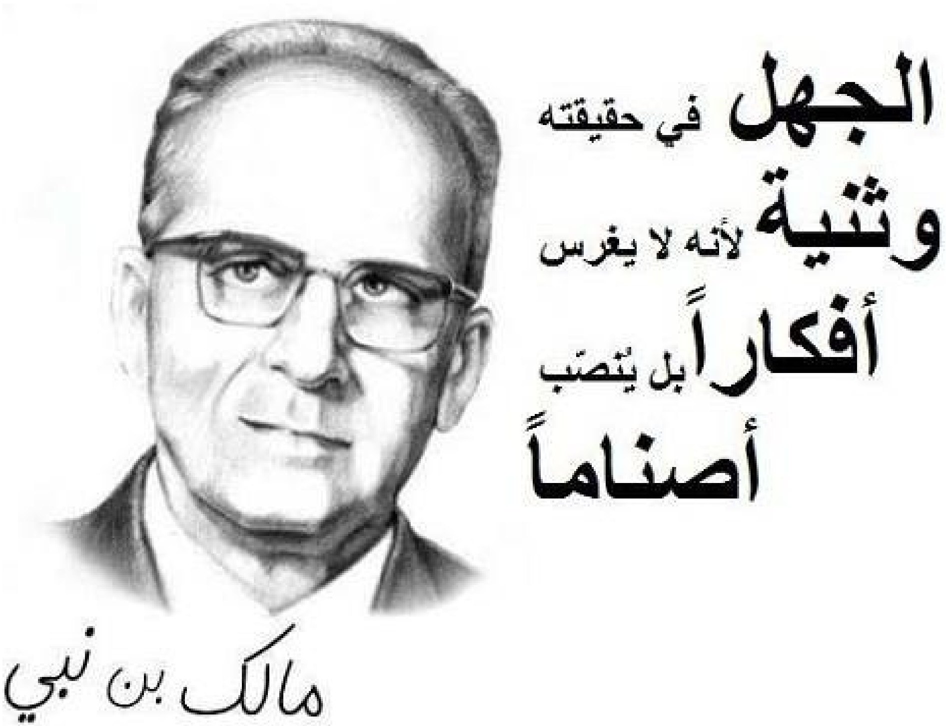
وهكذا في كتبه جميعا كان يدعو إلى العلم والقراءة والترقي من خلالهما، وقد كتب في ذلك كتابه المعروف المهجور[اقرأ وربك الأكرم].. وغيرها من الكتب التي تطرح البدائل السلمية

للعمل الإسلامي الذي يرقى بالأمة إلى مستواها الحضـاري اللائـق بقرآنها ونبيها ودينها.

ولأجل هذا كلـه هجرتـه الحركـات الإسـلامية، وسـخرت منـه، وراحت تحمل السلاح، وتسمع لمن يفتون بالقتـل، والنفـير العـام، وتحضير المجاهدين لكل من يرغب الشياطين في تأديبهم.

الإسلاميون.. والصراع مع مالك بن نبي

من الشخصيات التي توضع للزينة على ألسنة أبناء الحركات الإسلامية، ومن يحذو حذوها [مالك بن نبي]، ذلك أنك بمجرد أن تذكره يثنون عليه، وعلى مشاريعه الفكرية والحضارية، بل قد يقتبسوا من كلماته ما يزينون به خطبهم، ويلمعوا به أنفسهم، ليوهموا المستمع إليهم، أنهم أبناء فكره، وخريجو مدرسته، وأنهم أصحاب مشروع حضاري.



مع أنهم في الحقيقة والواقع أعداؤه الألداء، الذين لا يتقنون شيئا مثل إتقان الصراع مع كل شيء.. وليس لهم من مشروع سوى مشروع الفوضى.. ذلك أنهم يهدمون أكثر مما يبنون، ويفسدون أكثر مما يصلحون.

ولو أن مالك بن نبي كان حيا، لتبرأ منهم كما تتبرأ منهم أفكاره التي بثها في كتبها التي يزينون بها مكتباتهم، بينما يهجرونها في الواقع، ولو أنهم طبقوها لما أثاروا أي فتنة تحت

اسم الإسلام، ولتحركوا كما يتحرك النسيم العليل من دون أن يشعر بحركتهم أحد.

وللأسف كان من رواد الفتنة في الجزائر أولئك الذين يزعمون أنهم تلاميذ فكره.. وكان الشيخ عباسي مدني ذلك الذي لم يتخلف عن فتنة إلا وحشر نفسه فيها يحدثك عن مالك بن نبي وكأنه صديقه الصدوق، بينما هو في سلوكه وتصرفاته ليس سوى عدوه اللدود.

فمالك بن نبي لم يكن يدعو أبدا إلى الفوضى في التغيير.. ولم يكن ينتهج منهج السياسة، بل لم يكن يؤمن بها أصلا.. فالتغيير لا يأتي من القمة، ولا من كراسي السلطة، وإنما يبدأ من الإنسان الذي هو أول أركان من أركان معادلته في النهضة.. فعندما يتغير الإنسان المسلم، ليصبح إنسانا أولا، يحمل كل قيم الإنسانية.. ثم مسلما يحمل كل روحانيات المسلم وشفافيته.. حينها فقط يستحق الجزاء الإلهي والتمكين الإلهي.

لكن الحركة الإسلامية راحت تتجاهل هذا البعد.. وتعتبر الفرد مجرد آلة للوصول إلى الكرسي الأكبر الذي حطمت كل شيء من أجل الوصول إليه.. وأول ما حطمت إنسانيها قبل أن تحطم إسلامها.. فأصبح المسلم أقرب إلى الوحوش والسباع منه إلى الإنسان.. وأصبح على الدعاة ليس دعوة الإنسان إلى الإسلام.. وإنما دعوتهم إلى التحقق بالإنسانية.

وهكذا نرى مالك بن نبي يعتبر الوقت شرطا مهما في كل شيء.. ولذلك يدعو إلى الأناة المصحوبة بالحركة الواعية، لكن الحركات الإسلامية، وخصوصا تلك التي تتصور أنها تتبناه، راحت تتجاهل هذا المعنى، وتتسرع في كل شيء.. وتصيح كل حين: إلى متى نبقى بعيدين عن السلطة؟.. وإلى متى تبقى السلطة بعيدة عن الإسلام؟.. أو كما قال شيخهم عباسي مدني في الفترة التي ملأ فيها الغرور عقله: (سنقيم دولة الإسلام في الشتاء المقبل)

وكان مالك بن نبي يذكر كل حين أن الاستعمار الذي ولى عن بلادنا سيعود بحلل أخرى، وأنه سيستعمل كل الوسائل

لاختراق العقول التي لها القابلية لـذلك، وكـانت مقولتـه الشـهيرة في تفسير الاستعمار، والقابلية لـه دعـوة للتحصـين حـتى لا يعـود الاستعمار بأي حلة.

لكن مقولته تلك التي تكرر كل حين لم تفعّل في الواقع، بـل تجاهلها الكثير، وكـان عليهم أن يفعّلوهـا في كـل مـا حصـل لهم.. كان عليهم أن يفسـروا لأنفسـهم سـر فشـلهم في كـل المشـاريع التي دخلوا فيها بكونهم أصحاب قابلية للفشل، مثلمـا فعـل مالـك بن نبي عندما برر الاستعمار بتخلف الشـعوب، لا بقهـر المسـتعمر وظلمه.

لكن الحركة الإسلامية كانت ولا تزال تفسر فشـلها كـل حين بمخططـات أعـدائها، وتنسـى أنهـا بغبائهـا كـانت تُخـدع كـل حين، وتُستفز كل حين، وتخطئ حساباتها كل حين.. ولـو كـان لهـا ذكـاء كاف، واستشراف مستقبلي متين، وتفكير اسـتراتيجي مبـني على الواقـع الحقيقي لا الواقـع المثـالي، لمـا وقعت في تلـك الأخطـاء المميتة.

وهكذا هُجر مالك بن نبي في كل ما دعا إليـه.. ولم يبـق منـه إلا صورة ملمعة، وكتب موضوعة في خزائن المكتبات للزينة.. أما العقول، فقد سُلمت لأولئك الصبية الذين لا يرقبون في المؤمـنين إلا ولا ذمة، أو أولئك المتاجرين من عبيد الملوك والسلاطين..

ولهذا، فإن أول اختبـار يُختـبر بـه من يـزعم لنفسـه الاهتمـام بمالك بن نبي والتأثر بأفكاره هو موقفه مما يقع في الواقع نتيجـة التهـور الحـركي.. وهـل يتناسـب حقيقـة مـع تلـك الأطروحـات الحضارية السلمية التي كان ينادي بها مالك بن نبي؟

وهـل التغيـير الـذي دعـا إليـه هـو تلـك الأصـوات المشـحونة بالحقد والعداوة، أو تلك الأسلحة المسـتوردة من أمريكـا وفرنسـا وبريطانيـا، أو ذلـك الصـراخ في وجـه كـل من يـدعو إلى الحكمـة والتعقل، أو تلك الدعوات للفتنة الطائفية، وتخدير العقول بسببها؟

أقول للذين يكـذبون على أنفسـهم بـدعواهم الانتسـاب لهـذا المفكر الأصيل: لا تكذبوا على أنفسكم، فأنتم أعـداؤه لا تلاميـذه..

وأساتذتكم الحقيقـيين هم أسـامة بن لادن وأيمن الظـواهري وأبـو بكر البغدادي والقرضاوي والعريفي وغنيم.. وغيرهم من الصـعالك الذين أنشأهم التخلف، والقابلية للاستحمار.

الإخوان المسلمون .. والاختيارات الفاشلة

أرجو ألا يلومني الإخوان المسلمون، أو المتعاطفون معهم على هذا العنوان، فهو ليس سبا ولا طعنا، ولا شماتة.. بل هو وصف دقيق للواقع كما هو، بل كما يقرون هم بأنفسهم.

ذلك أنهم يقرون أن سبب ما يقع لهم حاليا ليس سوى اختيار من اختياراتهم الفاشلة؛ فهم يذكرون أنهم لو اختاروا شخصا آخر بدل الرئيس المصري الحالي لوزارة الدفاع، لكان الأمر مختلفا الآن تماما.



مع أنهم هم في الوقت الذي أقالوا فيه المشير محمد حسين طنطاوى وزير الدفاع الأسبق، والفريق سامى عنان رئيس الأركان السابق، واحتج المعارضون لهم على ذلك ردوا عليهم، وحسب موقع حزبهم الالكتروني بأن تعيين السيسى انتصار لثورة يناير، وأنه ـ كما يذكرون ـ (وزير دفاع بنكهة الثورة).. وذكروا من تدينه وصلاحه وتقواه ما توهم به المعارضون أنه ليس سوى فرد من جماعة الإخوان المسلمين، كلفته الجماعة قبل ذلك باختراق الجيش، لتستفيد منه في الوقت المناسب.

لكنه ما إن خيب ظنهم، وتراجع عن الوقوف معهم بعد تلك الأخطاء الكثيرة التي ارتكبوها، والهبة الشعبية التي وقفت

ضدهم.. حتى راحوا يخونونه ويجرمونه ويعتبرونه مؤامرة عليهم، وينسون أنهم هم أنفسهم أصحاب الاختيار، وينسون أن المعارضة حينها رفضت اختيارهم، لكنهم فرضوه بكل قوة.

وهكذا حصل لهم في الفرصة السابقة التي أتيحت لهم، حين تبنوا الرئيس المصري السابق جمال عبد الناصر، ووقفوا معه، واعتبروه زعيما ملهما.. لكنهم اكتشفوا في الأخير، وبعد فوات الأوان، أن اختيارهم لم يكن فاشلا فقط، وإنما كان هاوية سحيقة سقطوا فيها سقوطا حرا، ولفترة طويلة جدا.

وهكذا أتاح الله لهم الفرص العديدة للاختيار، وكان في إمكانهم لو تخلوا عن تسرعهم وعجلتهم، وتحلوا بالحكمة والرفق والأناة، وحكموا شرع الله الذي ينادون به، لا أهواءهم التي يتسترون عليها، لكان واقعهم الآن مختلفا تماما.

لكنهم يفشلون كل مرة في الاختيار، ولست أدري هل هو قدر إلهي قدر عليهم بسبب ذلك الغرور الذي يعتريهم عندما يقتربون جدا من تحقيق غاياتهم، لكنهم ما إن يمدوا يدهم إليها لتناولها حتى تقطع، أو تقيد.. أو أن الأمر موكول لإرادتهم المجردة، والتي توقعهم كل حين فيما نرى هذه الأيام نماذج عنه.

ونحن لا نستبعد كلا الأمرين.. فالله تعالى أخبر في القرآن الكريم عن الاستدراج، وأنه قد يملي للناس أن يفعلوا ما يشاءون، لكنهم ما إن يتوهموا أنهم وصلوا إلى تحقيق غايتهم، ويفرحوا بذلك، ويمتلئوا زهوا، حتى تغير عليهم جنود العزة الإلهية، فتحصد كل شيء، كما قال تعالى عن فعله بصاحب الجنتين المغرور: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا } [الكهف: 42]

أما إرادتهم المجردة، ودورها فيما وقع لهم، فلا أحد يجادل فيه.. فلم يفرض عليهم أي أحد قناعته، بل إن الغرور الذي كان كالهالة المحيطة بهم كان كالحصن الحصين الذي يمنعهم من أن يسمعوا لغيرهم، أو يستفيدوا من سواهم.. وسنة الله فيمن يفعل هذا هي أن يكله إلى نفسه، ومن وكل إلى نفسه وإرادته لن يرى

منهما إلا الهوان والذلة والخذلان.

وقد بدأت اختياراتهم الفاشلة منذ قرروا الـدخول إلى الحكم، من غـير أن تكـون الفرصـة مناسـبة لتحقيـق المبـادئ الـتي كـانوا ينادون بها.. وهنا وقعوا بين خيـارين: إمـا تقـديم المصـالح الوقتيـة المحـدودة في دخـولهم للسـلطة، واسـتفادتهم من امتيـازاتهم، أو إرجـاؤهم ذلـك إلى تـوفر الجـو المناسـب لتحقيـق المبـادئ الـتي امتلأت بها شعاراتهم ومطوياتهم وكتبهم.

لكنهم، وبعجلة عجيبة آثروا المصـالح على المبـادئ.. وراحـوا يضعون أسـوأ نمـوذج للحكم في تـاريخ مصـر.. يحـاول أن يرضـي الإسـلاميين المتطـرفين، ويجيب كـل نـزواتهم الممتلئـة بـالعنف والحقد والكراهية، وفي نفس الوقت يحاول أن يرضي الليبرالـيين المتحـررين ويرضـي نـزواتهم الممتلئـة بـالفجور والانحـراف والفسوق..

وهذا ما جعلهم يظهرون بصورة المنـافقين الـذين لا يهتمـون إلا ببقائهم في السلطة، ولا يعنيهم هل تحققت القيم الـتي ينـادون بها أم لم تتحقق.

وكان في إمكانهم في ذلـك الحين أن يقفـوا مواقـف شـريفة مع القضية الفلسطينية، وأن يعيدوا تلك الصيحات المجلجلـة الـتي كان يصيح بها جمال عبد الناصر، ليعيدوا المصريين إلى تلك الأيـام التي توحـدوا فيهـا مـع زعيمهم، حـتى بعـد النكبـة الـتي حصـلت.. لكنهم لم يفعلوا، لا بـالأقوال، ولا بالأفعـال، بـل اسـتمرت اتفاقيـة كامب ديفيد، واستمر تواصـل السـفراء، ولم نسـمع منهم في كـل تلك فترة كلمة واحدة ضد إسرائيل.. بل لم نر منهم إلا لينا كبـيرا، وعطفا شديدا على الصهاينة، جعلهم ممقوتين عنـد كـل من يتـألم للقدس وفلسطين.

لكنهم في نفس الـوقت الـذي كـانوا فيـه كـالغزلان أمـام إسرائيل راحوا يزأرون كالأسود على سـورية الجريحـة، بـل راحـوا يحرضون الجيش المصري والشعب المصـري على أن يتحـول إلى عصابات إرهابية للإجهاز على سورية، بـدل أن يتحـول إلى طـبيب

لإنقاذها.

وهكذا، فبدل أن يختاروا الوقوف مع النظام السوري وشعبه، آثروا أن يختاروا الوقوف مع الإرهابيين، بل كان وجود الإخوان في سدة الحكم أكبر فرصة لإرسال أكبر عـدد من الإرهـابيين، وإقامـة أكبر المؤتمرات الإرهابية ضد سورية، وقد عاقبهم اللـه على ذلـك بـأن وضـعوا في قـوائم الإرهـاب بعـد أسـابيع قليلـة من مـواقفهم تلك.. وكان الذي وضعهم هـو نفس تلـك الـدول الـتي تزلفـوا لهـا، وحاربوا كل شيء من أجل سواد عيونها.

وهكــذا كــان فشــلهم في اختيــار الحلفــاء، فبــدل أن يولــوا وجوههم قبل المشرق الـذي كـان يضـم الـدول المستضـعفة، بمـا فيها روسيا وإيران.. راحوا يولون وجوهم قبل المغـرب، لتصـورهم أن أمريكا يمكنها أن تحميهم، فخدعوا بمعسول وعودها، متناســين أن أمريكا لا وعود لها، ولا مواثيق، وينسون ما فعلته بكل حلفائهـا، وبكل من قدموا كل شيء لأجلها.

وهكــذا كــان فشــلهم في اســتقطاب الأصــدقاء، فبــدل أن يتوجهـوا للعقلاء من البـاحثين والأكـاديميين والعلمـاء والصـوفية، راحوا يتوجهـون لأولئـك المشـايخ السـلفيين الـذين أتـاحوا لهم أن يقولوا في قنواتهم كل شيء، ويحيوا كل فتنة، ويثيروا كل شغب.. وكان ذلك كله على حساب الإخوان أنفسهم، لأن ما يفعله الحليف يحصده حليفه.. ولذلك اتهم الجميع الإخـوان بقتـل الشـيخ الشـهيد حسن شحاتة الذي كان ضحية الخطاب الطائفي الـذي أتيح لـه أن يعلو في مصر في عهد الإخوان كما لم يعلو قبله ولا بعده.

وهكــذا كــان فشــل الإخــوان المســلمين الســوريين في كــل اختياراتهم.. فبدل أن ينتهجوا منهج السلم لتحقيق ما يصبون إليــه، راحـوا يكـررون مـا فعلـوه من جـرائم في حمـاه، ليس في حمـاه فقط، وإنما في كل البلاد السورية، ولذلك أكدوا كل ما يقال عنهم بأنهم ليسوا إخوانا مسلمين، وإنما إخوان مجرمون.

ولــذلك بــدل أن يراجعــوا أنفســهم ومــواقفهم وحســاباتهم، ويعيــدوا صــلتهم بــوطنهم الــذي بــاعوه بــأبخس الأثمــان، راحــوا

يحرضون كل دول العالم وكل عصاباتها لأن تدمر بلادهم.. فهم لا يرتاحون لشيء كما يرتاحون لكل بيت يهدم، أو مؤسسة تقصف، أو حزام ينسف.

وسبب ذلك كله هو أنهم اختصروا جميع مشاريعهم في إزالة رئيس منتخب من طرف شعبه.. وحتى لو لم يكن منتخبا.. وحتى لو حصلت تزويرات في الانتخابات.. بل حتى لو كان ملكا.. فهل كان ذلك مبررا لأن يعلنوا الحرب على بلادهم، ويمدوا أيديهم إلى أعدائها.

لا نملك إلا أن نستنتج من كل هذا أن الإخوان بفروعهم المختلفة ليسوا سوى نموذج للفشل الذريع في كل مشروع يدخلون إليه..

والمشكلة الأكبر ليس في الفشل، وإنما في تبريره وتقديسه والبناء عليه.. وهو ما يجعل من فشلهم كرة ثلج تتدحرج، وتكبر بتدحرجها إلى أن تقضي عليهم.. وقد فعلت.

طبعا لن يرضى الإخوان عن هذا الكلام، وسيجرمون صاحبه.. وهو شيء طبيعي، لأنهم لا يحبون إلا من يكذب عليهم، ويمدحهم بالكلام الكاذب الذي لا يزيدهم إلى غرورا وكبرياء، ليكرروا كل مرة فشلهم، وبإصدار أكثر تطورا.

سورية .. والكهانة الدينية

من أبشع أنواع الحروب التي مورست على سورية من أول أزمتها إلى اليوم حرب الكهانة.. ليس فقط تلك التي برع فيها الكثير من رؤساء العالم، والذين تكهنوا جميعا بأنه لم يبق للرئيس السورية إلا أيام معدودة.



وليس تلك التي برع فيها عزمي بشارة وصفوت الزيات وغيرهما من المحللين السياسيين والعسكريين الذين كانوا ـ وكأنهم اطلعوا على اللوح المحفوظ ـ يحددون المواعيد الدقيقة لسقوط أي مدينة، أو انهيار أي مؤسسة.

وليس تلك التي برع فيها قراء الفناجين، والضاربون على الرمل، وقارئو الأكف، وقارئو الملامح، وأصحاب الأبراج.. والذين أجمعوا جميعا على سقوط النظام في أيامه الأولى.

كل هذه لا تعنينا في شيء، فكلها يستخدم الوهم، ويستند للذات، ولا يرتبط بأي دين، ولا بأي رسول، ولا بأي إله.

لكن الذي يعنينا، وهو المشكلة الكبرى التي اعتبرنا لأجلها الحرب على سورية حربا كونية، هي إدخال الله وكتابه ورسوله في هذه الحرب، وتفسير الأحاديث النبوية المطهرة الواردة في

الفتن على أساس ذلك.

وهو ما جعل شذاذ الآفاق يقدمون من كل مكان ليصبحوا ـ حسب تصوراتهم ـ هم أولئك الجند المطهرون الذين أخبر رسول الله ﷺ أنهم يكونون بالشام، وأنه يتحقق على أيديهم الفتح الأكبر لهذه الأمة، والنصر الأكبر على أعدائها.

ولهذا كان يتحدث الكثير من الناطقين بأسماء الإخوان المسلمين أو الحركات السلفية أو الألوية والفصائل المختلفة بثقة كبيرة بالنصر العظيم الذي يتحقق لأولئك الإرهابيين، لا على سورية وحدها، بل على كل المحور الذي تنتمي إليه.

ولا يمكنني في هذا المقال المختصر أن أحصي ما ذكروا، ولكني سأذكر نموذجا نال اهتماما كبيرا من لدن المهتمين بما يسمونه الثورة السورية، وبنى عليه الكثير جبالا من الأوهام، لكنه سرعان ما سقط كما سقطت كل أوهام الكهان الذي تكهنوا بمستقبل الرئيس السوري ابتداء من رؤساء العالم وانتهاء بسدنة المعبد السلفي والحركي.

وهو لكاهن لا يختلف عن كهان بني إسرائيل السابقين، بل هو يشبههم كثيرا، ليس في شكله فقط، وإنما في مشاعرة الحانية على اليهود، والمعادية لسورية، ولكل المحور الذي تنتمي إليه.

وهذا الكاهن هو [ياسين أحمد ياسين العجلوني]، وهو أردني يعمل معلم فيزياء وعلوم الأرض، لكنه كسائر المتطفلين والتجار الدينيين وجد أن السلع الأكثر مبيعا في الدول العربية هي السلع الدينية، فلذلك راح يختص في سلعة الفتن والملاحم، ويسقطها جميعا على الواقع الذي نعيشه، وقد وضع لذلك كتبا، نشرها في المواقع المختلفة بالإضافة لمدونته الرسمية، بالإضافة لقناته على اليوتيوب، والتي تجتذب مئات الآلاف من الزوار، بل إن بعض فيديوهاته شوهدت أكثر من مليوني مرة.

وقد بدأت شهرته مع بداية الأزمة السورية، حين أصدر فتواه حول نساء سورية، والتي انطلق فيها من أحاديث الملاحم والفتن،

وقد نشرتها حينها الكثير من وسائل الإعلام، ونص فيها على أنه يجوز للاجئات السوريات أن يطلبن من القادر على كسوتهن وسترهن وإيوائهن أن يدخلن معه في عقد ملك اليمين، فيصير لهن سيدا، ويعشن معهه كجوار ومحظيات.

بل إنه لم يكتف بإجازة أن يمتلك الرجل جارية أو جاريتين، وإنما أجاز لكل رجل أن يملك خمسين جارية كاملة، يكتفي بإطعامهن وكسوتهن، ثم التعامل معهن بعد ذلك بما تحلو له أهواؤه وغرائزه، وقد علل فتواه الإجرامية هذه بأنها (الوسيلة الشرعية الوحيدة التي تضمن للمرأة السورية المهجرة ألا تستغل جنسيا أو تهان أو يتمتع بها بوسائل غير شرعية)

ولم يكتف بهذه الفتوى، بل أصدر فتوى أخرى يجيز فيها لمن سماهم [المجاهدين في سورية] أن يحصلوا على الغنائم ويأخذوا نساء وأطفال الشعب السوري، كجوار وعبيد، باعتبارهم شبيحة، وقد رد على المعارضين لهذه الفتوى بكون (الدول العربية والإسلامية وقعت اتفاقيات دولية تحرم ملك اليمين.. وأرغمت بريطانيا الحكام المسلمين على إلغاء الرق.. أما أهل الشام فلا اتفاقية بينهم وبين الأمم المتحدة)

وفي البيان نفسه راح يصيح فيمن سمهم المجاهدين: (أحذر المجاهدين والجيش السوري الحر والمهاجرين الذين سيفتحون إيران، أحذرهم من مخالفة أمر الله وأن توقعوا أي اتفاقية تلغون فيها أمر الله)، وأمر الله عنده هنا هو الاسترقاق والاستعباد.

وهو ـ في كل بياناته ومقالاته ـ يشيد بالجيش الحر، ويعتبره الدعامة التي يقوم عليها النصر في الشام، وتحقيق الوعد الإلهي بنصر هذه الأمة، فيقول عنه وعن الجيش الأردني: (لن يغدر الغرب بالجيش السوري الحر ولا بالجيش الأردني والله أعلم، وهذين الجيشين هما الأمل الوحيد للأمة اليوم، وأما جيش مصر فلم يرد في النصوص أن له دورا كبيرا إلا فيما يتعلق بنجباء مصر، وقد بينا أن هؤلاء النجباء قد بدأ ظهورهم مع فوز محمد مرسي لكن هؤلاء هم آباء من سيخرج للقتال مع المهدي محمد بعد خمسين سنة)

ويقول في موضع آخر: (إذا الجيش السوري الحر والجيش الأردني وحماس هؤلاء هم الطائفة المنصورة الذين سينتصرون على الأسد وكتائبه لكن بعد أن تظهر علامة جديدة وهي القتال في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، فهذا لم يقع بعد وأنا أرجح وقوعه خلال الأعوام القادمة حيث تعمد إسرائيل إلى هدم الأقصى بعد أن تشعل حربا بين إيران والعرب، فتعمد إيران إلى غزو السعودية والخليج ويصل بها الأمر إلى حرق البيت العتيق وهدم الكعبة، ويستولي شيعة المدينة عليها فينتقل عمود الإسلام من المدينة المنورة إلى عمان البلقاء إلى البلقاء وجباله إلى الأردن التي نزلها ابن حوالة)

ثم يترك لخياله أن يسرح، ليطمئن أولئك المرتزقة الخونة، فيقول في بداية تأسيس الجيش الحر: (فأمريكا وأوروبا ليس من مصلحتها أبدا ترك المقاومة السورية، أقصد الجيش السوري الحر، بل بعد الانتخابات سنرى التدخل في سوريا، وسنرى الجيش الأردني وهو داخلها وفاتحا لدمشق، إلا أننا كما قلنا سيتزامن ذلك والله أعلم مع هدم الكعبة وهدم الأقصى، فبمجرد أن تلوح بوادر النصر حتى نرى إيران تحرك آلتها العسكرية ومعها كتائب الشيعة في العراق ليبدا غزو الكويت والبحرين والخليج في غزو بري بحري جوي.. وهنا لا تملك أوروبا وأمريكا إلا أن تزيد من حلفها ونصرتها للشام والأردن، وبعد الانتصار سيضطر حزب الله إلى الدخول إلى الحضن الهاشمي أو مواجهة إسرائيل من الجنوب وتركيا من الشمال والجيش الهاشمي من الشرق، فيكون الخيار الأوفق له هو الوقوف مع الهاشميين، لكن حتما ستقع معارك في لبنان مع من سيرفض هذا التحول الشيعي في حزب الله وحلفائه في لبنان)

وهكذا يطلق لخياله العنان، فيقتحم جميع مجاهيل المستقبل مستثمرا أي نص، يتلاعب به كيف يشاء.

وهو يعتبر في نبواءته الصراع في العالم ليس صراعا بين قوى الاستكبار والاستضعاف، وليس صراعا بين المسلمين والصهاينة والمساندين لهم، وإنما يصوره صراعا بين السنة

والشيعة.. فليس في العالم عنده إلا معسكران معسكر أهل السنة وحلفاءهم، ومعسكر الشيعة وحلفاءها.

ومن العجيب أن حلفاء المعسكر السني عنده يضم أمريكا وأوروبا وحتى اليهود، والذي يرى أنهم سيسلمون على يد المهدي الذي هو من نسل الملك الأردني الحالي، فقد راح يعقب على قوله تعالى: {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ } [الإسراء: 8] بقوله: (فهذا دليل على أن الرحمة الالهية ستشمل شعب إسرائيل إلا قليلا منهم)

وقد قال في بعض نبوءاته عنهم: (بعد إحدى عشرة سنة سنرى بني إسرائيل اضحوا جزءا من المجتمع الإسلامي، فأنا انصح طلبة العلم بتعلم اللغة العبرية، فهؤلاء وأعدادهم بالملايين سندخلهم في بلادنا، ويصيروا موالي لنا، هذا يملك إسرائيلية، وذاك يزوج ابنته إلى إسرائيلي أسلم، وينطبق في بني إسرائيل وقتها قول الله تبارك وتعالى: {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ } [الإسراء: 8].. وسنذهب إلى الأقصى، إلى بيت المقدس في عمرانه الكبير، حيث سيدخله المسلم والنصراني واليهودي، سيدخله الجميع ليصلوا فيه، سنشهد سنة 1446هـ الاحتفال العظيم بمرور 3000 سنة شمسية على بناء نبي الله سليمان له الذي أتم بناءه سنة 1647 ق.هـ)

أما إيران، فقد كان يرسل كل حين خطابات التحريض عليها، باعتبارها العدو الأكبر للأمة الإسلامية، وقد جاء في بعض خطاباته قوله: (.. نحن اليوم على أعتاب حرب يفنى فيها كثير من المسلمين، هذه الحرب سيستهدف فيها قلب العالم الإسلامي؛ مكة والمدينة، فيا أيها المسلمين اتقوا الله واحذروا، ألا هل بلغت، ألا هل بلغت؟، ألا هل بلغت؟، اللهم فاشهد، فقد بلغت عن الإسلام من الكتاب والسنة حينما صمت العلماء، وقد حذرت مما حذر منه رسول الله ﷺ وقد صمت العلماء وصممت دوائر الإفتاء)

وقد سئل في هذا المجال: (من أقرب الفريقين إلينا نحن المسلمين؟ الاوروبيين والامريكان ام الروس والصينيين والهنود والمجوس؟):

فأجاب بقوله: (الاوروبيين والامريكان هم أقرب الينا من المجوس، فهؤلاء هم أهل الانجيل فهم يقاتلوننا بالانجيل ونحن نحبهم مع ذلك لأنهم اتباع المسيح عيسى بن مريم، فقد اكد الله ذلك في قوله: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى } [المائدة: 82]، وقوله: {غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} [الروم: 2،ـ 3].. فالصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يحبون الروم ويبغضون الفرس، والفرس هم المجوس؛ فالروس والصينيين والهنود ومن حالفهم من علويين وغيرهم من الصفويين هم حقيقة مجوس هذا الزمان.. فهاتين الايتين الكريمتين تؤكدان أن الروم اقرب الينا من المجوس، ونحن نفرق اليوم بين فارس زمان الرسول ﷺ وفارس زماننا، ففارس زماننا فيها المؤمنين والمجوس بينما فارس زمان رسول الله محمد ﷺ كانت على دين المجوس، وفتح فارس في زماننا أسهل إن شاء الله لان اهلها سيقفون معنا عند قيامنا بتخليص اهلها من المجوس)

وأختم هذه الهلوسات برسالة أرسلها هذا الكاهن لليمنيين المظلومين المضطهدين لا ليسليهم فيها، ويعزيهم عما أصابهم من آلام وجراح، وإنما ليدعوهم لمبايعة ملك الأردن عبدالله الثاني، باعتباره خليفة للمسلمين، وقد جاء في الرسالة قوله: (هذه دعوة نوجهها لأهل اليمن لمبايعة ملك الأردن عبدالله الثاني خليفة للمسلمين، وقد تبين لنا من خلال دراسة نصوص الملاحم والفتن أن الملك عبدالله الثاني هو خليفة المسلمين القادم وفاتح بيت المقدس، وهو والد المهدي المنتظر، وقد رجحنا ولادة المهدي عام 1444هـ)

ثم راح يرغبهم في ذلك، فيقول: (إن الملك عبدالله الثاني بعد أن يصلحه الله في ليله ويهيئه لخلافة المسلمين ورفع راية الاسلام والقتال عليها سيقود المسلمين لقتال أعدائهم من المجوس وظلمة بني إسرائيل بعد أن يقوم المجوس خلال السنتين القادمتين باحتلال الجزيرة العربية وهدم المسجد الحرام والكعبة المشرفة بينما يقوم ظلمة بني إسرائيل بهدم المسجد

الاقصى وبناء الهيكل مكانه)

ثم راح يـداعب عـواطفهم بقولـه: (لقـد نصـرتم الاسـلام في بدايته يا أهل اليمن وستنصرونه في السنوات القادمة، قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل عندما بعثه الى اليمن: (وقد بعثتك إلى قـوم رقيقـة قلـوبهم يقـاتلون على الحـق مـرتين) فـالمرة الأولى الـتي قاتلتم فيها على الحـق كـانت زمن الفتوحـات الاسـلامية في عهـد الرسـول ﷺ وأصـحابه، أمـا المـرة الثانيـة سـتكون خلال الــسنين القادمة، ستشـاركون في القتـال مـع الملـك عبداللـه الثـاني عنـد تحريـر الجزيـرة العربيـة من الاحتلال المجوسـي، ثم في تحريـر إيران من المجوس(فتح بلاد فـارس) وهـذا خلال السـنوات الاربـع المقبلة، ثم في فتح بيت المقدس وإقامـة الخلافـة الهاشـمية كمـا رجحنا عام 1446هـ، ثم انتم وبقيـة المجاهـدين من أهـل الإسـلام بقيادة المهدي محمد بن عبدالله بن الحسـين بن طلال والمنصـور اليماني(فسطاط الإيمان) سـتقاتلون الـروم والسـفياني(فسـطاط النفاق) قبل بيعة المهدي 1490هـ)

ثم بين الغرض من هذه الرسالة، فقـال: (وإن دعوتنـا للبيعـة لعبد الله ليست مطمعا في دنيـا وإنمـا حفظـا لهـذا الـدين فـالبلاد الـتي هي في أمـان اليـوم سـينالها بلاء شـديد من عـدو فارسـي مجوسي صفوي سيصل هؤلاء بحقـدهم الى أطهـر بلاد في الارض والى البيت العـتيق، كـذلك فـان ظلمـة بـني اسـرائيل قـد عقـدوا امرهم على هدم المسجد الاقصى وبناء الهيكل الثالث)

هـذه مجـرد نمـاذج عن الأفيـون الـديني الـذي مـورس في الحـرب على سـورية، كمـا مـورس قبلهـا في تضـليل الجمـاهير الإسـلامية الـتي تسـجد لكـل لحيـة تراهـا، وكأنهـا المكنسـة الـتي ستكنس ذلنا وهواننا وتخلفنا، أو كأنها المكنسة التي تطهـر عقولنـا من الخرافة والدجل الذي مورس علينا طيلـة قـرون كثـيرة باسـم الكتاب والسنة.

الإسلاميون .. والعلمانية

من المعضلات الكبيرة التي لم يستطع عقلي أن يهضمها في سالف أيـام حيـاتي، وأظن أنـني لن أسـتطيع فهمهـا أبـدا: مفهـوم [العلمانية] عند الأحزاب الإسلامية.. ولست أدري هـل العقـدة في المفهوم نفسه، أم أنه ليس لدي من القدرة العقلية ما يتيح لي أن أميز بين هذا المفهوم لديهم، ولدى غيرهم؟



ذلك أنني عنـدما أطـالع المشـاريع الـتي يضـعونها للفـوز في الانتخابات البرلمانية أو البلدية أو الرئاسية أجـدها نفس المشـاريع التي يضعها العلمانيون.. فهم يذكرون توفـير الخـدمات، وتأسـيس الاستثمارات، ودعم البنى التحتية، وتوفير العمل للبطالين، وهكـذا ممـا يوجـد نظـيره لـدى العلمـانيين في بلادنـا وغيرهـا من البلاد.. ولهذا احترت عند البحث في الفـوارق بين الإسـلامية والعلمانيـة.. الأولى التي يعتبرونها فرضـا ودينـا، والثانيـة الـتي يعتبرونهـا ضـلالا وكفرا.

وهكـذا عنـدما أرى تسـييرهم للبلاد الـتي تمنحهم الشـعوب الفرصة للحكم فيها؛ فهم يمارسون حياتهم السياسـية حينهـا بكـل حريـة، ولا يختلفـون عن أي علمـاني آخـر.. ففي المغـرب الـتي يحكمها [حزب العدالة والتنمية] بقيـادة الإسـلامي [عبـد الإلـه ابن

كيران]، والـذي جمـع في طياتـه الكثـير من الجماعـات والتيـارات الإسلامية، أجد تسييرهم لا يختلف عن أي شخص آخـر، فـالمغرب القديمـة هي المغـرب الجديـدة، ولا فـرق بينهمـا، لا في المواقـف الداخليــة، ولا الخارجيــة، اللهم إلا تلــك المواقــف المتشــنجة من سورية المظلومة الجريحة التي اتفق جميع الإسلاميون على نهش لحمها وعظمها ورميها لجميع كلاب الدنيا.

وهكذا عنـدما أرى مـوقفهم من أردوغـان، واعتبـار الحكومـة الحالية لتركيا حكومة إسلامية، مع أن أردوغان لا يزال يضع صورة أتــاترك خلفــه، ولا يــزال ينــادي بالعلمانيــة، ولا تــزال الحانــات والمراقص والملاهي الليلية والقنوات الإباحية تنتشـر ويـرخص لهـا في تركيا، ولا تزال تركيا تأكل الربا، وتقيم علاقاتها مـع إسـرائيل.. وكل ذلك لا بأس به.. وهو مشروع إسـلامي عنـدهم، بـل يضـعونه من الدلائل على نجاح المشروع الإسلامي.

وهذا ما لم يهضمه عقلي، ذلك أنه إن كـان نجـاح الدولـة في الاقتصـاد، وتكثـير السـواح، والخـروج من الأزمـات المختلفـة هـو الحكم الإسلامي؛ فألمانيا بـذلك دولـة إسـلامية.. ومثلهـا اليابـان .. فكلاهما مرا بأزمات خانقـة اسـتطاعا الخـروج منهـا، وتوفـير أكـبر قدر من الرفاه لشعوبهما.. فهل نعتبر الحكومة الألمانيـة واليابانيـة حكومة إسلامية؟

ونفس الشيء يقـال في الحكومـة الـتي أدارهـا الإخـوان في تلك السنة، والتي أباحوا فيها كـل شـيء.. فقـد أذنـوا للعلاقـة مـع إسرائيل أن تستمر، وأذنوا للسـفير الإسـرائيلي أن يـؤدي مهامـه، وعندما ضربت غزة ضربة قاسية لم يطلقوا رصاصـة واحـدة تجـاه إسرائيل، بل لم يرسلوا دبابة واحدة، ولا صاروخا واحدا.

أما الأفلام والمسلسلات المصرية، فقـد بقيت تمثـل بطريقـة عاديــة، فلم يفـرض الحجـاب على النسـاء، ولم تهـذب النصـوص بحيث تناسب المبادئ الإسلامية، بل بقيت النصوص هي النصوص، والإباحية هي الإباحيـة، بـل ذكـر بعض الممثلين أن مقص الـرقيب في عهد مرسي كان أخف من مقص حسني مبـارك، لأن الإخـوان كــانوا حريصــين على أن يظهــروا بصــورة المتحــرر والمتنــور

والمتحضر.. لذلك سمحوا لكل شيء، وبكل شيء.

ومع ذلك يصدعون رؤوسنا كل حين بأن حكم الإخوان لمصـر كان حكما إسلاميا.. وأن من قبله ومن بعده كانوا علمانين ضـالين كفرة.. وهذا ما لم يستطع عقلي أن يهضـمه.. فلم أدر الفـرق بين الحكمين حتى أميز بين كلا العلمانيتين؟

وهكذا كان الأمر عندنا في الجزائر عندما كان يكتب على كل بلدية فاز بها ذلك الحزب الإسلامي الـذي تحـول بعـدها إلى حـزب مسلح.. فقد كـان يكتب في مـداخل البلـديات ومخارجهـا [البلديـة الإسلامية الفلانية]، ثم يكتب تحتها قوله تعـالى: {ادْخُلُوهَـا بِسَـلَامٍ آمِنِينَ} [الحجــر: 46]، موهمــا الــداخلين إلى تلــك البلديــة أنهم سـيدخلون الجنـة الـتي قيلت فيهـا تلـك الآيـة الكريمـة.. لكنهم إن دخلوها لم يجدوا إلا بلديات عادية، وقد يجدون فيهـا مـا لم يكونـوا يجدونه من أكوام القمامة، ومن سوء التسيير، نتيجة عـدم الخـبرة والاستعجال والطيش الـذي كـان يسـيطر على الكثـير ممن كـانوا يسيرون تلك البلديات.

طبعــا لم يتوقــف عقلي عن التفكــير حــتى أعــرف حقيقــة العلمانية عند الإسلاميين.. وقد وصلت إلى هذه النتيجة التي أرجـو من القــراء الكــرام أن يصــححوها لي، وهي أن العلمانيــة عنــد الإســلاميين تعـني حكم غـيرهم، والإسـلامية تعـني حكمهم هم، أو حكم من يساندونه.. وتعـني أيضـا ذلـك الالـتزام الشخصـي ببعض مظاهر الدين، كاللحية وصلاة الجمعة وغيرهما.

ولهـذا سـمعنا بعضـهم يـوبخ الشـعب المصـري الـذي رفض حكومة الإخوان، وخرج إلى الشوارع يطالب برحيلها، فقد قال لهم ذلك الداعية الغليظ مؤنبا: (ألا يكفيكم أن يكون لكم رئيس ملتح؟)

ولهذا عرف أردوغان كيف يتعامل مع هذه العقول البسـيطة، فقد كان يكتفي بأخذ زوجتـه المحجبـة معـه إلى كـل محـل يـذهب إليه، حتى يرى الإسلاميون حجابها، فيتوهمـوا أن كـل تركيـا مثلهـا في حجابها والتزامها.. ويغفلـوا بـالنظر إليهـا عن كـل جرائمـه في حق سورية وفلسطين وغيرهما من بلاد العالم الإسلامي.

الأحزاب الإسلامية .. والحرب على سورية

من الأمور التي جعلتني وجعلت الكثير من أمثالي يتقززون من كل شيء يطلق عليه لقب [إسلامي] تلك المواقف اللامسؤولة التي وقفتها الأحزاب الإسلامية من سورية مقارنة بغيرها من الأحزاب الوطنية أو الليبرالية أو العلمانية.



وكمثال على ذلك، الموقف الذي أبدته الأحزاب الإسلامية الجزائرية من الفتنة في سورية والحرب الكونية المسلطة عليها، والذي يتناقض تماما مع مواقف الأحزاب الوطنية، ومن أبرزها الحزب الأكبر في البلاد حزب جبهة التحرير الوطني، والذي وقف مواقف شجاعة ومسؤولة وأخلاقية تدل على سعة أفقه، واستشرافه للمستقبل الذي يراد لجميع البلاد العربية.

بينما وقفت الأحزب الإسلامية موقفا سلبيا من سورية، دل على تهورها، ومراهقتها الفكرية، وغبائها السياسي، حتى أن بعضها في الجزائر خرج مع المعارضة السورية الخائنة لبلادها، يحمل العلم غير الرسمي لسورية، مما أحدث مشكلة كبيرة بينه وبين الجهات الرسمية التي ترتبط مع الحكومة الشرعية في السورية بروابط أخوية وصلات متينة لم تزدها الفتنة إلا تماسكا ووحدة.

وقد هاجم ذلك السلوك اللاقانوني كلا الحزبين الوطنـيين في الجزائـر، حـزب جبهـة التحريـر الوطـني، والتجمـع الوطـني الـديمقراطي.. وكلاهمـا من الأحـزاب الكـبرى الـتي تحكم البلـد، وتمثل أكبر شريحة من الشعب الجزائري.

بـل إن وزيـر الخارجيـة والتعـاون الـدولي حينهـا [رمطـان لعمامرة] رد ذلك الموقف ردا شديدا، مؤكدا على موقف الحكومة الجزائرية الداعم للنظـام السـوري، الـذي اسـتعاد حينهـا (سـيادته على مدينة حلب وتخليصـها من الإرهـابيين)، مطالبًا بـالكف عن معارضة توجهات السياسة الخارجية للبلد.

لكن الإسلاميين الذين يفشلون في كـل انتخابـاتهم لا يزالـون يتصورون أنفسهم يمثلون الشعب الجزائري، بل يمثلون المرجعية السياسية الجزائرية، بينما هم لا يفقهون منها شيئا.. بل لا تزيـدهم الأيام والتجارب الكثيرة إلا غرقا في أوحـال أوهـامهم، ولا يزيـدهم الشعب الجزائري الذي جربهم وخبرهم إلا كرها ومقتا ونفورا.

لقد نسـوا أدوارهم الشـنيعة في تحـريض الشـباب الجزائـري على الذهاب إلى أفغانستان، حيث كانوا يخرجـونهم من مـدرجات الجامعات ليزفوا بهم في جبال كـابول وقنـدهار وغيرهـا.. ليعـودوا إلينا بعدها مدربين لتلك الحركات المسلحة الـتي نشـرت الإرهـاب والعنف في الجزائر لأكثر من عشر سنوات.

ولا أزال أذكر خطب بعض زعمائهم الكبار الـذي كـان خطيبـا مفوها، وكان قبل ذلك وبعده رئيسا لأكبر حزب إسـلامي.. وكـانت خطبه كلهـا تحـريض في ذلـك الحين على الجهـاد في أفغانسـتان، وكان الأصل فيه أن يستفيد من تلك التجربة القاسـية، ويتـوب من ذلك التحريض.. لكن الأيام لم تزده إلا انغلاقـا وعمى.. فلـذلك راح يمارس نفس الدور في سورية مثلما مارسه في أفغانستان.

بل إن بعضهم ـ وهو رئيس لحزب إسـلامي أيضـا ــ ذكـر أنـه (ذهب إلى كابول، والتقى كبار القيادات الأفغانيّة وتمّ الزّجّ بــه في الخطـوط الأماميّـة كمـدرّب ومحـارب شـرس نـال إعجـاب كبـار القيادات الأفغانيّة، لأنّه كان ممّن يحسـن اسـتعمال [سـلاح الأربي

جي](

قـال ذلـك بفخـر.. وعنـدما حلت الحـرب بسـورية كـان من المحرضين عليهـا، ولـولا أنـه كـان رئيسـا لحـزب إسـلامي لـذهب رفقته سلاحه الأربي جي، ليضرب بـه الجيش السـوري، والشـعب السوري.

وهكذا كان موقف سـائر الأحـزاب الإسـلامية في سـائر البلاد العربية، وفي تونس الجارة والشقية، كان الأمر أفضع وأبشع، فقد أتيح حينها للإسلاميين التسلق للسلطة، مستغلين الغليان الشعبي، وبـدل أن يعملـوا حينهـا على تـرميم أوضـاعهم، وإصـلاح أحـوالهم راحـوا يحشـرون أنـوفهم في شـؤون إخـوانهم، فبـدل أن يرسـلوا طلبة العلم إلى سورية ليسـتفيدوا من علومهـا وحضـارتها أرسـلوا إليها من يحملون الأحزمة الناسفة، وكل أدوات الدمار.

ولم يكتفوا بذلك، بل راحوا يجمعون أمريكا وكل قوى الشــر، ليحرضوهم على ضرب سوريا مثلما ضربوا ليبيا..

ولم يكتفـوا بـذلك، بـل راحـوا يطـردون السـفير السـوري، ويهينونه، ويتصـورون أنهم سـيكونون بـذلك طليعـة وقـدوة لسـائر الدول في طرد السفراء السـوريين، لكن ظنهم خـاب، كمـا يخيب كل مرة.

ثم يزعمون لنا بعد ذلك أن راشد الغنوشي رجل عاقل، وقـرأ الفلسفة والحكمة، وأن له أناة وتدبرا.. وأنه لا يمضي في أمر قبل أن يحسب له حسابه.. لكن سورية التي فضـحت الجميـع فضـحته كما فضحت كـل الأحـزاب الـتي اسـتعملت اسـم الإسـلام العظيم لتخدع به العقول، وتملأها بالأوهام الكاذبة.

ولا أزال أذكر في هذا المقـام قـول الغنوشـي وهـو في قمـة غروره بعد أن استولى حزبه على الحكم، ومثله حزب الإخوان في مصر.. لقد قال حينها ـ يتحدث عن المسـتقبل: (لا مسـتقبل أمـام نظام الرئيس السـوري بشـار الأسـد.. وسـقوط النظـام السـوري مسألة وقت لأن الخوف غادر الشعوب العربيـة، ولا يمكن إعادتهـا للقمقم من جديد)

لكن الأيام عكست قوله.. فبدل أن يرحل الرئيس السوري رحل الرئيس التونسي الذي رشحه الغنوشي.. وبدل أن يسقط النظام السوري، سقط ذلك النظام الهش الذي أسسه الغنوشي، ورفضه الشعب كما رفض الإخوان المسلمين في مصر، وكما رفض جميع الأحزاب الإسلامية في الجزائر.

وكل ذلك لسبب بسيط، وهو أن هؤلاء جميعا يتجارون بالإسلام.. ولا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ورسمه أما حقيقته العالية الممتلئة بالسلام والحكم والقيم الحضارية الرفيعة، فلا يفهمها إلا من زهد في السلطة والمال والشهرة وكل شيء.. ولم يضع بين عينيه غير ربه ودينه.

أغلقوا مساجد الضرار

الأصل في المساجد أن تكون مدارس لتربية العقل، وتهـذيب الروح، وبث السكينة والطمأنينة في النفس، وبث المودة والأخـوة بين المؤمنين.. والأصل في الإمـام القـائم عليهـا أن يكـون ممتلئـا إيمانا وورعا وحرصا على رعيتـه الـذين يـتركون كـل شـيء لأجـل الاستماع إليه.. والأصل في خطبة الجمعة أن تكون رسـائل وحـدة بين المسلمين، تجمـع صـفهم، وتبث فيهم من القـوى مـا يملـؤهم بالطاقة التي تحركهم نحو كل الأدوار الإيجابية المناطة بهم..



هذا هو دور المساجد التي تؤسس على التقوى، والـتي يقـوم عليها الصادقون المخلصون، الناضجون عقليـا، والمرتقـون روحيـا، والمؤهلون علميا، الذين لا يبيعون دينهم لأي جهـة، فلا يعملـون إلا بما يرضي الله، وما يصلح مجتمعاتهم.

أما غيرها من المساجد، والتي سماها القرآن الكريم مسـاجد ضرار، فهي التي تنشر التكفير والتضـليل والفرقـة بين المؤمـنين، وتكون منصة لكل أعداء الأمة، كما قال تعالى يصفها، ويحذر منهـا ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَـذُوا مَسْـجِدًا ضِـرَارًا وَكُفْـرًا وَتَفْرِيقًـا بَيْنَ الْمُـؤْمِنِينَ وَإِرْصَـادًا لِمَنْ حَـارَبَ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ مِنْ قَبْـلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَـا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: 107]

وهو وصف ينطبق تماما على كل تلك المساجد التي أمسك بزمامها الكثير من الإسلاميين سلفيهم وحركيهم.. والذين لا يهدأ لهم بال إلا إذا أمسكوا بسكاكين حقدهم ليمزقوا الأمة طوائف وشيعا، يكفرون بعضها، ويبدعون بعضها.. ويجعلون من الشجاعة أن تحرض الرعية على حكامها، ومن الورع أن تساهم الرعية في خراب بلدها.

ولا يمكنني أن أحيط بالواقع الإسلامي، والآثار الحزينة التي أحدثتها فيه خطب الجمعة، والتي تحولت إلى شبكات لتشكيل الجماعات الإرهابية، ومدارس لإلغاء العقول، ومحاضن للعنف.. فعد ذلك مستحيل.

بل إننا يمكننا أن نعتبر من أكبر أسباب الخلل الذي حصل في أمتنا في العصر الحديث هي تلك الخطب النارية، التي يصدح بها أولئك المراهقون فكريا ودينيا، ولا حظ لهم من العلم إلا تلك المطويات والقصاصات التي يحفظونها، ولا يعدو تصورهم لحقيقة الدين تصورهم لأفلام الرعب والإثارة.. فالدين عندهم ليس سوى رعب وإثارة.

ولهذا لم يكتف رسول الله ﷺ بعدم القيام في مسجد الضرار، بل راح يحرقه، فقد قال في شأنه بعد أن نزلت عليه الآيات التي توضح الهدف من إقامته: (انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه)[1]

وصدق رسول الله ﷺ .. فالمسجد الذي ينشر الفرقة، ويدعو إلى الفتنة، ويحرض على قتل المسلمين بعضهم لبعض ليس مسجدا، بل هو عرش من عروش الشيطان، ومركز من مراكزه.. فالمسجد ليس بمآذنه، ولا بقبابه، وإنما بالروح التي تسكنه.. والعلم الذي يبث فيه.

وللأسف نرى في بلادنا كبار رجال الأعمال يضعون الكثير من أموالهم في بناء المساجد وزخرفتها.. وبعد أن ينتهوا من كل ذلك.. يذهبون إلى صعلوك من الصعاليك، ومتشرد من

1) السيرة النبوية لابن هشام (2/530)

المتشردين، ومراهق من المراهقين فكريا، يعجبهم صوتهم، قبل أن يعجبهم عقله، فيسلموه المسجد، ويسلموه معه آلاف العقول التي تستقبل كل ما يطرح عليها، وكأنه وحي من السماء.

ولذلك كان إحياء سنة رسول الله ﷺ في هذا النوع من المساجد هو الدين الحقيقي الصحيح الأصيل.. فالمسجد الذي لا يؤدي دوره التربوي والأخلاقي.. أو يؤدي عكس الدور المناط به.. ليس مسجدا، ولذلك لا يصح أن يجتمع فيه الناس، ولا أن يجلسوا إلى ذلك الخطيب الذي يثير فيهم الفتنة، ويحجبهم عن دين الله.

وما حصل في سوريا من مآس كان السبب الأكبر فيها هو تلك المساجد.. وأولئك الخطباء.. وتلك الجمعات..

وإن نسينا، فلن ننسى أبدا تلك الجمعات التي كانت تهيأ لها مساحات كبيرة في وسائل الإعلام، والتي كان يحرض فيها الخطباء على الفتنة.. ويلقنون فيها أولئك المغرر بهم ما عساهم يقولون.. لتصبح لكل جمعة اسمها الخاص بها.. والذي حضر له في الدوائر التي تخطط الفتن، ويقوم الأغبياء بتنفيذها.

ومن تلك الجمعات التي انطلقت منها شرارة الفتة : جمعة الكرامة 2011/03/18 .. جمعة العزة 2011/03/25.. جمعة الشهداء 2011/04/01 .. جمعة الصمود 2011/04/08.. جمعة الإصرار 2011/04/15.. الجمعة العظيمة 2011/04/22 .. جمعة الغضب 2011/04/29 .. جمعة التحدي 2011/05/06.. جمعة الحرائر 2011/05/13..

ثم راح المحرضون يزيدون في تحريضهم بعد أن لقوا التجاوب الكافي من الخطباء، والمغرر بهم.. فجاءت جمعة سقوط الشرعية 2011/06/24 .. وجمعة ارحل 2011/07/01 .. وجمعة لا للحوار 2011/07/08 .. وجمعة أسرى الحرية 2011/07/15.

ولم يكتف دعاة الفتنة بذلك.. بل راحوا يزيدون التحريض بتهيئة المغرر بهم، ليتحولوا إلى إرهابيين، فجاءت جمعة أحفاد خالد 2011/07/22.. وجمعة صمتكم يقتلنا 2011/07/29.. و21

جمعة الله معنا 2011/08/05.. وجمعة لن نركع إلا لله 2011/08/12.. وجمعة بشائر النصر 2011/08/19.. وجمعة الصبر و الثبات 2011/08/26 .. وجمعة الموت ولا مذلة 2011/09/02.

ثم راح المخططون يرفعون الوتيرة.. ويطالبون بالتدخل الدولي.. ولذلك أخرجوا جمعة الحماية الدولية 2011/09/09 .. وجمعة ماضون حتى إسقاط نظام 2011/09/16.. وجمعة وحدة معارضة 2011/09/23.. وجمعة أحرار الجيش 2011/10/14.. وجمعة شهداء المهلة العربية 2011/10/21.. وجمعة الحظر الجوي 2011/10/28.. وجمعة تجميد العضوية مطلبنا 2011/11/11.. وجمعة طرد السفراء 2011/11/18..

وزاد التحريض.. فظهرت جمعة الجيش الحر يحميني 2011/11/25.. وجمعة المنطقة العازلة مطلبنا 2011/12/02.. وجمعة بروتوكول الموت 2011/12/23..

وغيرها من الجامعات التي لا يمكن أبدا للعوام أن يفكروا في أسمائها، ولا أن يفهموا المعاني المرادة منها، ولكنهم كانوا ضحايا مساجد الضرار، وخطباء الفتنة.. وأولئك الشياطين المختبئون وراء المآذن والقباب.

الإسلاميون.. والشرعية المقدسة

المشكلة الأكبر لدى الإسلاميين حركييهم وسلفييهم، والتي تنبع منها جميع المشاكل والأخطاء التي يقعون فيها هي اعتبار أنفسهم جماعة المسلمين، لا جماعة من المسلمين، ولذلك يتصورون أن لهم شرعية إلهية مقدسة، كتلك الشرعية التي كانت للأنبياء والمرسلين، وهم يشعرون ــ لأجل ذلك ــ أنهم أصحاب الحق المطلق، الذين يجب على الغير اتباعهم، ولا يجب عليهم اتباع أحد.



وبناء على هذا يصفون كل مخالف لهم بكونه مخالفا للإسلام، سواء كان طريقة صوفية، أو مؤسسة علمية، أو جمعية خيرية، أو فرقة من فرق المسلمين.. فبوصلة الضلال عندهم هي مخالفتهم، وبوصلة الحقيقة لديهم هي موافقتهم.. ولذلك يذكرون من حيث لا يشعرون بأنهم قسماء للجنة والنار.. فمن أحبهم دخل الجنة، ومن أبغضهم أو نقدهم أو خالفهم دخل النار.

ولهذا نراهم لا يحترمون أي طيف من أطياف المجتمع المسلم، فالأزهر عندهم مع كثرة علمائه وباحثيه وطلبته مدان، بسبب بسيط، وهو أن شيخه جلس مع من أخرجهم من الحكم،

والمفتي الذي ينتسب إليه، أفتى بمـواجهتهم، وضـرب المتمـردين منهم بالمليان.. ولو أنه سار على خطهم، وتحدث بمقولاتهم، ورفع صور زعمائهم لتحول بين عشية وضحاها إلى ولي من أولياء اللـه، وسادن من سدنة المعبد.

وهكذا هو موقفهم من الطرق الصوفية الكثيرة، والتي تنتشر في كل المجتمعـات الإسـلامية، وهي من الكـثرة بحيث لا تسـاوي معها الجماعات الإسلامية شـيئا.. لكن هـؤلاء الإسـلاميين ينظـرون إليها بتقزز؛ فلا يتقربون منها، ولا يحاورونها، ولا يعتبرونهـا أخـا في الـدين، ولا شـريكا في الـوطن.. بـل يسـتعلون عليهـا، ويسـخرون منها، ويتصـورون أنهـا دائمـا على الباطـل المجـرد، كمـا أنهم على الحــق المجــرد، بــل يتصــورون أنهــا مــؤامرة من الحكــام عليهم لإسقاطهم، وإسقاط مشروعيتهم ومشاريعهم.

ونفس الموقف يقفونه مع عوام الناس، أو خاصتهم الذين لم يقتنعوا بممارساتهم، فلم ينظمـوا إلى تنظيمـاتهم، ولم يـتربوا في أسرهم، ولم يتعلموا من مراجعهم، ولم يبايعوا قادتهم.. فإن هؤلاء عنـدهم مبتدعـة منحرفـون لا يفهمـون الإسـلام، فـالفهم الصـحيح للإسلام بحسب ما يتصورون مرتبط بمن جلس إليهم، وشهدوا لــه بذلك.

ولذلك نرى قامات كبـيرة في العلم والـدين محتقـرة لـديهم، ولا يستفيدون منها، بل لا يعـرف أكـثرهم أسـماءها لسـبب بسـيط وهو أنها لم تقر لهم بتلك الشرعية المقدسة، بل اعتـبرتهم مجـرد جماعة من المسلمين، لا جماعة المسلمين.

وهكـذا الأمـر مـع طوائـف المسـلمين من الشـيعة والإباضـية وغيرهما، حيث لا نجد لهم عند هذه الجماعات إلا التبديع والتضليل والتكفير والاحتقار واعتبـارهم دخلاء على الإسـلام، لسـبب بسـيط أيضا، وهـو أنهم هم وحـدهم الأصـلاء، وغـيرهم ماركـات مـزورة لا قيمة لها.

وما نقوله ليس رأيا أو تحليلا، بل هو الحقيقـة الـتي ينطقـون بهـا كـل حين، بـل يصـيحون بهـا في وجـوه المخـالفين لهم بعنـف

وتهديـد بالحرمـان في الآخـرة من الجنـة الـتي لم تُعـد إلا لهم ولأتباعهم، وللذين يغلقون عقولهم حين يستمعون إليهم.

وقد عبر عن هذه الحقيقة الكثـير من أعلامهم، ومنهم سـعيد حوى الذي كان من أكبر الدعاة إلى ما حصـل في فتنـة حمـاه في سـورية، وقــد قــال في كتابــه [المــدخل إلى دعــوة الإخــوان المسلمين] معبرا عن هذا المعنى: (إن هـذه المعـاني تكـاد تكـون من لباب دعوة الإخوان المسلمين ولـذلك فإننـا في هـذا المـدخل استقرأنا النصوص لنصل إلى مواصفات جماعة المسـلمين وبرهنـا على أنها موجودة في دعوة الاستاذ البنا)(1)

وقــال: (ولأن الإنســان إذا عــرف هــذه الجماعــات وعــرف الإخوان وطبق على الجميع الميزان الذي ذكرناه هنا فإنـه سيصـل إلى أن حركـة الإخـوان المسـلمين هي الجماعـة الـتي ينبغي على المسلم ان يضع يده في يدها)(2)

بل وصف المخالفين لهم بكونهم أصحاب أفكار مريضة، لأنهـا لم تتداو بترياق الإخوان، فقال: (ثم إنه قد نبتت هنا وهنـاك أفكـار مريضة تريد أن تتخلص من دعوة حسن البنا ومن أفكاره فكـان لا بد أن يعرف هؤلاء وغيرهم أن الانطلاقة على غير فكر الاستاذ البنا في عصرنا قاصرة أو مستحيلة أو عمياء، إذا مـا أردنـا عملاً كـاملاً متكاملاً في خدمة الإسلام والمسلمين)(3)

وقال: (ونعتقد أنه لا جماعة كاملة للمسلمين إلا بفكر الأستاذ البنا ونظرياته وتوجيهاته)(4)

---

1) المـدخل إلى دعـوة الإخـوان المسـلمين، سـعيد حـوى، مكتبـة وهبـة، القاهرة، ص: 16.

2) المرجع السابق، ص: 26.

3) في آفاق التعاليم، سعيد حوى، دار عمار للنشر، ص7.

4) جولات في الفقهين الكبير والأكبر، سـعيد حـوى، دار السـلام، القـاهرة، ص79.

بل إنه راح يطبق عليها الآيات الواردة في الإمامــة والتمكين، فقال: (إن الجماعة بعد سـيرها الطويـل وتحملهـا الكثـير أصـبحت تاريخيا هي وحدها صاحبة الحـق في الإمامـة، ولا نـزكي على اللـه أحداً، قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَـبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: 24])[1]

وبنــاء على ذلــك كلــه راح يحــرم الخــروج عليهــا، أو عــدم الانتساب إليها، فقـال: (وإذا كـانت هـذه الجماعـة هـذه شـأنها فلا يجوز الخروج عليها، قال ﷺ: (من فـارق الجماعـة قيـد شـبر فقـد خلع ربقة الإسلام من عنقه)[2])[3]

وبناء على هذا لا نتعجب من القرضـاوي حين يتحـدث، وكأنـه نبي من الأنبياء، بل كأنه خاتم الأنبيـاء، وقـد سـمعناه جميعـا كيـف يستغل موسـم الحج في أكتـوبر 2012 ليطلب في خطبـة لـه من المسلمين ـ الذين يشعر أنهم أتباعه ـ الدعاء على إيران باعتبارهـا من أعداء الأمَة، ولحيلولتها دون التـدخل العسـكري الخـارجي في سورية، أو التدخل التكفير الإرهابي فيها.

ولا نعجب كذلك من موقفهم من جميع المؤسسات المصـرية ابتـداء من نظامهـا إلى جيشـها إلى أزهرهـا إلى شـركاتها.. فكلهـا عندهم بلطجية وفلول، لسبب بسـيط، وهـو أنهـا لم تسـاندهم في مواقفهم.. فهم يعتبرون أنفسهم المعيار الذي تـوزن بهـا الحقـائق والمواقف، ومنه يحدد الإيمان والكفر.

ونفس الأمر نجده عند الطوائف السـلفية بمختلـف أشـكالها، فكلها تـدعي الحقيقـة المطلقـة، وكلهـا تنظـر إلى المخـالفين لهـا باعتبار مخالفين لله نفسه، ولهذا نجدهم في نصـائحهم للمخـالفين يــذكرونهم بــالموت، وبمســألة اللــه لهم، متناســين أنهم أيضــا

1) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين، ص: 294 .

2) مسند أحمد، ج28، ص406.

3) من أجل خطوة إلى الأمام، سعيد حوى، مكتبة طبعة وهبة للنشر، ط1، ص40.

سيموتون ويحاسبون ويسألون.. لكنهم ولفـرط أنـانيتهم يشـعرون أنهم في القيامة سيكون أساتذة يَمتحنون، لا طلابا يُمتحنون.

وقــد عــبر عن هــذا المعــنى شــعارهم الــذي اســتفادوه من شيخهم الأكبر ابن بطة (المتوفى: 387هــ)، والــذي قــال: (من لم يكن معنا فهو علينا)(1)

ولهذا فإن هذا الاتجاه وضـع منظومـة محـددة اعتـبر كـل من خرج عليها مبتدعا ضالا أو كافرا مرتـدا، أو كمـا عـبر عن ذلـك أبـو محمــد الحســن البربهــاري (المتــوفى: 329هــ)، وهــو من كبــار المؤسسين لهذا الاتجاه، حيث ألف رسالة في (شرح السنة)، قال في خاتمتها: (فمن أقر بما في هذا الكتاب وآمن به واتخذه إمامــا، ولم يشك في حرف منه، ولم يجحد حرفا واحدا، فهو صاحب سنة وجماعة، كامل، قد كملت فيه السنة، ومن جحد حرفا مما في هذا الكتاب، أو شك في حرف منه أو شك فيــه أو وقــف فهــو صــاحب هوى. ومن جحد أو شك في حرف من القــرآن، أو في شــيء جــاء عن رسول الله ﷺ، لقي الله تعالى مكذبا، فاتق الله واحذر وتعاهد إيمانك)(2)

وقال في موضع آخر من الكتاب: (وجميع ما وصـفت لـك في هذا الكتاب، فهو عن الله، وعن رسول الله ﷺ، وعن أصحابه وعن التابعين، والقرن الثالث إلى القرن الرابع، فاتق الله يـا عبـد اللـه، وعليــك بالتصــديق والتســليم والتفــويض والرضــى لمــا في هــذا الكتاب، ولا تكتم هذا الكتاب أحدا من أهل القبلة، فعسى يرد اللــه بــه حيرانــا عن حيرتــه، أو صــاحب بدعــة من بدعتــه، أو ضــالا عن ضلالته، فينجو به.. فاتق الله، وعليك بالأمر الأول العتيق، وهــو مــا وصفت لك في هذا الكتاب، فرحم الله عبدا، ورحم والديه قرأ هذا الكتاب، وبثه وعمل به ودعا إليــه، واحتج بــه، فإنــه دين اللــه ودين رسول الله ﷺ، فإنــه من انتحــل شــيئا خلاف مــا في هــذا الكتــاب، فإنه ليس يدين لله بدين، وقد رده كله، كما لو أن عبدا آمن بجميع

1) الإبانة الكبرى، ج2، ص 474.

2) شرح السنة، ص: 132.

ما قال الله تبارك وتعالى، إلا أنه شك في حرف فقد رد جميع ما قال الله تعالى، وهو كافر، كما أن شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل من صاحبها إلا بصدق النية وخالص اليقين، كذلك لا يقبل الله شيئا)[1]

1) المرجع السابق، ص: 103.

لماذا فشل الإخوان في الوصول إلى الحكم؟

أبادر الذين يستاءون من أمثال هذه العبارات، ويتصورون أنني أتحامل على من يسمون أنفسهم [إسلاميين] أو [حركيين] أو [إخوان مسلمين]، بأنني لست متحاملا، ولا حاقدا، ولا أحمل لهم في تلك العبارة أو غيرها من العبارات إلا كل معاني الرحمة والمودة واللطف والنصيحة.. وأني لا أفعل معهم سوى دور ذلك الطبيب الذي يصف الحالة، ويشخصها، ليستعمل المريض بعدها ما يعيد به إلى نفسه الصحة، فهل يكون الطبيب ناصحا إن كذب على مريضه، وكتم عنه مرضه، وأخبره أنه بصحة جيدة؟



وقد كان الأولى بأن يكتب هذه العبارة الإخوان أنفسهم، ليتساءلوا عن سر ذلك التأخر عن تحقيق هدفهم في إحياء الخلافة، أو في تأسيس الدولة القطرية ذات الصبغة الإسلامية، وليحددوا من خلال ذلك مسارهم الجديد وفق مراجعات علمية منضبطة بضوابط الشريعة.

وطبعا هم لم يقصروا في ذلك.. لكن مشكلتهم أنهم عندما

يكتبون في ذلك ينظرون إلى سياط الخارج التي كانت تمتـد إليهم كـل حين، ويعتبرونهـا العـائق الـذي حـال بينهم وبين الوصـول إلى السـلطة، وينسـون ثغـرات الـداخل وعقباتهـا الـتي كـانت تقـوض مشروعهم كل حين.

وأول عقبة من عقبات الـداخل هي نيـاتهم وإرادتهم الـتي لم تنطلق من الدعوة إلى الله، وإنما انطلقت من الـدعوة إلى الأنـا.. ويستحيل أن ينصر اللـه من يـدعو إلى الأنـا.. وهـذا يتجلى واضـحا في كل شيء، وأولهم اسمهم [الإخوان المسـلمون]، فهـذا الاسـم عام لكل المسلمين، مهما اختلفت مذاهبهم ورؤاهم، لكنهم حولوه إلى أنفسهم، وذواتهم وجماعتهم.

ولم يكتفوا بذلك.. بل كانت كل دعوتهم إلى أنفسهم.. فهم لا يريدون من الناس أن يلتزموا بالدين عقيدة وشريعة فقـط، وإنمـا يريدون منهم فوق ذلك متـابعتهم، والتحـول إلى عضـو من أعضـاء جماعتهم، ليكـثر سـوادهم؛ فهم لا يفرحـون لشـيء كمـا يفرحـون بتكثير سوادهم، ولهذا كانوا يخرجون في كل حين إلى الناس بكـل زينتهم، ليظهروا أنفسهم، ويبينوا مدى قوتهم وشعبيتهم.

وقد كان ذلـك سـببا في تـوجس أهـل السـلطة منهم، خاصـة وهم لا يكتفون بالدعوة إلى الإسلام، وأخلاقه وشـرائعه وشـعائره، وإنما يضمون إليه التحذير من الحكام وسبهم وشتمهم، واعتبارهم مناوئين لشريعة الله.

وذلك طبعا مما يثير الحكام، وحق لهم أن يستثاروا، لأن ذلـك سيهدد السلم الاجتماعي، بل قد يهدد الأمن القومي.. ولذلك كانوا يبادرون كل حين إلى اعتقالهم، لإسـكاتهم، وإخمـاد ذلـك الشـغب الذي يثيرونه حيث حلوا.

وقد كان في إمكانهم بدل ذلك كله أن يكتفـوا بتوعيـة النـاس وتـربيتهم، من غـير أن يصـارعوا أحـدا من النـاس، ولا أن يسـجلوا أحدا معهم في قوائمهم التي يسـرت على الحكـام الوصـول إليهم كلما أرادوا.

وكان في إمكانهم أن يطرحوا مشاريعهم بكل هدوء على كـل

الأحزاب، وأي حزب وقف معهم ناصروه، وأيدوه، وانتخبوا عليه.. لكنهم لم يفعلوا لأن هدفهم ليس وصول مشروعهم إلى السلطة، وإنما وصولهم هم بأعيانهم إليها.

ولهذا لم ينصرهم الله تعالى، فالله لا ينصر إلا من ينصره، ويتخلى عن ذاته، وتخلص دعوته إليه، لا يريد منها جزاء ولا شكورا، فإن شاء الله أن يمكنه مكنه، وإن لم يشأ أكمل دوره الدعوي الإصلاحي المملوء بالسلام.

طبعا هذا الكلام لن يروق الإخوان لأنهم يريدون دائما أن يصوروا أنفسهم مظلومين لا ظالمين، ومحقين لا مبطلين، مع أنه لم يشوه سماحة الإسلام، مثلما شوهوها؛ فهم الذين استعملهم الغرب لضرب الداخل الإسلامي، ففي سورية ألوية من ألويتهم، وجيوش من جيوشهم، وفي مصر لا تزال أحقادهم على الجيش المصري غضة طرية، لم يمكنهم إخفاؤها، فقد تخلوا عن شعار [الإسلام هو الحل]، وصار الشعار عندهم هو [مرسي هو الحل]

هذه الأسباب الجوهرية المتمثلة في غلبة الأنا، وحب الصراع هي السبب في كل ما حصل لهم من أنواع الفشل على مدى ما يقرب من قرن من الزمان، فهل آن لهم بعد كل هذه المحن أن يراجعوا أنفسهم، ويستعيدوا وعيهم، ويجنبوا المسلمين جرائر أعمالهم، ويكتفوا من الدعوة إلى الله بالدعوة لله في إطار الأخوة الإسلامية العامة، بعيدا عن الصراع مع أي كان إلا الصراع مع الشيطان.

أيها الإسلاميون.. هذا هو البديل

يتصور الكثير من الإسلاميين ذوي التوجه الحركي والسياسي أنهم يقعدون من غير عمل إن تركـوا المنهج الـذي يسـيرون عليـه الآن، والذي يريدون من خلاله الوصول إلى السلطة لتحكيم شـرع الله كما يتصورونه.



وهذا تفكير غير صحيح، وخوف لا مبرر له؛ فهنـاك الكثـير من الأعمال التي يمكنهم أن يقوموا بهـا، بـل إنهم إذا مـا أخلصـوا في القيام بها؛ فسيحصدون أضعاف ما يأملونه من أهـداف سياسـية لا قيمة لهـا بجـانب الأهـداف الـتي يحققونهـا إن سـاروا على المنهج الصحيح بعيـدا عن الصـراع مـع الأنظمـة والجيـوش والمؤسسـات المختلفة، والتي استهلكت كل وقتهم وجهدهم وطاقاتهم.

وأول ذلك أن يتركوا السياسة، ويحلوا الأحزاب التي شوهتهم وشــوهت الإســلام، فالإســلام أعظم من أن يُختصــر في حــزب سياسي، وهو أعظم من أن يمثله الكثير من المرتزقة والانتهازيين الذين يتاجرون باسمه ليحققوا مآربهم الشخصية.

ولا على من شاء منهم أن يمارس السياسـة أن يفعـل ذلـك، وينضم لأي حزب من الأحزاب، أو يؤسس ما يشـاء من الأحـزاب.. لكن ليبتعد فقط عن اسم الإسلام المقدس، فلا يقحمه، ولا يجعـل

منه أحبولة لاصطياد العقول البسيطة.

وبعد أن يفعلوا هذا، ويتوبوا منه، يمكنهم الانصراف إلى أنفسهم أولا بتهذيبها بالرياضة والمجاهدات الروحية والأخلاقية، حتى يزيحوا ذلك الران الذي طبعه على قلوبهم تلك اللعب والخدع التي مارسوها أثناء حياتهم السياسية، والتي جعلتهم ممتلئين بالصراع، ينظرون إلى العالم من زاوية ضيقة، هي زاوية أنانيتهم وجماعتهم.

وعليهم ليحققوا هذا أن يهذبوا عقولهم بالعلم النافع، والبحث الدائب المستمر.. ذلك أنهم بفعل ذلك الانشغال بالسياسة وأهلها، أصبحت لهم أمية ثقافية وفكرية، فلا هم يطالعون، ولا هم يبحثون، ولا هم يحققون في المسائل المختلفة ليرفعوا مستوياتهم العلمية لمستوى دينهم أولا، ومستوى العصر الذي يعيشونه ثانيا.

وبعد أن يفعلوا هذا سيكتشفون أن الإسلام أعظم بكثير من تلك الصورة التي كانوا يحملونها عنه، ويعرفوا فوق ذلك أن تلك القيادات الروحية التي كانت تبهرهم لم تكن سوى طبولا جوفاء، وعرائس قراقوز، وحظها من العلم والثقافة والفكر لا يعدو تلك الكلمات التي يرددونها في المحافل، والتي تغلب عليها العاطفة أكثر مما يغلب عليها العقل.

وبعد أن يفعلوا هذا، سيجد كل واحد منهم الطريق المناسب الذي يخدم به الإسلام، ويبلغ به رسالة الله.. ذلك أن تلك الجماعات والتنظيمات التي كانوا ينتمون إليها قمعت كل طاقاتهم، وكسرت كل إرادة للإبداع فيهم، لأنها كانت تنظر إليهم كنقطة تكثر سوادها، لا كبشر محترمين يمكن لكل واحد منهم أن يؤدي من الأدوار ما لا تستطيع الجماعات الكثيرة أداءه.

ومن لم يجد منهم أي عمل؛ فيمكنه أن يبحث في شعب الإيمان ليجد عشرات بل مئات الأعمال الخيرية التي يمكن أن يقوم بها.. وأولها أن ينظر في أهل حيه أو زملائه في عمله من المقصرين في الصلاة، أو المفرطين فيها؛ فيجعل مشروعه الدعوة إلى الصلاة، ويجعل همه في الحياة، لا وصوله إلى

السلطة، وإنما وصول البشر إلى الله، واتصالهم به، لينال أجر كل من علمه الصلاة، أو دعاه إليها، وتكون تلك الصلاة مقدمة لتحقيق المجتمع المسلم الذي يمكنه أن يُحكم بالمشروع الإسلامي.

هـذا مجـرد مثـال.. والأمثلـة أكـثر من أن تحصـى.. والـذي لا يستطيع أن يقوم بأي عمـل، يمكنـه أن يمسـك لسـانه عن شـغب السياسة وصراعها، ويعطي من نفسـه نموذجـا للمسـلم المسـالم المتسامح، صاحب الأخلاق الرفيعة والعمل المتقن، ليكون نموذجـا صالحا لغيره؛ فالناس لا يسمعون إلى الكلمات بقـدر مـا ينظـرون إلى الأفعال.

ولـذلك؛ فـإن البـديل لهـذا الفشـل الـذريع الـذي يقـع فيـه الإسـلاميون كـل حين هـو ظهـورهم بـالمظهر الحقيقي للإنسـان المسلم صاحب الأخلاق العالية، والـروح السـامية، والأدب الرفيـع، ذلـك الـذي يعيش عصـره، ويتعلم علومـه، ويـؤدي كـل وظائفـه الموكلة إليه بإتقان، فيكون الطبيب المسلم، والمهندس المسـلم، والمخترع المسلم، ورائد الفضاء المسلم.. ذلك الذي يمثل النجـاح في كل شيء.

حينها، وحين يرى الناس بأعينهم كيف يؤثر الدين في أتباعــه، وكيـــف يهـــذب أخلاقهم وســـلوكهم، وكيـــف يجعلهم مواطـــنين صـالحين.. حينهـا سـيطالبون هم بتحقيـق الإسـلام في السياسـة وغيرها.. بل حينها سيتحقق الإسلام في كـل المؤسسـات من دون مظاهرات ولا مسيرات ولا تهريج إعلامي، ولا صـراع مـع أي جهـة من الجهات.

هذه بعض البدائل الـتي يمكنهم أن يعتبروهـا بـديلا للمشـروع الفاشل الـذي جربـوه مـرات كثـيرة، ويخفقـون في كـل مـرة في تحقيقه، ويردون اللوم على الجيوش والأنظمة في ذلك الإخفاق.

وأنـــا أعلم من خلال معرفـــتي بهم، أو بـــالكثير منهم، أنهم سيقولون لي: من أنت أيها النكرة الرويبضة وإسـداء النصـائح لنـا، أو دلالتنـا على مـا يمكننـا أن نقـوم بـه؛ فلـدينا علماؤنـا ومفكرونـا وباحثونا الذين لا يمكنك أن تتشرف حتى بالتلمذة عليهم؟

وأنا أقول لهم: لا بأس.. فأنا كما تقولون لا حـظ لي من جـاه ولا سـلطان، ولم أمـارس السياسـة، ولا الـدعوة الـتي تعرفونهـا.. ولكني مـع ذلـك لا أخلـو من نصـح لكم.. فخـذوا الحكمـة ولـو من أفواه المجانين، وكل البقلة، ولا تسألوا عن البقال.

دعوكم مني، ومن شخصي الحقـير، وفكـروا فيمـا قلتـه لكم، واخرجـــوا إلى العـــالم، وتوبـــوا من السياســـة ومشـــتقاتها، ومن التنظيمات وقيودها، وأخلصوا انتماءكم للأمة الواحدة، واتركوا تلك القنوات والقيادات التي ملأت قلـوبكم أحقـادا، وسـترون الطريـق إلى المجتمـع الإسـلامي أقـرب إليكم من تلـك المنعرجـات الـتي تسيرون فيها، والتي لا تصل بكم إلا إلى الهاوية.

حينما يتحول الانتحار إلى شهادة

من أول دلائل تغلب المصلحة على المبادئ في الفكر الحركي الإسلامي خصوصا ذلك التمجيد الذي رأيناه في بداية الربيع العربي لظاهرة الانتحار وحرق الأجساد التي بدأها البوعزيزي، ثم قلده الكثيرون، ولا تزال هذه الظاهرة تتواجد عند الكثير من المغرر بهم من أتباع القيادات الاجتماعية التي اختارها زعماء الحرب الناعمة.



وكيف لا تتواجد، وهم يسمعون أولئك الإسلاميين الذين يحدثونهم عن الجنة والنار، يذكرون البوعزيزي التونسي الذي أحرق نفسه بسبب شجار بينه وبين شرطة بلده، ويثنون عليه كثيرا، بل يعتبرونه شهيدا ورمزا من الرموز الكبيرة، لا لشيء إلا لكونه يخدم مصالحهم في ضرب الأنظمة ونشر الفتنة.

بل حتى القرضاوي نفسه، وفي برنامج الشريعة والحياة، وعندما سئل عن المسألة راح يعتذر لذلك أحرق نفسه، ويستغفر له، ويتهم الأنظمة بكونها السبب فيما حصل له[1].. وذلك ما شجع الكثيرين بعد ذلك.

---

1) https://www.youtube.com/watch?v=v17uvN0JDFg.

ولست أدري من أين لهم هذه التألي على الله، مع أن الله تعالى يقول: { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: 144]

وهل عندهم أثارة من النصوص المقدسة التي لا يمكن الحديث عن دين الله وما يرتبط به من دونها حتى يحكموا بذلك الحكم الخطير في تلك المسألة؟

بل إن النصوص المقدسة تذكر عكس ذلك، ولا تعطي المبرر لأي شخص بأن يحرق نفسه أو يقتلها أو يفعل شيئا يؤذيها، فالله تعالى يقول: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء: 29]

وقد ورد في الحديث الشريف ذكر العقوبة الشديدة لمن يفعل ذلك من دون استثناء أحد من ذلك، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: (مَن تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومَن تحسَّى سمّاً فقتل نفسه فسمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومَن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها [أي يطعن] في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً)(1)

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: (مَن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة)(2)

وقص علينا رسول الله ﷺ قصة لا تختلف كثيرا عن قصة البوعزيزي وأمثاله، فقال: (كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات. قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة)(3)

1) رواه البخاري (5442) ومسلم (109)

2) رواه البخاري (5700) ومسلم (110)

3) رواه البخاري (3276) ومسلم (113)

كـان في إمكـان الحركـيين الـذين اسـتغلوا الفرصـة حينهـا ليركبوا موج الفتنة بأن يوضحوا للمجتمع أن هذا من الكبـائر، وأنـه لا يصح إطلاق لقب الشهيد على من فعل هذا بنفسه..

وكـان في إمكـانهم أن يوجهـوا الأمـة إلى الحركـة التغييريـة المسالمة، وألا يخرجوا من حدود الشريعة في حـركتهم أو ثـورتهم أو أي مطالب يريدون تحقيقها، فالغاية لا تبرر الوسيلة.

لكنهم لم يفعلوا، بل صاروا يمجدون الانتحار، وحرق الجســد، ويبررون هذه الفعلات الشنيعة مع أن النصوص المقدسة لم تعــط أي مبرر لمن يفعل ذلك.. ولو أن كل شخص أصيب بـأي بلاء فعـل بنفسه ذلك، لما بقي بشر في الدنيا.

وكل ذلك لسبب بسيط وهـو أن النصـوص المقدسـة عنـدهم هي أهـواؤهم وأمـزجتهم، فهم الـذين يفرضـون على الـدين كيـف يكون، لا الدين بمصادره المقدسة الذي يفرض ذلك.

وكانت نتيجة حرق البوعزيزي لنفسه، وانتشار هـذه الظـاهرة بعـد ذلـك، وتأييـد الحركـيين خصوصـا لهـا هي أن احـترقت بلادنـا الإسلامية، فقد صار الكل يفجر نفسـه في كـل مؤسسـة أو تجمـع شعبي، لينشر ثقافة المـوت الـتي ينشـرها أولئـك الحركيـون بـدل ثقافة الحياة التي جاء بها هذا الدين.

أنصفوا العلويين

لا أريـد أن أقـوم هنـا ببحث تفصـيلي خـاص بهـذه الطائفـة الكريمة من طوائف المسلمين، والتي يصـل عـدد المنتسـبين لهـا إلى عشـرات الملايين، وهي تتواجـد في كـل من سـورية وتركيـا بالإضافة إلى تواجدها في مناطق متفرقة أخرى من العالم.



ولكني أريد أن أدعو إلى التعامل المبني على التقوى والـورع معها، ذلك أن الكثير ممن يتحدث عنها يكتفي بفتاوى ابن تيميـة أو غيره ممن تبعه فيها، ويتصور أن كلام ابن تيمية وحي مـنزل، وأنـه كمـا يصـدق على أول العلـويين يصـدق على آخـرهم، وهـذا بهتـان عظيم.

ففتاوى ابن تيمية لو طبقناها في هذا المجال، فلن يبقى على الأرض مسـلم واحـد، فكتبـه كلهـا دعـوة للتكفـير والقتـل ورمي الـرؤوس في المزابـل، وهي تصـدق على الأشـاعرة والماتريديـة والمعتزلة والصوفية وغيرهم من طوائف المسلمين.. ولذلك كانت السند الرئيسي لكل الإرهابيين الذين استحلوا دماء المسلمين كما استحلوا دماء غيرهم.

والعجيب أن القرضاوي الذي وصل به التسامح إلى درجة الترحم على البابا، واعتقاد أن رحمة الله تسعه كما تسع كل أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ضاق تسامحه عن هذه الطائفة الكريمة، فراح يفتي فيها بقول ابن تيمية، وينشر تلك الفتوى على المنابر ووسائل الإعلام ليحرض الإرهابيين في سورية على قتل كل علوي باعتباره كافرا مرتدا.

وكان في إمكانه ــ وهو الداعية إلى فقه الواقع ــ إلى استعمال فتوى مفتي فلسطين الأكبر، ورئيس المؤتمر الإسلامي العام، الحاج أمين الحسيني، والتي أصدرها عام 1936، وقال فيها: (إن هؤلاء العلويين مسلمون، ويجب على عامة المسلمين أن يتعاونوا معهم على البر والتقوى ويتناهوا عن الإثم والعدوان، وأن يتناصروا جميعا ويتظافروا، ويكونوا قلبا واحدا في نصرة الدين، ويدا واحدة في مصالح الدين، لأنهم إخوان في الملة، ولأن أصولهم في الدين واحدة ومصالحهم مشتركة)

وكان في إمكانه أن يعود إلى الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، والذي كان يحبهم ويحبونه، وكان من أعظم المنصفين لهم، فقد عاينهم عن كثب، ورأى مدى صدقهم وحبهم للتدين، ورأى أن تقصيرهم فيه ليس بسبب عقائد حلولية، ولكن بسبب الجهل والمظلومية التي وقعت عليهم طوال التاريخ، ولذلك كان يرشدهم، وكانوا يستمعون إليه ويستفيدون منه، مثلما يستفيدون من غيره من علماء المسلمين المتسامحين.

وكان في إمكانه ـ ما دام يدعي الاجتهاد ــ أن يعود لبيانات هذه الطائفة نفسها، وهي كثيرة جدا، وكلها تقر بالإسلام، وتذكر نسبتها له، وإيمانها بكل مصادره وعقائده وشرائعه، ومنها ذلك البيان الذي أصدره شيوخ العلويين عام 1938، والذي جاء فيه: (إن صفوة عقيدتنا ما جاء في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، {بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)} [الإخلاص: 1 ـ 4]، وأن مذهبنا في الإسلام هو مذهب الإمام جعفر الصادق، والأئمة الطاهرين،

سالكين بذلك ما أمرنا به خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ، حيث أوصى بالتمسك بكتاب الله وعترته أهل البيت. هذه هي عقيدتنا نحن العلويين، أهل التوحيد، وفي ذلك كفاية لقوم يعقلون)

وفي نفس العام أصدروا بيانا آخر جاء فيه: (نحن الموقعون الشيوخ الروحيون المسلمون العلويون، دحضا لما يشاع عن أن المسلمين العلويين غير مسلمين، وبعد التداول بالرأي والرجوع إلى النصوص الشرعية، قررنا البندين التاليين: كل علوي فهو مسلم يقول ويعتقد بالشهادتين، ويقيم أركان الإسلام الخمسة. كل علوي لا يعترف بإسلاميته، وينكر أن القرآن الشريف كتابه، وأن محمدا نبيه، فلا يعد بنظر الشرع علويا)[1]

وكان في إمكانه ـ إن أراد أن يتحقق أكثر ـ أن يعود للمواقع الالكترونية الرسمية لهذه الطائفة وهي كثيرة، وكلها تمتلئ بالعقائد الإسلامية المبنية على التوحيد والشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة، ذلك أن عقائد العلويين ومصادرهم الفقهية والسلوكية والحديثية كلها تعود إلى مصادر الشيعية الاثناعشرية، والخلاف بينهم بسيط جدا، وقد تلاشى أكثرها مع التاريخ، ذلك أن للزمن دوره الكبير في توجيه العقائد وتصحيحها.

وكان في إمكانه ـ إن لم يرتض تلك المواقع الالكترونية أو لم يؤمن بها ـ أن يعود لرؤساء الطائفة المتواجدين حاليا، والمتحدثين باسمها، والذين يقرون جميعا بكل عقائد الإسلام وشرائعه، وأذكر أن بعض القنوات الفضائية أجرت مناظرة بين بعض مشايخ العلوية مع بعض مشايخ السلفية، وكان الشيخ العلوي يذكر كل حين أنه مسلم يشهد الشهادتين ويعتقد بجميع عقائد الإسلام وشرائعه، لكن الشيخ السلفي كان ينظر إليه بشزر، ويتهمه بكونه لم يقر بذلك إلا من باب التقية.

وكان في إمكانه ـ وهو الذي يتبوأ ذلك المنصف الرفيع ومعه

---

1) انظر مقالا بعنوان: لا للتكفير، أحمد عدنان، موقع العرب، السبت 2015/03/28، والعلويون: رحلتهم إلى سوريا ورحلتهم منها، إياد العبدالله، موقع الجمهورية..

تلك الأموال الكثيرة ـ أن يكلف فريقا من الباحثين ليذهب إلى المناطق التي يتواجد بها العلويون، ويستفسر عنهم، ويسأل عن مدى صحة ما يشاع عنهم..

لكنه لم يفعل، بل اكتفى بفتوى ابن تيمية، وراح يبرر ذلك بتقصيرهم في الدين والصلاة، وهو يعلم أن أكثر المسلمين مقصرون في الصلاة والدين، والأصل في التعامل مع هؤلاء المقصرين هو دعوتهم إلى الالتزام بالدين، والأخذ بأيديهم لتحقيق ذلك، لا تكفيرهم والدعوة إلى قتلهم.

وليت الأمر اقتصر على القرضاوي، إذن لهان.. بل كلهم راح يفتي بكفرهم واعتبارهم أكفر من اليهود والنصارى، وقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية هذه الفتوى الخطيرة: (وهؤلاء الدرزية والنصيرية كفار باتفاق المسلمين، لا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم، بل ولا يقرون بالجزية فإنهم مرتدون عن دين الإسلام ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى)[1]

أما فتاوى التكفيريين الذين لبوا نداء النفير العام للجهاد في سورية، فحدث ولا حرج، فهذا أحدهم، وهو الشيخ أبو عبيدة عبد الله العدم، يصدر بيانا بعنوان (لا تشاور أحداً في قتل العلويين)، يذكر فيه أنه (ليس لهذه الطائفة المحاربة الممتنعة بالشوكة والقوة عند أهل الإسلام الحق سوى السيف والسيف وحده، فلا تُشاورْ، أخي المسلم السُّني، أحداً في قتل العلويين وسلب أموالهم، بل قتلهم هو حق وواجب عليك للدفع عن أهل السنة المستضعفين في الأرض، فاقتلوهم حيث ثقفتموهم واقعدوا لهم كل مرصد ولا تأخذكم بهم رأفة ولا رحمة فإن دماءهم وأموالهم مباحة.. وأن دماءهم قربة نتقرب بها إلى الله)

وفي الأخير لا أريد من هذا الطرح إلا الدعوة إلى استعمال سنة الرسول ﷺ في التعامل مع الأمة، فلا نكفر أحدا شهد لله بالوحدانية، ولمحمد ﷺ بالرسالة، وهو في نفس الوقت يذكر أنه

---

1) فتاوى اللجنة (4|28)

مسلم، ويحب أن يلتزم بالإسلام، وقد يفعل ذلك أو يقصر فيه.

وأذكر كذلك أننا إن أبينا إلا أن نكفر هـؤلاء، فعلينـا ألا نطفـف في الموازين، فنسكت عمن يسـكنون تلـك الأرض الواسـعة الـتي يطلق عليها منطقة أهل السنة والجماعة، والذين نعتـبرهم شـعب اللـه المختـار، مـع أنهم لا يختلفـون عن غـيرهم في التقصـير في الدين، بل فيهم من يسب الله ورسوله، ولا يعرف للدين ركنـا من الأركان؛ فإن دافعنا عنهم، وانتصرنا لهم، وكفرنا غيرهم، نكون من المطففين في الميزان، والذين يشهدون شهادة الـزور، ولا يتقـون الله، ولا يلتزمون حدوده.

فأنصـفوا العلـويين والـدروز والإسـماعيلية وكـل طوائـف المسـلمين.. وكونـوا دعـاة لا قضـاة، واعلمـوا أن اللـه وحـده هـو الديان.. وما نحن إلا عبيد من عبيده.

الإمام الحسين.. والربيع العربي

لعل من أسباب فوز الإمام الحسين بتلك الهدايا الجزيلة التي كرمه الله تعالى بها، ليستحق مرتبة [سيد شباب أهل الجنة] ما أصيب به من البلاء والمظلومية التي لم تتهيأ في التاريخ لرجل مثله.



وقد كان أول ما ابتدئ به من بلاء انصراف الأمة عنه، وعدم خروجها معه، واكتفائها بنصحه، ورضاها بيزيد وأصحابه من الطلقاء بديلا عنه..

ثم كانت المظلومية العظمى بقتله وقتل أهله وتشريدهم والتنكيل بهم.. واستمر ذلك طويلا من طرف أصحاب الملك العضوض الذين تولوا أمر الأمة، وعندما لم يظفروا به حيا، راحوا إلى قبره يطمسونه كل حين، ليقتلوا ذكره، كما قتلوا جسده.

وبينما كان الكثير من الساسة يفعلون ذلك، كان مثلهم وأصحابهم من الفقهاء يزرون التاريخ ليظهروه بمظر الظالم لا المظلوم، والساعي للفتنة لا الساعي للإصلاح، حتى قال أحدهم عنه: (إنه قتل بسيف جده)

وهكذا ظلم الإمام الحسين من طرف بعض الموالين له ـ كما ظلم من طرف النواصب ـ وقد كان ظلم أولي القربى أشد؛ فقد راحوا يشوهون ثورته بجرح أنفسهم، وتشويه خلقتهم، وتحويل حياتهم من ثورة على كل أنواع الظلم والاستبداد إلى مأتم حزين يبكي فيه المظلومون وينوحون من غير القيام بأي حركة.

وعندما جاء ذلك الربيع المشؤوم، وركب الموجة من ركبها من السلفيين والحركيين راحوا يستغلون اسم الإمام الحسين ليشوهوه، ويحولوا من أنفسهم أئمة كالحسين، ويحولوا من الحكام الذين ثاروا عليهم طواغيت ومستبدين مثل يزيد..

وكذبوا في كل ذلك.. وزادوا الإمام الحسين مظلومية أخرى فوق المظالم التي ظلم بها.

ولو سلمنا جدلا أن الحكام كانوا طواغيت ومستبدين كيزيد، فإنهم لم يكونوا شعرة واحدة من الإمام الحسين، فقد كانت المسافة بينه وبينهم شاسعة جدا، لا يمكن تصورها، لذلك كان اعتبارهم لأنفسهم ممثلين للإمام الحسين، أو مؤدين لدوره كذبة كبيرة، ومظلومية عظيمة للإمام تضاف للمظالم الكثيرة التي ظلم بها.

وتبدأ المفاصلة بينهم وبين الإمام الحسين من أول حركة قام بها.. فلم ينهض الإمام مطالبا بسقوط النظام، بل خرج مع أهله في ثورة مسالمة حتى يعيد الإصلاح لدينه جده ﷺ، ويبين أنه لا يقف مع الطواغيت، وقد كانت حركته تحت إذن إلهي، وتوقيع نبوي، فرسول الله ﷺ أخبر بالمحنة التي تحصل له، لكنه لم يأمره بعدم الخروج، ولا السكوت، بل ترك له ذلك وأقره عليه، لتبقى حركته للتاريخ جميعا تُختبر بها الأمة التي ضيعته.

ولذلك لم يخرج الإمام الحسين من عنده، ولا من هواه ومزاجه، وإنما لكونه صاحب الحق الشرعي في تولي أمر الأمة في جميع مجالاتها، ولذلك اقتنص الفرصة من أول رسالة وصلت له أبلغته باستعداد الأمة لاحتضانه.

لكن هؤلاء الذين يزعمون لأنفسهم الاقتداء بالإمام الحسين لم يفعلوا شيئا من ذلك، فلا الأمة فوضتهم، ولا رسائل أهل الكوفة أتتهم، ولا علماء الدين وحكماؤه اجتمعوا ووكلوا إليهم أمرهم.. بل كانت كل حركتهم مبنية على هوى مجرد، ولذلك سرعان ما دب الخلاف بينهم، لأنه لم يكن فيهم إمام واحد، ولا ثورة من دون إمام.

وفوق ذلك كانت أخلاقهم أبعد الأخلاق عن الإمام الحسين.. إمام الطهارة، وتلميذ مدرسة النبوة، ذلك العارف الزاهد التقي النقي الذي أخبر رسول الله ﷺ أنه منه، وأنه إمام قام أو قعد.

وفوق ذلك كانت حركة الإمام الحسين مملوءة بالتسامح والتضحية والقيم النبيلة؛ فلم يقطع رؤوسا، ولم يشق صدورا، ولم يتكلم كلاما فاحشا بذيئا، ولم يكفر مخالفيه، ولم يعتبرهم شبيحة أو بطلجية أو فلولا، بل كان مثالا للحركة المسالمة التي يغلب فيها الدم السيف، والدليل على ذلك أنه خرج بأهل بيته، ولم يخرج بالجنود المجندة، ولم يسخر قطاع الطرق، ليستفيد من بأسهم في سبيل القضاء على عدوه، بل إنه طلب من أصحابه أن يعودوا لبيوتهم سالمين ليلقى مصيره الذي كتب له.

وفوق ذلك كله لم يستعن الإمام الحسين لا بالروم ولا بالهند.. ولا بأي طاغوت من الطواغيت.. لا كما يفعل المزورون لحركته، والذين مدوا أيديهم لكل طواغيت العالم، وجلبوا سلاحهم من كل تجار الحروب.

وفوق ذلك لم تتول الدعاية لثورة الإمام الحسين أي جهة في ذلك الحين ما عدا أخته زينب وأهل بيته المقربين والمستضعفين من المسلمين، بينما تتولى الدعاية لمحركي الربيع العربي كل قنوات الشر في العالم؛ فهي تنتصر لهم، وتكذب لصالحهم، وتبث الدعايات التي تزين جرائمهم.

لذلك لم يقتصر الدجل الذي صاحب الربيع العربي ومحركيه على تلك الدماء التي سفكت، والبيوت التي هدمت، وإنما كان الدجل الأكبر فيه هو استعمال الدين مطية للظلم وسفك الدماء وقطع الطرق وارتكاب الجرائم.

وبناء على هذا، فإنه إن صح أن يكون لهذا الربيع ارتباط بالإمام الحسين، فإن المظلوم فيه هي الشعوب التي كانت هادئة هانئة مستقرة تدرس في مدارسها، وتصلي في مساجدها، وتتحرك حياتها بكل تلقائية، إلى أن جاء هؤلاء المجرمون الذين لا يختلفون عن يزيد، ومدوا أيديهم لأعداء وطنهم، بل مدوها لكل

شياطين العالم من أجل أن يتمكنوا من الكرسي الذي كان يجلس عليه يزيد، ويعيدوا إحياءه من جديد.

القسم الثالث

سورية .. والمواجهة الشريفة

دمشق .. والسيدة زينب

سيكتب التاريخ في المستقبل القريب، وبأحرف من نــور، أن السيدة زينب حفيدة رسـول اللـه ﷺ، تلـك الطـاهرة البتـول الـتي حمت المسـيرة الإيمانيـة لأخيهـا الحسـين، وكـانت منـبره الإعلايم الذي حفـظ الإسـلام المحمـدي الأصـيل، هي نفسـها الـتي حمت ـ بمقامها المضمخ بعطر الإيمان ـ مدينة دمشق، بل سورية جميعــا، من الحملات التكفيرية والإرهابية التي كانت تمارس عليهـا، والـتي كان يمكن أن ينهدّ النظام من خلالها لولا ذلك المقام الطاهر.



وسيذكر أيضـا أن تلـك السـيدة الطـاهرة من آل بيت النبـوة، استطاعت أن تنادي من عرشها في ضواحي دمشق كل العاشقين لها، ومن كل أرجاء الدنيا، ليقفوا حماة مـدافعين عنهـا، وبـدفاعهم عنها حميت دمشق، وحميت معها كل سورية.

لقد كان شعارهم الذي يرددونه كـل حين، والـذي اهـتزت لـه القلوب المؤمنة، واقشعرت له جلود العاشقين لآل بيت النبوة (لن تسبى زينب مرتين)، وبذلك أتيح لهم أن ينصروها بعـد موتهـا، بعـد أن حال الزمن بينهم وبين نصرتها في حياتها.

لقد كان أولئك الأبطال المتيمون بحبها، والذي سكبوا دماءهم الغزيـرة على ثراهـا الطـاهر، يـدركون جيـدا أن المشـروع الـذي

يحمله الأمويون الجدد، ليس سوى امتداد لذلك المشـروع القـديم الذي حملـه أسـلافهم من الأمـويين الأوائـل الـذين حرفـوا الـدين، وسفكوا الدماء، واستهانوا بكل أنواع القيم، بـل حولـوا الـدين إلى أداة للدمار والحقد والكراهية.

وكان الأمويون الجدد يمارسون كل ذلك؛ فيقتلـون ويـدمرون ويحرقون باسم الدين.. بل إن من فصائلهم من كـان يطلـق عليـه [أحفـاد يزيـد]، ومنهم من يطلـق عليـه [أحفـاد الأمـويين]، بـل إن منهم من مـارس حربـه على الأمـوات، كمـا مارسـها سـلفه على الأحيـاء، فمنهم من راح يعبث بالمقـام الطـاهر للصـحابي الجليـل [حجـر بن عـدي] ذلـك العاشـق المـتيم للإمـام علي، والـذي قتلـه معاوية بسبب ذلك العشق والهيام الذي جعله لا يسـتطيع أن يلـبي ما دعاه إليه من سبه ولعنه.

ومن هؤلاء من راح يدمر كل مقـام يجـده أمامـه، ليمحـو من سورية تاريخها المجيد، حتى لا يبقى فيه إلا أولئك الصعاليك شـذاذ الآفاق، أصحاب العقول المعطلـة، وليس قـبر النـووي عنـا ببعيـد.. ذلـك الـذي أتيح لـه أن يكـون مجـاورا لبعض القـرى الـتي احتلهـا الإرهابيون بريف درعا.

وقد كان قدوتهم في كل ذلك شيخهم محمد بن عبد الوهـاب الذي سـار مـع تلاميـذه وإخوانـه وأحفـاده لكـل أثـر من الآثـار في الجزيرة العربية يمت للإسلام بصلة، يهدمونـه، ويطمسـون آثـاره، حتى تأتي الأجيال اللاحقة، فلا تجد أي أثر للتـاريخ الإسـلامي.. بـل إن منهم من هم بإخراج قبر رسـول اللـه ﷺ نفسـه.. بـل إن منهم من أراد تفجير غار حراء وغيره من الآثار..

وهكذا كانت سنة الأمـويين الجـدد في الشـام، لا تختلـف عن مثيلتها في الجزيرة العربية، ذلـك أن المبـادئ واحـدة، والمشـروع واحد.. فالدولة عنـدهم هي تلـك الدولـة الـتي تحطم الآثـار، وتـبيح الرق، وتستبيح الأعراض، ثم تكتفي من الإسـلام بـأن ترفـع شـعار الوحدانية ملفوفا في خرقة سوداء كسواد قلوبهم.

ولا يظنن ظان أن ذلك الوعيد الذي وجه لمقام السيدة زينب

كان خاصا بالسلفيين الذين يعتبرون المقامات والأضرحة أصناما يجب تحطيمها، بل إن الإخوان المسلمين السوريين أيضا أدلوا بدلوهم في هذا، وتوعدوا ذلك المقام الطاهر، بنفس ما توعد به السلفيون، ولا أزال أذكر جيدا الناطق الرسمي باسم الإخوان المسلمين في سورية، وهو يطل على بعض القنوات، مستعملا كل وسائل الدهاء، ليبين أن ذلك المقام ليس مقامها، ولا صلة لها به، وكأنه يشجع الإرهابيين الذين قد يكون فيهم بعض الورع حتى لا يتوروعوا في هدمه ونبشه..

لا أملك في الأخير إلا أن أهنئ سورية بذلك المقام الطاهر الذي حفظته وأكرمته عبر الأجيال الطويلة، حتى جاء اليوم الذي رد لهم فيه ذلك الجميل، فكان سببا في حمايتهم، والدفاع عنهم.

وهنيئا للمصريين عشاق بيت النبوة بذلك المقام الآخر لزينب ببلادهم، والذي كان سببا أيضا في حمايتهم، ولفترات طويلة من التاريخ كان آخرها ذلك المشروع الذي دبر بليل، واستطاعت مصر بأوليائها وأهل بيتها أن تخرج منه من غير أن يصيبها أي أذى.

أما نحن في بلادنا، فحتى ولو لم يكن لنا الشرف باحتضان تلك الأجساد الطاهرة؛ فإن قلوبنا جميعا تمتلئ بمقاماتهم وأضرحتهم وأجسادهم وأرواحهم، ولا يزال الجزائريون يرددون في زواياهم مخاطبين أهل بيت النبوة كل حين بما قاله الولي الصالح أبو مدين التلمساني:

تحيا بكم كل أرض	كأنكم في بقاع الأرض
وتشتهي العين فيكم	كأنكم في عيون الناس
ونوركم يهتدي الساري	كأنكم في ظلام الليل
لا أوحش الله ربعاً من	يا من لهم في الحشا

روسيا.. ودورها في سوريا

من الأسئلة المشروعة التي يطرحها الكثير، والتي حاول الإعلام المغرض أن يستثمرها في تبرير العدوان الإسرائيلي أو الأمريكي على سورية: دور روسيا فيها؛ فهم يرددون كل حين: ما دامت روسيا تضرب في سوريا، فيمكن لأمريكا وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا أن يضربوا.



ونحن ـ كما نحترم السائل ونحترم السؤال ـ نطلب منه أن يستمع للجواب أيضا، لأن الكثير للأسف، وبسبب الاستعجال في علاج القضايا المصيرية، صار يطرح الأسئلة، ثم لا يريد الجواب عنها، أو يريد أجوبة بوليسية لا قيمة علمية لها، أو يريد أن يجاب له بما يشتهي لا بما هو واقع.

والجواب على ذلك أن هناك فرقا كبيرا بين وجود روسيا في سورية، ووجود أمريكا أو غيرها، وهو فرق تقره الأعراف والشرائع والقوانين الدولية.. ذلك أن سورية دولة ذات سيادة، وتنتمي لهيئة الأمم المتحدة، ولذلك لا يحق لأي دولة في العالم أن تتدخل في شؤونها دون طلب من حكومتها، وبما أن روسيا تدخلت بطلب رسمي من حكومتها؛ فإن هذا يضع مشروعية لدور روسيا بخلاف أمريكا وغيرها، ويمكن لأي شخص دارس للقوانين الدولية عبر

التاريخ أن يعرف هذا.

ومع ذلـك يبقى السـؤال موجهـا.. ونحن نحـترم السـائل، لأن الجـواب السـابق، مرتبـط بـالقوانين، وليس بـالقيم، وقـد يقنـع القانوني، ولكنه لن يقنع غيره، ولذلك فإنا نقول لهذا الغـير: هنـاك سـببان جعلا سـوريا تلجـأ إلى روسـيا، وتسـتفيد من تواجـدها في سورية، وهما سببان وجيهان وأخلاقيان جدا:

أما **أولهما**، فهو أن الحرب على سـورية حـرب كونيـة، وقـد عقـدت الاجتماعـات الكثـير ة في بدايـة الأزمـة السـورية، لمن يسمون بأصدقاء سورية، وخطط لها ولتدميرها، مثلما حصل لليبيـا والعراق.. لكن ذكاء النظام السوري، جعله يبحث عن حليف قوي، يمد يده إليه، ويكون له حق النقض في الأمم المتحدة، ويكـون لـه في نفس الوقت سلطة وسطوة بحيث لا يمكن تجاوزه، ويكون له بعد ذلك عداوة مع أعداء سورية، كما يقال [عدو صديقي صديقي]

وقد وجـدوا أن هـذه المواصـفات لا تنطبـق إلا على روسـية؛ فهي حليف قديم لسورية، ولها عداوة مع أعدائها، ولـذلك اسـتثمر النظام السوري كل هذه الصفات لينقذ نفسه وشعبه من أي حملة عدوانيـة قـد يوجههـا المجرمـون ابتـداء من الشـيطان الأكـبر إلى الشياطين الصغرى التي تمده بالمال والفتوى والتبرير ونحو ذلك.

وأما الثاني، فهو أن المجرمين أمدوا الإرهابيين بـأنواع كثـيرة من الأسـلحة المتطـورة، وكـانوا سـندا لهم، بالمـدربين والخـبراء وغيرهم.. ولم يكن الجيش السوري يملـك بعض تلـك الإمكانيـات، فلذلك استعان بروسيا لتمـده بمـا يحتـاج إليـه من ذلـك، في ظـل السيادة السورية، وهو تصرف مشروع جـدا.. وفي كـل البلاد نجـد الخبراء والمدربين من الجيوش المختلفة..

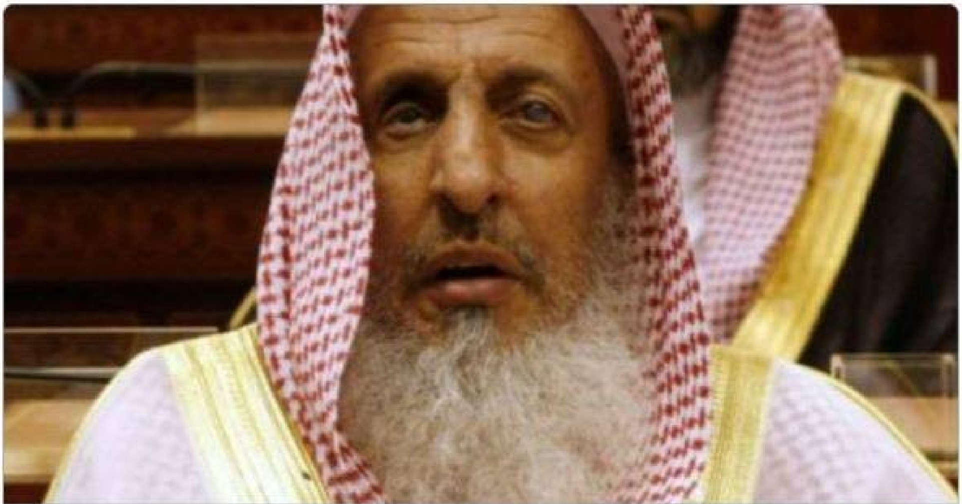
وبنـاء على هـذا، فوجـود روسـيا في سـورية وجـود مشـروع وأخلاقي، وهو يفيد سائر بلاد المسلمين لا سورية وحدها، ذلـك أن كل المصائب التي حصلت في بلاد الإسلام، سببها ما سـماه بـوش [النظام العالمي الجديد]، وهو تحول أمريكـا إلى شـرطي العـالم، الذي يملي أوامره على من يشاء دون أن يكون هناك من يحاسـبه

أو يواجهه.. لذلك كانت الفتنة السورية سببا في بروز القطب الجديد، ومعه دول عالمية كبرى كالصين وغيرها، وهذا كله في مصلحة المسلمين جميعا.. فالتوازن لا يحصل إلا بتعدد الأقطاب.

هذا الجواب.. وهو يكفي لمن يتدبر ويتأمل ويستعمل عقله.. أما الذي لا يفعل ذلك، فلا يمكن إقناعه بأي جواب.. ذلك أنه يظل يردد ما أملته عليه الجزيرة وقنوات الفتنة، ناسيا أن ضرب سورية تم من البلاد التي تُبث منها تلك القنوات.. وهي نفس البلاد التي ضربت من قواعدها الأمريكية أفغانستان والعراق وكل بلاد العالم الإسلامي.. وهي التي وصفت في الحديث الشريف بكونها [قرن الشيطان]، وهي كذلك، فقد اجتمع فيها الشيطان الأكبر والشياطين الصغرى.

دلوني على شيء أنتقد به إيران

طلب مـــني بعض الفضـــلاء المحـــترمين الحريصـــين على مصلحتي أن أكتب مقالا ولو قصيرا في نقد الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانية، ونعتها بالأوصاف التي تعودنا على سماعها من الكثير من الإســـلاميين، كوصـــفها بالصـــفوية والمجوســـية والامبراطوريـــة الفارســية والعمالــة لإســرائيل وأمريكــا وغيرهــا من الأوصــاف.. ووعــدني أني إن فعلت ذلــك، فســتلغى كــل التهم الــتي أتهم بهــا، والتي تقف بيني وبين الكثـير من مصـالحي، وأخـبرني ــ وهـو في غمرة حماسته ـ أني إن فعلت ذلك، فإن قلمي سيوضع في المزاد العلني، وقد يشتريه بعض الأمراء، وقد أصـير حينهـا صـاحب قصـر كقصـــر القـــرني، أو صـــاحب ثـــروة كـــثروة القرضـــاوي وحســـان وغيرهما.



مفتي السعودية آل الشيخ: الإيرانيون "ليسوا مسلمين" - BBC Arabic

كان العرض مغريا جدا، تتلهف له النفوس الظائمة، والغرائـــز التي تبتهـل كـل فرصـة، وتقتنص كـل سـانحة.. لكـني بعـد البحث الطويل لم أجد كلمـة واحـدة يمكنـني أن أشـتم بهـا تلـك القطعـة الكريمـة من بلاد الإسـلام، والـتي كـانت في كـل تاريخهـا رمـزا

للحضارة والرقي والتواصل الإنساني.

لهذا كتبت هذه الرسالة المفتوحة لكم معشر القـراء الكـرام عساكم تشاركونني في البحث عن أشياء ذات بال يمكننا أن ننتقد بها هـذه الجمهوريـة، وتنـالوا لـذلك مـني الثنـاء الجميـل مـع بعض العطاء الذي قد يصلني عندما يوضع قلمي في المزاد العلني.

وأرجو فقط ألا تذكروا لي ذلك الوصـف الـذي مججنـاه، وهـو وصفها بـ [المجوسية]، والذي لا يقبله إلا العقول المغرر بها، فأنتم تعلمون أن فارس منذ دخلت الإسـلام لم تخـرج منـه، وأن رسـول الله ﷺ أخبر بذلك، بل أخبر أن (الإيمان لو كان عند الثريـا لتناولـه رجال من فارس)[1].. ولو أننا قلنا بذلك، فستصبح أكثر ثروتنـا في التفسير والحديث والفقه واللغة وغيرها مصادر مجوسية مشـكوك فيها، لأن أكثر العلماء كانوا فرسا، أو لهم علاقة بالفرس.

وأرجو ألا تذكروا لي كذلك وصـفها بالامبراطوريـة الفارسـية، فأنتم تعلمون أن الكثير من الـدول الـتي حكمت إيـران كـانت دولا عربية ابتداء من بني أمية وبني العبـاس، وقـد حكمهم في فـترات كثـيرة إلى العصـر الحـالي رجـال من ذوي أصـول عربيـة، ولم يستكبروا عليهم، ولم يطالبوا برحيلهم، ولم يطالبوا بعودة كسرى، ولا أبناء كسرى.

وأرجـو ألا تـذكروا لي كـذلك وصـفها بــ [الصـفوية]، فالدولـة الصفوية كانت مملكة، وإيران الحالية جمهوريـة، والصـفوية كـانت تخضـع لحكم الفـرد، وإيـران الحاليـة تخضـع لحكم المؤسسـات، والصفوية كانت مرحلة تاريخية، وإيران الحالية واقع نـراه ونسـمع عنه.. ولو أننا طبقنا هذا الوصف، لوصفنا تركيا بالعثمانية، ووصـفنا مصر بالفاطمية والمماليك، ووصفنا الشـام بـالأيوبيين والأمـويين.. وهكذا لن نترك بلادا إلا ونجد في تاريخها ما يقبل، وما يرفض.

فلذلك دعونا من هذا الوصف وما يتتبعه من كـون الصـفويين فرضوا المذهب الشيعي على الإيرانـيين، فـأنتم تعلمـون أيضـا أن الأيوبيين فرضوا المذهب الشـافعي، والسـلاجقة فرضـوا المـذهب

1) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

الأشعري، والمأمون فـرض المـذهب المعـتزلي، والمتوكـل فـرض المــذهب الحنبلي، وابن عبــد الوهــاب ومن معــه من آل ســعود فرضوا المذهب السلفي.. فلذلك لا ترموهم بمثـل هـذه الحجـارة، فكل البيوت مبنية من زجاج.

وأرجو ألا تذكرو لي أيضا مـا يسـمونه بتصـدير الثـورة، فـأنتم تعلمـون أن العـالم مفتـوح، وأن كـل ثـورة ناجحـة تصـدر، رضـي أصحاب الثورة أو لم يرضوا.. فثورة تشي جيفارا صدرت ولا تـزال تصدر.. وثورة تونس وحرق البوعزيزي نفسه صـدر.. وصـار الكـل يحرقون أنفسهم.. ولذلك لا داعي لهذا الوصف، واتهام إيران بــه.. فهي لم تفعل سوى أن خرجت من عباءة الشـاه الـذي كـان عبـدا لأمريكا، وكان لذلك تأثيره الكبير في الشعوب التي لا تزال تخضـع لعبودية الشاهنشاهات.

ولا تذكروا لي كذلك التمدد الشيعي.. فأنتم تعلمون أن الكــل يتمدد.. فهناك قنوات تنشر المسيحية، وأخـرى تنسـر الماركسـية، وأخرى تنشر الوجودية.. حتى عبدة الشياطين لهم وسـائلهم الـتي ينشرون بها أفكارهم.. وحتى أنتم أيضا تنشـرون كـل مـا تفكـرون فيـه، ولا تدعونـه حـبيس عقـولكم؛ فلا تلومـوهم على شـيء أنتم تفعلون مثله.

ولا تذكروا لي عدم وجود مسـاجد للسـنة في طهـران.. تلـك الأيقونة التي تردد كثيرا، فأنتم تعلمـون أن المسـاجد للـه، وأنـه لا يصـح أن توضـع مسـاجد خاصـة بكـل مـذهب، وتعلمـون أيضـا أن المساجد الإسلامية في كل البلاد لا تفـرق بين مرتاديهـا، وإلا عـدنا لزمن التعصب الذي كانت تقام فيه أربعـة محـاريب، لكـل مـذهب محرابه الخاص به.

ولا تذكروا لي كذلك وصفها بالانحلال الأخلاقي، فأنتم تعلمون أن الدولة الوحيدة في العالم الـتي تفـرض الحجـاب على كـل من دخلها مسـلمة وغـير مسـلمة هي هـذه الجمهوريـة، وأتحـداكم أن تجدوا صورا عارية في محلاتها وشوارعها، أو تجدوا مشاهد خادشة للحياء في أفلامها ومسلسلاتها، وقـارنوا ذلـك إن شـئتم بنظيراتهـا من المسلسـلات والأفلام التركيـة الـتي تعتبرونهـا نموذجـا للدولـة

الإسلامية السنية.

ولا تذكرو لي كذلك العمالة لأمريكا وإسرائيل، فأنتم تعلمــون الحقد الأمريكي والإسرائيلي على إيران.. وتعلمون أن ذلك الحقــد لم يبق حبيس الصدور، وإنما خــرج إلى الواقــع عــبر الحــرب الـتي فرضت عليها لثمان سنوات كاملة، وبعدها ذلك الحصار المجحــف، والـذي لا يـزال مسـتمرا إلى اليـوم.. ولـذلك لا يمكنـني أن أكـذب عيني، وأصدق أوهامكم وخيالاتكم وظنونكم.

ولا تذكرو لي في هـذا السـياق شـراء الإيرانـيين للسـلاح من السوق السوداء الإسرائيلية، فأنتم تعلمـون أنـه لا حـرج في ذلـك، فالمقاومة الفلسطينية كانت تشتري أسلحتها من السوق السوداء الإسرائيلية.. وهكذا كل البلاد تفعل أي شـيء لأجـل الحفـاظ على أمنها القومي خاصة إذا حوصرت، ولم يبق بيدها حيلة.

ولا تذكروا لي تدخلها في سورية، فـأنتم تعلمـون أنهـا حليـف قديم لها، وقفت بجانبها أيام الحرب العربية والأمريكية المفروضـة عليها، وأنها لم تذهب لمساندة سوريا وشـعبها إلا بعـد أن اجتمعت كل جيوش العالم ومرتزقتها على حربهـا، وأنهـا لم تفعـل ذلـك إلا بناء على طلب من الحكومة الشرعية المعترف بها عالميـا.. وأنهـا مع ذلك كله لم ترسل سوى خبراء، ومتطوعين محدودين، ولو أنها أرسلت جيشها أو حرسها الثوري لمـا بقي الآن إرهـابي واحــد في سورية.

لذلك دعونا من كل هذه الأوصـاف.. فقـد بحثت فيهـا جميعـا، وابحثــوا لي عن غيرهــا، وأعــدكم أن بعض الريــع الــذي يصــلني سيصـلكم.. لكن فقـط احـذروا أن تكونـوا من الـذين يـبيعون ريـع الآخـرة بريـع الـدنيا، ويتثـاقلون إلى ضـيق الأرض، وينسـون سـعة السماء.

سورية.. والموقف الجزائري

طالبنا بعض الكرام الطيبين في ثورة غضبه علينا بسبب وقوفنا مع النظام السوري، ورئيسه الحكيم، وجيشه البطل، بأن نعود للمرجعية الجزائرية، وأن نترك المرجعيات الأخرى، ولست أدري أين يعيش هذا الرجل، ولا أين يعيش عقله، وهل يعرف السياسة الجزائرية في هذا الباب؟



وسأجيبه باختصار، وعلى شكل نقاط، وإن شاء أن يتأكد فيمكنه أن يراجع أرشيف الأخبار من أي جريدة أو قناة فضائية ليتأكد مما أذكره:

1 ـ أن الجزائر، ومنذ بداية ما يسمى بالربيع العربي كانت ضد التدخل في شؤون الدول، ومن بينها سورية، وكانت لذلك محل انتقاد من الدول التي تثير الفتن، بل كانوا يهددونها إن لم تقف معهم في بعض المواقف بأن ينقلوا المعركة إليها، ولعلنا نعرف جيدا ذلك الحديث الشديد لوزير الخارجية القطري مع نظيره الجزائري بسبب رفضه لإخراج سورية من جامعة الدول العربية، ولهذا لم نسمع الرئيس الجزائري يطالب الرئيس السوري بالرحيل في الوقت الذي خرجت فيه تلك الموضة المعروفة، موضة مطالبة الرئيس السوري بالرحيل.. ولعل ذلك ما

وقى رئيسنا المحترم ما أصاب غيره من رؤساء العالم الذين طردوا جميعا، وبقي الرئيس السوري.

2 ـ أن الجزائر وقفت مواقف معلنة وصريحة ضد التدخل الخارجي في ليبيا، في الوقت الذي أيدت فيه الكثير من الدول العربية ذلك التدخل، بل صاح فيه علماؤها ومفتوها بذلك.. ومثل ذلك كان في موقفها من سورية، لكن بلهجة أقل، لا بسبب كون الجزائر تؤيد تلك الدولة المجرمة في موقفها من سورية، ولكن لأن سورية ليست مجاورة للجزائر من جهة، ولكون تلك الدول كانت تفرض سطوتها على المجتمعين، وتوزع عليها البيانات من غير أن تستشيرهم.

3 ـ أن الجزائر بقيت تحافظ وفي أعلى المستويات مع الدولة السورية الشرعية، ولا يزال السفير السوري في محله لم يغادره في الوقت الذي طرد فيه من بعض البلاد العربية التي نجحت فيها المشاريع الإسلامية.. ولا تزال الراية السورية الحقيقية لا المزورة هي التي تجتمع مع أعلام الدول الأخرى.

4 ـ أن الجزائر رفضت استقبال أي فصيل معارض لسورية، حتى أن رئيس حزب من الأحزاب الإسلامية، وهو [أبو جرة سلطاني] طلب حينها من رئيس الجمهورية الجزائري أن يستقبل [المجلس الوطني السوري]، وأن يعترف به؛ فرفض ذلك.

5 ـ أنه في الوقت الذي عقدت فيه تونس الجارة اجتماعا لمن يسمون أصدقاء سورية، رفضت الجزائر ذلك الاجتماع، وكل ما انجر عنه.

6 ـ أن الجزائر ساهمت في خدمة الدولة الشرعية السورية بمسشتاريها في وزارة الخارجية، باعتبارها مرت بنفس الظروف التي مرت بها سورية، ومن بينها ما يسمى مشروع [الوئام المدني]

7 ـ أن الذين دمروا سورية وخربوها هم أنفسهم الذين تسببوا في العشرية السوداء في الجزائر؛ فقد كانت قطر وقناتها المجرمة تحرض على الجيش الجزائري في ذلك الوقت، بل كان

القرضاوي نفسه يحرض عليه، وأذكر جيدا في ذلك الحين أني كنت جنديا في الجيش الجزائري، وكيف كانت تلك القناة تصفنا، وكيف كان ضيوفها من المجرمين يصفوننا.. ولذلك موقفي من قطر والدول الإجرامية قديم وليس حادثا، لأني أعلم أن تلك الدويلة الصغيرة ليست سوى مقر للمخابرات الأمريكية، وقاعدة عسكرية لها، وبوق إعلامي يصيح بمصالحها.

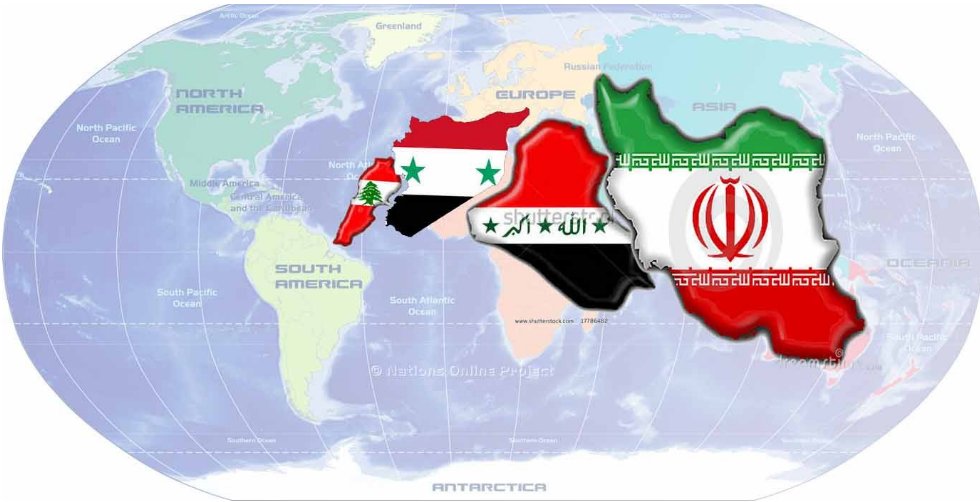
وفي الأخير أقول لهذا الصديق: إنني ــ كإنسان عاقل ــ لا يمكنني أن أثق في تلك الأيدي القذرة التي تشوه سورية، في نفس الوقت الذي تصافح فيه أعداء الأمة، وتضع خزائنها في حسابها.. ولا يمكنني أن أرفض الإرهاب في بلادي، ثم أقبله في بلاد أخرى.. ولا يمكنني أن أرضى من جيش بلدي، بل أطالبه بأن يساهم في تحرير بلادي من الإرهابيين، ثم أحرم على جيوش البلاد الأخرى أن تفعل ذلك.

أنا منسجم مع نفسي وديني انسجاما تاما.. فليس لدي مكاييل مزدوجة، وقد كان أول من أخذت عنه الموقف من سورية هم علماؤها وصوفيتها الكبار الذين أعتبرهم أساتذتي وشيوخي.. وليس من العقل ولا من الأدب أن أنقلب على شيوخي وأساتذتي، ثم أمد يدي لأولئك الوهابيين المتشددين أو الحركيين المتعطشين للسلطة، ولو بإبادة شعوب كاملة.

لذلك هذه مرجعيتي في مواقفي.. فما مرجعيتكم؟

ما هو محور المقاومة؟

يـتردد على القنـوات الفضـائية منـذ سـنوات هـذا المصـطلح الجديد في عالم السياسـة والإعلام [محـور المقاومـة]، أو [محـور الممانعـة] يـذكره البعض بفخـر واعـتزاز كحقيقـة موجـودة تلـبي مطـامح الأمـة في العــزة والاسـتقلال والخــروج من الهيمنــة الاستكبارية بكل معانيها وتجلياتها، ويضع لـه خارطـة لـذلك، ويضـع الـبراهين الدالـة على مـدى مصـداقية ذلـك الوصـف على هـذه الخارطة.



ويذكره آخرون ساخرين، ويسمونه بأسماء لا نحب أن نذكرها هنا.. ويصورونه بصورة العميـل المخـادع المتصـالح مـع المسـتكبر في الباطن، والمعادي له في الظاهر.. أو بصورة العميـل المغفـل الذي يـؤدي خدماتـه المجانيـة للمسـتكبر والامبريـالي من دون أي مقابل.

ونحن هنـا لا نريـد أن نحـدد أي الفـريقين المصـيب، وأيهمـا المخطئ، ولكنا نريد أن نطرح تساؤلا حول الخصائص التي تشـكل هذا المحور، لنتعرف على حقيقتة، وبعد ذلك يمكننا أن نطبـق هـذا التصور على المصاديق المرتبطة به، أو المدعيـة لـه، لـنرى مـدى انسجامها مع ما تدعيه.

وبداية، ومن خلال المصطلح [المقاومة] أو [الممانعـة]، فـإن

هذا المحور الذي لا ندري بالضبط من هم مصاديقه، لابد أن تتـوفر فيه أربعة خصائص:

أولها ـ الاستقلالية والسيادة: ذلـك أن جـوهر المقاومـة والممانعة هو اسـتقلالية القـرار، وسـيادة المقـرر، بحيث لا يكـون تابعـا، ولا إمعـة لأي جهـة من الجهـات، تفـرض عليـه مـا تريـد، أو تجعله سادنا لمصالحها، وناطقا باسمها.

ثانيها ـ الاهتمام بقضايا الأمـة، ودعوتـه إلى تحريـر أراضيها: وهـذه خاصـية ضـرورية، وناتجـة عمـا قبلهـا، فمن كـان سيدا في قراره، ومستقلا في مواقفه، لا يمكن أن يرضى أبدا بأن تحتل أي أرض، أو تسرق خيرات أي شعب، فكيـف إذا كـانت تلـك الأرض جزءا من تاريخه ومعتقداته وحرماته؟

ولذلك فإن أول مظهر لمحور المقاومة هو اهتمامـه بالقضـية الفلسـطينية بالدرجـة الأولى، واعتبـار الاحتلال الصـهيوني غـدة سرطانية تحتاج إلى استئصال شامل لها، ولكل آثارها.

وطبعا نحن لا نطلب من هـذا المحـور أن يواجـه هـذه الغـدة ومن يقف خلفهـا مواجهـة مسـلحة، فـذلك ربمـا يحتـاج إلى وضـع استراتيجيات خاصـة، لهـا علاقـة بـالزمن، وتطـور الأحـداث، ولكن يكفي ألا يتنازل عن هذه القضية، وألا يقوم بأي تطـبيع مـع العـدو، مهمـا كـان نوعـه، وأن يظـل على لغتـه القويـة في اعتبـاره كيانـا غاصبا محتلا.

ثالثهـا ــ الخطـاب الوحـدوي والبعيـد عن الطائفيـة والعنصرية: ذلك أن المنطقة الإسلامية منطقة متعددة الأجنـاس والأديان والمذاهب والطوائف، وهي تستدعي خطابا خاصا، يراعي هذا الواقع الاثني، ولهذا، فإن الذي يتحـدث فيهـا بنـبرة طائفيـة أو عنصرية أو جهوية إنما يخدم المستكبر بـذلك، ويهـيئ لـه الأرضـية الصالحة لأداء دوره التفتيتي والتقسيمي للمنطقة.

وبناء على هذا، فإن من سمات محور المقاومة هـو الاهتمـام بالمشتركات المصيرية للأمـة، بـل دعوتـه إلى الاتحـاد فيمـا بينهـا، لتشكل حلفا استراتيجيا يمنـع الهيمنـة الاسـتكبارية الغربيـة من أن

تنفرد بأي فرد من أفراد الأمة، أو قطر من أقطارها.

رابعهـا ــ الخـروج من عـالم الشـعارات إلى عـالم الواقع، وتحمل نتائج ذلك: وهي خاصية أخـرى أساسـية تمـيز هـذا المحـور عن غـيره، وتجعلـه حقيقـا بهـذا اللقب العظيم، لقب [المقـاوم والممـانع]، فالمقـاوم الحقيقي لا يقـاوم بلسـانه فقـط، وإنما يقاوم بأفعاله، وسلوكه الاستراتيجي الذي يخدم مصالح الأمة على المدى القريب والبعيد، ويتحمل النتائج المترتبة على ذلك من مقاطعـات اقتصـادية، أو تشـويه إعلامي، أو تهديـد عسـكري، أو وضعه في خانة الإرهاب، أو وضعه في خانة العمالة.

فهو يعرف هدفه بدقـة، ويسـعى لتحقيقـه، ولا يأبـه بالصـراخ حوله، ولا بأي أسلوب من أساليب الضغط.

هذه هي الخصائص الأربعة التي يمكننـا من خلالهـا أن نعـرِّف محور المقاومة بكونه [المحور السـيد في مواقفـه، المسـتقل في قرارته، المهتم بقضايا الأمـة، غـير المتـاجر بهـا، صـاحب الخطـاب الوحــدوي، البعيــد عن الطائفيــة والعنصــرية، والــذي لا يكتفي بالمقاومــة القوليــة، وإنمــا يتبعهــا بالمقاومــة الفعليــة في جميــع المجالات، ويتحمل نتائج ذلك]

هذا هو التعريف الذي نقترحه لهذا المحور، وهو تعريف متفق عليه عنـد الجميـع، وإنمـا الاختلاف في مصـاديقه، أو في الخارطـة التي يحملها هذا المحور.

وبداية، وقبل تحديد الخارطة الجغرافيـة لهـذا المحـور، نـذكر أنه محور شعبي قبل أن يكون محورا سياسيا، وبهذا الاعتبـار فـإن شعوب الوطن العربي والعالم الإسـلامي تنتمي إلى هـذا المحـور، على الأقل بعاطفتها ومواقفها الشعورية، والتي قد تؤثر فيها أحيانا البروباغندا الإعلامية، لكن تأثيرهـا سـرعان مـا يـزول في ظـل أي موقف أو حدث.. مثل موقف ترامب من تحويـل القـدس عاصـمة للكيان الصهيوني، وكيـف أعـاد ذلـك الـوعي للشـعوب الإسـلامية، فراحت تمارس كل أصناف المقاومة ضده، ولا زالت تمارس.

أمـا من الناحيـة السياسـية، فإنـه من السـهل التعـرف على

الدول المشكلة لهـذا المحـور إذا تخلينـا عن كـل أسـاليب الخـداع التي يمارسها الساسة أو من يقف في صفهم.

فالدول التي لم تقبل بـالتطبيع مـع الصـهيونية، ورفضـت فتح سـفارات فيهـا، ولا تـزال تسـمي فلسـطين باسـمها من الـبر إلى البحـر.. ولا تـزال تعـاني من المقاطعـات الاقتصـادية، وكـل أنـواع الحصار، وتتحمل كل ذلـك في سـبيل قضـاياها، هي أجـدى الـدول بأن يطلق عليها هـذا الاسـم.. ومن رأى غـير ذلـك، فليـأت بـدليل، فنحن نحكم على الظاهر، ولا تعنينا البواطن، وننظـر إلى مـا فـوق الطاولة، ولا يهمنا ما يجري تحتها، لأنه غيب محجوب عنا.

هذا محوري.. فما محوركم؟

ذكر بعض الفضلاء من خصومي، بعد تفكير وتقدير وتدبر بـأن حديثي هو حديث [محـور المقاومـة]، وأنـني بـذلك أنتمي إلى هـذا المحور.. وظن أنه يسبني بذلك، ولم يعلم أنه يمدحني.. فأنا أفخـر بأن أكون خادما لهذا المحور.



وفي نفس الوقت أطالب هذا الفاضل وغيره بأن يخبرني عن المحور الذي ينتمي إليه، والدول التي تدعمه؛ فلعله يقنعني بــترك محوري، والانتماء إلى محوره.

أما محوري ـ والذي يبدأ من بلدي ـ فكله يؤمن بعدم أخلاقيــة التدخل في شؤون الدول، ولذلك كنا ضد التـدخل في ليبيـا واليمن وسوريا وكل بلاد العالم.. وسرنا بهذا المنطق نتعامـل بـه من دون أي ارتجاج أو مكاييل مزدوجة.

وهو محور يؤمن بالقضية الفلسطينية، ويقف معها في جميــع أحوالها، ولم يقم بأي تطبيع، ولم يرفع لإسرائيل أي علم، ولم يبن لها أي سفارة، وهـو يعتـبر فلسـطين جميعا وبحـدودها جميعـا من البحر إلى النهر.. ولا زال يردد نفس الأغاني التي كانت تـردد أيـام عز القضية الفلسطينية.

وهو محور يؤمن بأن النظام الأمريكي حليف إسرائيل شيطان أكبر، وأن أنظمة الغرب المستعمر هي نفسها أنظمة الغرب المستعمر، وهي شياطين صغرى.. لا زال لها عقل المستعمر وكبرياءه، ولذلك قد يعود في أي لحظة ليفعل ما فعله سلفه.. لذلك يتعامل مع الكل بحذر وسيادة، ولا يقبل من أحد أن يتدخل في شؤونه.

وهو محور يؤمن بالوحدة العربية والإسلامية، ولا يقبل أي تقسيم.. ولذلك يرفض كل ما يؤدي إلى ذلك من دعوات طائفية، ونعرات عرقية.

وهو محور يواجه الحرب الناعمة والصلبة بكل ما تتطلبه المواجهة من أنواع القوى العسكرية والعلمية والثقافية والفكرية..

هذا هو محوري الذي يمثل مشروعا حضاريا للأمة، يخرج بها من الذلة إلى العزة، ومن التخلف إلى التقدم، ومن التبعية إلى السيادة.. فأخبروني عن محوركم، ومن يمثله من الدول؟

وإن شئتم ألا تخبروني فافعلوا، فأنا أعلم أن محوركم هو عكس محوري في كل شيء.. وأنتم تعلمون كذلك، لكنكم تغضون أبصاركم، وتستغشون ثيابكم، وتغلقون أنوفكم.. حتى لا تروا المستنقع الذي أوقعكم فيه الإعلام المحرض، وحتى لا تشموا روائحه المنتنة.

تحية للرئيس السوري البطل

قد يختلف الكثير منا مـع الـرئيس السـوري بشـار الأسـد في بعض المواقف والرؤى والأيديولوجيات، وقد يختلف معه في شكل نظام الحكم، أو في السياسـة الـتي يـدار بهـا الاقتصـاد أو التربيـة والتعليم أو غيرها من المجالات.. ولكنـه لا يمكنـه أن يختلـف معـه أبدا في تلك الوقفة البطلة التي وقفها لحفظ بلاده من أي تقسـيم أو استغلال أو استعمار.



كان في إمكانه من أول يوم بدأت فيه المـؤامرات أن يهـرب كما هـرب الشـاه أو زين العابـدين بن علي إلى أي دولـة من دول العالم لينشغل بنفسه عن تلك الهموم التي يمكن أن يتحملها..

وكان يمكنه أن يستجيب لتلك الإغراءات الكثيرة الـتي أغرتـه بها قطر والسعودية وكل دول الرجعية العربية.. أو يسـتجيب لكـل تلك التهديدات التي أطلقها عليها كل مجرمي العالم.

وكـان يمكنـه أن ينشـق عن بلـده مثلمـا فعـل ذلـك الأحمـق المغفل رئيس حكومته، الذي فـر إلى أعدائـه، ليصـبح عميلا يلعنـه التاريخ والأجيال جميعا.

كان يمكنه أن يفعل أشياء كثيرة جدا يحفظ بها لحياته راحتهـا

وسلامها وسعادتها.. لكنه لم يفعل وآثر أن يبقى رغم كل شيء.. لأنه يعلم أنه لو فعل كل ذلك؛ فستصبح سوريا مثل أفغانستان والصومال وليبيا وكل الدول الفاشلة.

ذلك أن الحاكم هو صمام أمن الدولة وسيادتها ووحدتها.. فإذا ما فر بنفسه، أو نأى بنفسه، فإن خيمة الدولة ستسقط، وكيف لا تسقط وهو عمودها؟

ولم يفعل الرئيس السوري ذلك فقط، بل كان يشارك شعبه وجيشه بطولاته، ويتنقل بين الثكنات، بكل شجاعة وبطولة.

ولم يفعل ذلك فقط، بل كان يحاور كل القنوات، وباللغات التي يشتهون.. فيتكلم إنجليزية سليمة، وعربية فصيحة، وبمنطق يعز أن نجد مثله بين الرؤساء والحكام.

فكيف لا نحيي هذا البطل الشجاع المثقف الواعي.. ونحن نرى أولئك الذين لا يعرفون لغة عربية ولا أجنبية ولا يملكون وعيا ولا علما.. لا يملكون إلا خزائن ضخمة من الأموال يضخونها كل حين على الشرق والغرب، ليُبرزوا الكرم العربي، ومعه الذلة العربية.

فتحية لك أيها الرئيس البطل على مواقفك وشجاعتك ووعيك.. ونحن معك ما دام كل المجرمين ضدك..

تحية للجيش السوري

ربما لم يتعرض جيش في التاريخ لما تعرض له الجيش السوري من أنواع الحروب العسكرية والإعلامية والدينية والثقافية.. فقد ترك الكل أشغالهم، وراحوا يتفرغون لحربه.. ومع ذلك واجههم جميعا ببطولة فذة، وشجاعة نادرة، وإخلاص لوطنه وأمته وقضيته لا نظير له.



أما الحرب العسكرية، فقد اجتمعت عليه كل قوى الإرهاب، وأفرغت في ساحاته كل ألوان الرايات من القاعدة والنصرة وداعش والجيش الحر ولواء الإسلام وجيش الإسلام وفيلق الرحمن.. وعندما سقطت هذه الرايات جاءت الراية الأمريكية والبريطانية والفرنسية مدعومة بالرجعية العربية، التي باعت كل ما لديها من مال وحياء لتدفع ثمن كل صاروخ أو رصاصة توجه لهذا الجيش البطل.

أما الحرب الإعلامية، والتي تبثها قنوات الضلال والفتنة المدارة من طرف قرن الشيطان وذيوله، فقد حولته من جيش مخلص يحمي بلده من أي تقسيم أو قطاع طرق يريدون أن يخلّوا بنظامه، إلى ميليشيات أو قوات تابعة لشخص، وليست تابعة لدولة.. وأصبح بفعل الضخ الإعلامي الضخم نموذجا للحقد والكراهية، وليس للإخلاص والتضحية.

أما الحرب الدينية، والتي شنها عليه رجال الدين وأحباره الذين باعوا نفوسهم للشيطان؛ فقد أصدروا الفتاوى الكثيرة التي يستحلون فيها دماءه وعرضه.. ولم يكف حقدهم ذلك، فراحوا يضيفون إلى أركان الدين وأصوله: كراهية هذا الجيش العظيم الذي أثبت بطولته وتضحيته وإخلاصه على الرغم من كل تلك الرشاوى التي تدفع له.

أما الحرب الثقافية، فيشنها عليه دعاة التنوير والثقافة من الفنانين والروائيين والشعراء ومن يتبعهم من الغاوين الذين تركوا كل مظالم الدنيا، وكل دموع اليتامى، وراحوا لهذا الجيش يهجونه، ويسبونه، ليصلهم أولئك الطغاة بما شاءت لهم أهواؤهم من درر وصرر.

هذا هو الجيش الذي يستحق منا كل أنواع الدعاء بأن يحميه الله، ويسدد رميته ليستأصل كل خائن، ويفتك بكل جبان..

وهو يستحق منا كل ألوان الدعم المادي والمعنوي، لأنه يقف الآن على ثغرة عظيمة من ثغور العروبة والإسلام، ولو سقطت، فستلتحق سورية بأختها المظلومة فلسطين تلك التي باعها الخونة الذين يتآمرون الآن على سورية، كما يتآمرون على كل شبر من بلاد الإسلام.

تحية لك أيها الجيش البطل بأي اسم سموك: الجيش العربي السوري، أو مليشيات الأسد، أو جيش النظام.. فأنت في أعيننا مثال للجيش الصادق المخلص الذي لا يرى إلا قضيته، ولا يأبه للكلاب التي تصرخ، ولا للأسود التي تزمجر.

هنيئا لسورية بمفتيها الشيخ حسون

من أجمل ما أيد الله به سورية إزاء المحن الكثيرة التي تعرضت لها أولئك الرجال الأبطال القائمين على كل ثغر من ثغورها.. فأينما وجهت وجهك وجدت بطلا أو أبطالا يقومون بأداء أدوارهم باحترافية عالية جدا، في مقابل ذلك التخبط والإسفاف الذي تعيشه المعارضة الممونة من السعودية أو قطر أو تركيا أو غيرها من بلاد العالم.



ولعل أهم شخصية لقيت ظلما كثيرا وتشويها خطيرا على الرغم من تضحياتها العظيمة وإخلاصها الصادق شخصية الشيخ الجليل العلامة [أحمد بدر الدين حسون]، مفتي سوريا، والذي استعملت كل أدوات التضليل لتحويله من علامة مناضل مجاهد مخلص لوطنه وأمته إلى خائن ومرتزق وعالم سلطان.

ولست أدري أي الفريقين أحق أن يوصف بتلك الأوصاف: هل الشيخ حسون، ذلك البسيط المتواضع الذي كان في إمكانه أن ينال ما يشاء من المال والجاه والشهرة لو انشق عن وطنه كما ينشق أولئك الخونة، أم تلك العمائم المزيفة المحيطة بالملوك والأمراء، والتي تعيش كما يعيش الملوك والأمراء؟

أي الفريقين أكثر صدقا وإخلاصا: ذلك الذي ينادي بالحكمة

والسماحة مع من قتلوا ولده، وآذوه بكل صنوف الإيذاء، أم أولئك المشايخ الذين تحولوا إلى نسور وصقور وتماسيح لا هم لها إلا الدعوة للقتل والإبادة والتخريب؟

فهنيئا لسورية بشيخها وعالمها ومفتيها الذي لو وزن به كل مشايخ الإفتاء في جميع البلاد العربية لوزنهم بعقله وحلمه وصدقه وإخلاصه.. فهو المفتي الحقيقي، وهو العالم المجاهد، وهو الذي يمثل الحكمة في وقت الفتنة.

ولهذا استعملت القنوات المغرضة، ومن يقف وراءها من الطغاة والمجرمين، أو من يستمع لها من البلهاء والمغفلين كل الوسائل حتى تُصم الآذان عن سماعات كلمات ذلك الشيخ الجليل الذي يمثل القيم بجميع معانيها.

تحية لبشار الجعفري

من الشخصيات التي تدل على عبقرية النظام السوري وذكائه في اختيار رجاله وممثليه في العالم شخصية [بشار الجعفري]، فهي شخصية تستحق الاحترام والإجلال والتقدير، خاصة إذا قارناها بشخصية الممثل الليبي في الأمم المتحدة، والذي انشق من أول يوم بدأت فيه الفتنة في بلده، فكان رمزا للنذالة، كما كان بشار الجعفري رمزا للبطولة والشجاعة والحجة الدامغة، والشخصية القوية.



وهو بالإضافة إلى ذلك كله صاحب قدرات كثيرة، تدل على أن النظام السوري لا يختار إلا الأكفاء صاحب المواهب والقدرات، وهو ما جعله يتماسك مع كل الحروب التي ووجه بها.

فبشار الجعفري يتقن العربية والإنكليزية والفرنسية والفارسية.. وهو فوق ذلك درس الأدب والعلاقات الدولية، وله شهادات عليا في مجالات مختلفة، بالإضافة إلى تخصصه في تاريخ الحضارة الإسلامية.

قارنوا هذه الشخصية التي استطاعت بتدخلاتها أن تفضح

الغـرب ومكاييلـه المزدوجـة بجميـع تلـك الشخصـيات السـورية المعارضة التي تصبح في فنادق باريس أو واشـنطن، وتمسـي في فنادق أنقرة أو الرياض، والذل يكسو وجهها، والعـار والخيبـة تعلـو ملامحها، وهي لا تدري من ترضـي ومن تسـخط.. لتـدركوا أن في سورية صنفين من الناس: رجال وأبطال هم أركان النظام وأتباعه وأنصاره.. وأشـبه رجـال، وهم كـل أولئـك الـذين بـاعوا أوطـانهم، ورضوا لأنفسهم أن يصيروا ذيولا لأعدائهم.

البوطي.. الشهيد البطل

من المكاييل المزدوجة الخطيرة التي استعملها الإعلام المغرض ومن يحركه من شياطين الإنس والجن ذلك التجاهل لكبار علماء الأمة الممتلئين بالحكمة والعلم والسلام.. والذين وقفوا جميعا ضد الفتنة في أي بلاد من بلاد الإسلام.



وأول هؤلاء العلماء في بلاد الشام، وأكبرهم، ذلك الذي لا يختلف اثنان في علمه وروحانيته وصدقه الشيخ الشهيد [محمد سعيد رمضان البوطي] الذي كان يسكن سوريا، بل يسكن دمشق، وله علاقة وثيقة بنظام الحكم، بالإضافة إلى علاقته الكبيرة بشباب الصحوة الإسلامية التي ساهم بترشيدها وتوجيهها وتربيتها..

وكان الأصل في أن ينصرف الناس والإعلام عند حدوث الفتنة في سورية إليه، لتبين موقفه، والاسترشاد بتوجيهاته لكيفية التعامل معها.. لكنهم للأسف لم يفعلوا، وراحوا يستمعون لخطباء الفتنة، ولذلك الاتحاد المشبوه الذي أطلقوا عليه [اتحاد علماء المسلمين]، والذي حُكم عليه بعد انتهاء دوره الفتنوي واحتراق أوراقه بالإرهاب..

لقد صار البوطي في ذلك الحين بفعل هجمات التحريض عدوا لدودا للأمة، وصار الكل يسبه ويشتمه، بل يكفره، إلى أن جاء الدور للقرضاوي بعد أن امتلأ الناس بكل ذلك التحريض، ليؤدي دوره في الإفتاء بقتله، وقتل كل علماء الشام الذين وقفوا مع دولتهم، وصدقوا في وقوفهم معها.

لا أقول هذا الكلام عن معرفة بعيدة، بل أقوله عن معرفة شخصية معه رحمة الله من صغري الباكر، فقد كنت أراه في زياراته الكثيرة للجزائر، وأتصل به كل حين، وكان العالم الوحيد الممتلئ بالتواضع، حيث كان يجلسني بجنبه، ويحدثني وكأنه يحدث شيخا كبيرا، وأذكر مرة أني طلبت منه الدعاء لي، فقال لي: انتظر حتى يجتمع الناس؛ فلما اجتمعوا، راح يدعو وهم يؤمنون، وأذكر أنه حينها توسل بالنبي ﷺ، فراح الكثير يجادله في ذلك.

كنت أراه ولا أزال أراه مميزا بين العلماء، فهو يدعو إلى الروحانية، ويشرح الحكم العطائية، وتذرف دموعه كل حين، حتى لا يكاد يتماسك.

وكان عقلانيا يطرح الإسلام بصورته الجميلة النظيفة الهادئة، وكانت سلسلته [هكذا فلندع إلى الإسلام] من الكتب الرائدة في التوجيه الدعوي السليم.

وكان فوق ذلك صاحب رؤية استراتيجية للعمل الإسلامي الذي لا يصطدم بالنظم، وإنما يحاول الاستفادة منها.. ولذلك لم تكن علاقته بالنظام السوري علاقة مصلحة بقدر ما كانت علاقة توجيه وإرشاد ونصح.. وكان محترما بينها لدرجة لا تتصور.

وكان في إمكانه بعد ذلك أن ينشق كما انشق بعض المتثاقلين للدنيا، ويبيع بلده، ويفتي بقتل رئيسه، وإسقاط نظامه.. وكان يمكنه لو فعل ذلك أن ينال من المال والشهرة أضعاف ما يحلم به المستغرقون في الدنيا، لكنه لم يفعل، وعاش زاهد متواضعا إلى أن مات شهيدا.

ومن شاء أن يعرف من قتله، فليسأل ابنه العلامة محمد

توفيق.. فقد صرح لجهات إعلامية كثـيرة بـأن القرضـاوي وعلمـاء الفتنة هم الذين قتلوه.. ومن لم يصدق هذا العـالم، ومن معـه من علماء الشام الكبار، فهو لا يزال تحت تأثير تلـك الحقن التخديريـة التي حقنه بها الإعلام المغرض، ومن يديره من علماء الفتنة.

الشيخ أحمد الزين.. وحدة ومقاومة

لا شك أن الكثـير من القـراء الكـرام، مـع احـترامي الشـديد لهم، لم يروا صورة هذا العالم الجليل من قبل، أو ربما رأوها، ولم يلتفتوا لها، أو يهتموا بها.. وذلك شـيء طـبيعي؛ فالعلمـاء في هـذا العصـر المليء بـالفتن لا تحـددهم قـدراتهم العلميـة، ولا خـبراتهم المعرفية والحياتيـة، وإنمـا يحـددهم الإعلام المغـرض، ومن وراءه من الباحثين عن القيادات الاجتماعية القائمة على الحرب الناعمة، والمديرة لها.



ولذلك كان على جميع الثوريين الصادقين أن يقفـوا في وجـه هذه المؤامرة، فيبحثوا عن العلمـاء من خلال مـواقفهم، وعلاقتهم بمصـالح الأمـة، حـتى لا يقعـوا ضـحية لإملاءات إعلام الفتنـة والتحريض.

وأهم المواقف في هذا العصر، والتي نصـت عليهـا النصـوص المقدسة، ودعت إليها، موقفان: الوحدة والمقاومة.. فالوحدة هي الحفـاظ على النسـيج الـديني والاجتمـاعي والسياسـي الواحـد للإسلام المتمثل في الأمة الواحدة، والتي تشمل جميـع المـذاهب، التي ليست سوى مدارس وقراءات متعددة للإسـلام.. والمقاومـة هي الحفـاظ على سـيادة هـذه الأمـة واسـتقلاليتها، ومواجهـة كـل المتربصـين بهـا، وأولهم الكيـان الصـهيوني، والكيـان الأمـريكي، والأدوات التابعة لهما.

وعندما نضع هذه الضابطة للعلماء العاملين الصادقين، فسوف تتلاشى الكثير من الوجوه التي اتخذها الناس أندادا من دون الله من أمثال القرضاوي والعريفي وحسان ووجدي غنيم وصفوت حجازي.. وأسماء كثيرة جدا، تلك التي كنا نصبح بها ونمسي، إلى أن أدت دورها التخريبي والطائفي والانبطاحي.

في مقابل أولئك نجد العلماء العاملين الصادقين المغيبين من أمثال الشيخ أحمد الزين، وهو رئيس مجلس الأمناء في تجمع العلماء المسلمين، وقاض من المدرسة السنية، ولكنا مع ذلك لم نسمعه في أي يوم من الأيام يتحدث بخطاب طائفي، بل دائما كان دائما يردد: (أنا القاضي السني الذي أدعو للوحدة بين السنة والشيعة)، وكان دائما يعتبر مصدر الدعوة للتفرقة والفتنة بين السنة والشيعة تل أبيب ونيويورك، وليس الكتاب والسنة.

أما موقفه من فلسطين والمقاومة؛ فهو موقف الرجال الأبطال، ذلك أنه لا يدع موقفا إلا وتحدث فيه عنها بلغة يمتزج فيها العلم بالروحانية والصدق المطلق.

أما موقفه من سوريا، وسيادتها، ونظامها وجيشها، فهو نفس موقف أولئك الأبطال من أمثال الشيخ البوطي وأحمد بدر حسون وجميع علماء الشام الكبار، وكانت له مواقف ريادية، وخطب نارية في مواجهة الفتنة من أول ظهورها.

لكن للأسف لا يسمح لجمهور المسلمين بالاستماع إليه، لسبب بسيط، وهو أن كل قنوات الفتنة لا تعرضه، ولا تعرّف به، والوحيدون الذين يستقبلونه هم دعاة الوحدة والمقاومة، وقد غرس في عقول الناس أن كل من يظهر في قنوات أو إعلام الوحدة والمقاومة فهو عميل، وليس عالما.. بينما الذي يظهر في قنوات الشياطين الكبرى والصغرى، وشبكاتها، يعتبرونه عالما جليلا، وعلامة ناصحا.

وهذا من اختلال الموازين الذي عبر عنه رسول الله ﷺ؛ فقال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس

رؤساء جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا فأضلوا)[1]

1) رواه البخاري 1 / 174 و 175 في العلم، باب كيف يقبض العلم، وفي الاعتصام، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، ومسلم رقم (2673)

أبو العزائم.. الصوفي المقاوم

تعودنا من الكثير من الصوفية الجلوس في خلواتهم، والاكتفاء بأذكارهم ومذاكراتهم، وترك الخلق للخلق، والرزق للرازق، إلا سيدي وأستاذي وشيخي السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم الحسيني(1).. فهو شيخ جمع الخير من جوانبه، والقوة من نواحيها، فهو صوفي ومقاوم بامتياز.



وأول صفة فيه – ولعلها الأساس لباقي صفاته – هي تلك الروحانية السامية؛ فهو شيخ روحي يدعو إلى الذكر والسلوك والترقي في مراتب العرفان، ويؤدب مريديه على ذلك، ويعقد مجالس الذكر، ومعها نغمات السماع الروحي الرفيع التي تردد تلك القصائد الجميلة التي ألفها جده العارف المجاهد العلامة المجدد [محمد ماضي أبو العزائم] صاحب المؤلفات الكثيرة في المجالات المختلفة.

وهو ـ بالإضافة إلى ذلك، وعلى عكس ما يتوقع من مشايخ الصوفية ـ باحث في التسلل اليهودي للإسلام، وأرض المسلمين، ومهتم بذلك اهتماما شديدا، ولا يكتفي بالاهتمام المجرد، بل يستعمل كل الوسائل لمقاومة ما يفرزه ذلك التسلل من أفكار وتوجهات ومدارس، وله دروسه التوعوية ومقالاته العلمية في

---

1) وهي نسبة إلى عين ماضي بالجزائر.

ذلك.

وهو مقاوم للتيارات السلفية وكل من يدعمها منذ زمن بعيد، يحـذر منهـا، ومن خطورتهـا على العـالم الإسـلامي، وتسـللها إلى مؤسساته، وقد حصل كل ما توقعه من تحذيرات.

وهو مقاوم لكل الحركات السياسية التي اسـتعملت الإسـلام مطية لتحقيق أغراضها الشخصـية، وفي الـوقت الـذي راح الكثـير يجامل فيه من أتيحت لهم السـلطة، حـتى ينـال بعض المكاسـب، خرج مع رجال طريقته الأبطـال من أهـل العـزائم مـواجهين بكـل قوة وشجاعة، كل ما يراد لمصـر من مشـاريع التفـتيت والتقسـيم والحرب الداخلية،لأنه يعرف المصير الذي تصير إليه مصر لو تـرك الأمر لأولئك الذين يمارسون السياسة بكل أدوات الغباء.

وهو مقاوم لكل دعاوى الطائفية، ولذلك كان امتدادا لمدرسة التقريب بين المـذاهب الإسـلامية يشـجع روادهـا، وينشـر بحـوثهم ومقالاتهم ومؤلفاتهم، ويسعى بكل جهده لإحيائها، بل لا يوجـــد في مصر من خدم الوحدة الإسلامية مثلما خدمها، ولذلك نـال من كـل الجهات جميع أصناف الشتم والسباب والتكفير والتبديع.

وقـد اسـتعمل في مقاومتـه كـل أنـواع الأسـاليب العلميـة والسـلمية والأخلاقيـة.. فهـو ينشـر الكتب والمجلات، ويقيم المجـالس والمـؤتمرات، ويرحـل لكـل قريـة ومدينـة حـتى يـؤدي الرسالة التي يشعر أنه كلف بها.

ولا أكتمكم أني مـدين لـه بـالكثير؛ فقبـل أن أتعـرف عليـه، وأتشـرف بـالجلوس بين يديـه، لم أكن أهتم إلا بالكتابـة العلميـة الأكاديمية البسيطة، أو بالكتابـة الأدبيـة الـتي تهتم بمحـاورة الآخـر من دون أن تلتفت لـدجل الـداخل.. لكن الشـيخ وفي بيتـه الـذي استضافني فيه وجهني إلى هذا النوع من الكتابة، وبين لي أهميتـه في معالجة الواقع الإسلامي، وبذل النصيحة للمسلمين.

ولم يكتـف بـذلك التوجيـه، بـل كـانت الرسـائل تـأتيني من مجلتهم المحترمة تطالبني بالكتابـة، وأكـثر مـا كتبتـه في سلسـلة [الدين والدجل] كان بناء على طلباتهم وتوجيهـاتهم وتشـجيعاتهم..

فهم الذين دعوني إلى استعمال أسلوب الحوار والرواية والقصة حتى تصل الفكرة إلى أكبر عدد من الناس.

وقد رأيت أثناء جلوسي إليه من الصدق والتواضع والأدب الرفيع والتفكير الاستراتيجي ما ملأني بالعجب؛ فلم أجلس في حياتي مع صوفي مثله، وربما لن أجلس مع مثله.. ولو أن صوفية العالم الإسلامي كانوا جميعا بمثل هذا الوعي والتفكير الاستراتيجي وعدم الحرص على المصالح الشخصية، لما تمكنت الحرب الناعمة ولا أدواتها من اختراق الواقع الإسلامي والتأثير فيه.

خالد الملا.. والوعي الاستراتيجي

من العلمــاء البــارزين الــذين كــان لهم دورهم الكبــير في مواجهــة التطــرف والعنــف والحــرب الناعمــة الشــيخ خالــد الملا، رئيس جماعــة علمــاء العــراق، وهــو رجــل من علمــاء أهــل الســنة الكبار الذين يتجاهلهم الإعلام المغرض، ويعتبرهم تابعين لإيران مع كونه عالما من علماء أهل السنة، تربى على أيــديهم، وتتلمــذ على كتبهم، وهــو لا يــدرس أو يخطب إلا من خلال مصــادرهم، وأتحــدى من يجد لي في كلماته كلمة واحدة يدعو فيها إلى التشيع.



ولكن مع ذلك كلــه نجــد الإســلاميين ومعهم الإعلام المغــرض يتهمه بذلك، وبالتبعية لإيران، ناسين أنهم غارقون إلى أذقانهم في التبعية لأمريكا وإسرائيل وكل أعداء الأمة.

وميزة هذا الرجل ـ على حسب متابعتي لتصريحاته وخطاباته ـ هي ذلك الحرص الشديد على مصالح الأمــة الإســلامية ووحــدتها، ولــذلك يــدعو كــل حين إلى التقــارب بين المــذاهب الإســلامية، وتعــايش بعضــها مــع بعضــها، وتعاونهــا فيمــا بينهــا لــدحر الأعــداء الحقيقيين الذين يريدون بث الفرقــة بين المســلمين ليتمكنــوا من

تحقيق مشاريعهم.

وميزته الأخرى، وهي أهم من هذه الميزة، هي ذلك الوعي الاستراتيجي الذي جعله يتنبأ بالكثير من الأحداث قبل وقوعها، وأذكر جيدا أنه في الفترة التي كان فيها دعاة الفتنة من القرضاوي وغيره يدعون الشعب العراقي إلى الاعتصام في الساحات، ورفع شعارات إسقاط النظام، كان يدرك جيدا الأهداف التي يسعى إليها أولئك المعتصمون الممتلئون بالأحقاد، فلذلك دعا الحكومة العراقية إلى التعامل مع تلك الاعتصامات باعتبارها تمردا لا اعتصاما.

ولذلك دعا إلى موقف صارم شديد، لا يحترم فيه إلا الأمن القومي المهدد، وبرر ذلك بأن تلك الاعتصامات لم تكن سوى (ساحات لإثارة الفتن، وتنفيذ الأجنده الخارجية التي تريد أن تشعل حرب طائفية في العراق)

وكان يردد حينها كل مرة: (إن الحكومة تحلت بالحلم والحكمة، وتمادت قيادات الاعتصام بتجاوزها كل الخطوط الحمر، وصنعت أرضية خصبة لتواجد عصابات القاعدة وداعش؛ ولذلك فإن إزالة هذه الساحات واجب وطني وشرعي بعد أن ثبت أنها تصدر الخطاب الطائفي وتجند الإرهابيين)

ودعا في بيان له باعتباره رئيس جماعة علماء العراق (رئيس الوزراء القائد العام للقوات المسلحة بعدم التراجع عن تطهير المحافظات التي تتواجد فيها القاعدة والميليشيات وزمر الإرهاب والجريمة وأن يطاردهم جيشنا الباسل أينما كانوا؛ وألف تحية لمواقف الجيش العراقي الذي يقاتل شرار الناس ويدك معاقلهم ليعيش العراقيون بأمن وسلام)

وصدق في كل ما ذكره، فقد كانت تلك التجمعات بمثابة مدرسة حضانة تهيئ الأرضية لقبول داعش والقاعدة وغيرها من الجماعات المتطرفة، فقد كانت رايات تلك الجماعات تخفق في تلك الاعتصامات، وكانت شعاراتها تردد، لكن المسؤولين للأسف لم يبادروا للمواجهة العنيفة لتلك الاعتصامات، خوفا من وسائل

الإعلام، ومن اتهامهم بمواجهة المظاهرات السلمية، وكانت نتيجة ذلك احتلال مدن كثيرة من طرف الإرهابيين، لم تكن لتحتل لو ووجهت تلك المظاهرات بعنف في بدايتها.

لقد كان في إمكان الشيخ خالد الملا في ذلك الحين أن يركب الموجة، وأن يضع نفسه في قائمة اتحاد علماء المسلمين، ليصبح تبعا للقرضاوي ومن شاكله، وينال من أموال الخليج ما يشاء له هواه، لكنه لم يفعل، ولم يركب الموجة، ولم يساير التيار، بل بقي يواجه كل المؤامرات التي تحاك على الأمة في العراق وسورية وكل البلاد الإسلامية إلى يومنا هذا.

ولذلك تعامل معه الحركيون، والإعلام المغرض باعتباره شبيها لمفتي سورية الشيخ أحمد بدر الدين حسون، ولمفتي مصر الشيخ علي جمعة.. ورموه معهم في سلة التجاهل والتبديع والتضليل والسخرية.

ولذلك لا يرى المغرر بهم من ضحايا الإعلام والتوجهات السلفية والحركية أمثال هذا العالم، وهم كثير جدا، لسبب بسيط، وهو أنهم لا يريدون أن يسمعوا الحقيقة، بل يريدون فقط من يغني لهم على حسب ما يشتهون، لأنهم لا يفكرون إلا بما تمليه غرائزهم وأهواؤهم وسادتهم الذين يخضعون متذللين لهم.

علي جمعة.. المفتي الشجاع

[اضرب على المليان] هي العبارة التي استعملها الإسلاميون ليشوهوا بها فضيلة المفتي المصري الكبير العلامة الصوفي الشيخ علي جمعة، ويشوهوا معها دار الإفتاء المصرية العريقة.. ونسوا أن كل علمائهم وخطبائهم ووعاظهم قد قالوها وأفتوا بها، لا لحماية النظام، أو الأمن القومي، وإنما لتشجيع الغوغاء على اغتيال الشرطة والجيش وكل مساند للأنظمة عالما كان أو جاهلا؛ وقد راح ضحية تلك الفتاوى التحريضية عشرات الآلاف من أفراد الجيوش والشرطة وعامة الناس البسطاء، بحجة كونهم شبيحة أو بلطجية.



ولم يكتفوا بالفتاوى، وإنما كانوا يرسلون الشباب الغر البسيط، بعد أن يخدروا عقله بصكوك الغفران والنعيم المقيم، ليقوم بالعمليات الانتحارية، ويدمر المؤسسات والاقتصاد، لتنهار الدولة، ويتاح لهم حينها الحكم والتسلط.

ولم يكتفوا بالفتاوى لغوغائهم، وإنما راحوا يستجدون غوغاء العالم ومجرميهم ليضربوا، لا بالرصاص الملآن البسيط، وإنما

بالصواريخ الذكية، وكل أنواع الأسلحة.

هم لم يلاحظوا كل تلك المليانات التي أمروا بضربها.. ولكنهم لم يبصروا إلا ذلك المليان الذي أفتى به فضيلة المفتي، صاحب العقل الاستراتيجي الذكي.. والذي تمنينا أن يكون جميع المفتين مثله في ذكائه وشجاعته وصلابته في الحق.

فما العمل مع قوم احتلوا حيا من الأحياء، ثم راحوا من خلاله يرسلون كل يوم مئات الخطابات التحريضية التي تبثها القنوات الفضائية المغرضة.. وانتظر الجيش أن يهدأوا ويسكنوا، وأعطاهم الفرصة تلو الفرصة، ووعظهم، وأرسل لهم المناشير التي تدعوهم إلى العودة إلى بيوتهم، وقبلها العودة إلى عقولهم.. لكنهم رفضوا، وأصروا، واستكبروا استكبارا.

استعمل معهم كل وسائل الردع، فلم تفلح، بل كانوا يستعملون كل ألوان الحيل، ويصورون المشاهد التي حصلت لهم، أو التي يمثلونها، ليملؤوا الشعب حقدا على جيشهم، وينسون أنهم السبب.

فما الذي جعلهم يحتلون ذلك الحي؟.. وما الفائدة في احتلالهم للحي؟.. وهل يمكن أن يقيموا دولة في حي؟.. وكيف تبقى للدولة سلطة ومهابة، وهي لا تملك السيطرة على أحيائها وشوارعها؟.. وكيف تبقى للدولة سيادة بين الدول، وهي لا تستطيع أن تردع غوغاءها، وتعيدهم إلى بيوتهم؟

لذلك كانت فتوى الشيخ ذكية جدا، فلولاها لأصبح ذلك الحي بمرور الزمن منطقة آمنة، ثم تتحول القاهرة بعدها إلى قاهرة شرقية، وقاهرة غربية، ثم يدب الصراع بينهما، وتتحول مصر بعدها إلى دولة فاشلة، أو مجموعة قبائل وعشائر تتناحر وتتصارع..

لقد كنت أستمع إلى تلك الخطابات النارية التي تبثها قناة الجزيرة المباشرة، وكانت كلها تحريضا على الجيش ومؤسسات الدولة، وعجبت كثيرا لصبر المصريين ودولتهم على كل ذلك؛ ذلك أنه كان يحضر لمصر ما حضر لسوريا وليبيا، فقد كان الجيش

المصـري خصوصـا مسـتهدفا مثلـه مثـل الجيش السـوري وسـائر الجيوش العربية، بحكم جواره للكيان الصهيوني وحربه لـه.. لكـني حمدت الله بعـد أن فـك ذلـك الاعتصـام الآثم، وعـاد لمصـر أمنهـا واستقرارها، لتعود مثابة للعلماء والصالحين.

وقد حمدت الله أكثر عندما رأيت الدور الكبير الـذي قـام بـه علماؤها الناصحون، وصـوفيتها الصـالحون، وخصوصـا الشـيخ علي جمعــة ذلــك الــذكي العبقــري الشــجاع الــذي طلب من الجيش والشرطة أن يحسموا في كل قضية تهدد الأمن القومي، أو تشجع الغوغاء على تخريب البلاد وتفتيتها.

فشكرا لـك على تلـك الكلمـة الصـادقة أيهـا البطـل الهمـام، ونحن نردد مثلهـا لكـل جيش يريـد أن يحمي بلـده ضـد أي حـرب ناعمة أو صـلبة، فـالأمن القـومي يحتـاج شـدة وحزمـا؛ فلا تحفـظ البلاد إلا بذلك.

ماهر حمود.. عالم المقاومة

يصر الإعلام المغرض المخادع عند تضليله للـرأي العـام على جلب الكثير من الشخصيات باعتبارها علماء دين، وأنهم الممثلـون الوحيدون للدين، والناطقون الوحيـدون باسـمه، في نفس الـوقت الذي يتغافل فيه عن خيرة علماء الأمة الـذين لم يسـقطوا في فخ الفتنة، ولم يقعوا ضـحايا المشـاريع الصـهيونية والأمريكيـة، وكـان لهم من الوعي والبصيرة ما حماهم من ذلك.



ومن هؤلاء العلامة الجليل سماحة الشيخ ماهر حمـود، رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المقاومة، صاحب اللسان الفصـيح، والفكـر النير، والعلم الواسع، والوعي الاستراتيجي العميق.

وهو الذي وقف في كل مراحل حياته مع المقاومة، وفي وجه أعدائها، ودعا إلى الوحدة الإسـلامية، ونبـذ الطائفيـة، وتعـرض في سبيل ذلك لمحاولات اغتيـالات، إمـا لشخصـه الحسـي أو شخصـه المعنوي، لكنه بقي صلبا ثابتا راسخا لا تهـزه الأعاصـير، ولا يرضـخ للإغراءات، ولا للتهديدات.

ولذلك اختاره العلمـاء العـاملون الواعـون ليكـون أمينـا عامـا

للاتحاد العالمي لعلماء المقاومة، مواجهة لذلك الاتحاد المجرم الذي أسسه ذيول أمريكا في الخليج ليكون منصة للدعوة للفتنة، والذي جُرم بعد انتهاء دوره، ووُصم بالإرهاب.

والشيخ ماهر حمود لمن لا يعرفه[1] وُلد عام 1953 في مدينة صيدا، جنوب بيروت، ودرس في كلية الشريعة في جامعة دمشق بين عامي 1972 و1977، وأسّس وترأس الجماعة الإسلامية في صيدا بين عامي 1971 و1979، وأسس رابطة الطلاب المسلمين في صيدا، وهو من مؤسّسي تجمّع العلماء المسلمين عام 1982 ومسؤول رئيسي فيه حتى العام 1994.. وهو من مؤسّسي الجبهة الإسلاميّة في صيدا والناطق باسمها بين عامي 1985 و1990، ثم انتُخب أخيرا عام 2014 أمينًا عامًا لاتحاد علماء المقاومة.

ومع كونه عالما سنيا إلا أنه وقف ضد الهجمات التي تهاجم بها إيران، أو يهاجم بها حزب الله تحت ذرائع التشيع، مبينا أن كل ذلك صناعة شيطانية، وأن المسلمين أمة واحدة، وأن الخلافات بينهم بسيطة، وأنها مجرد قراءات متعددة لإسلام واحد.

ولذلك كانت طروحاته مملوءة بالعلمية والعقلانية والصدق.. وهي لا تختلف عن طروحات أكثر علماء الشام الذين غيبهم الإعلام المغرض ليطرح بدلهم أولئك السلفيين المتشددين، أو الحركيين المستكبرين الذين استعملتهم الأيادي المشبوهة لتحيل الصراع مع العدو الصهيوني ومن معه من الشياطين الكبار الصغار إلى الصراع مع الإخوة في الدين.

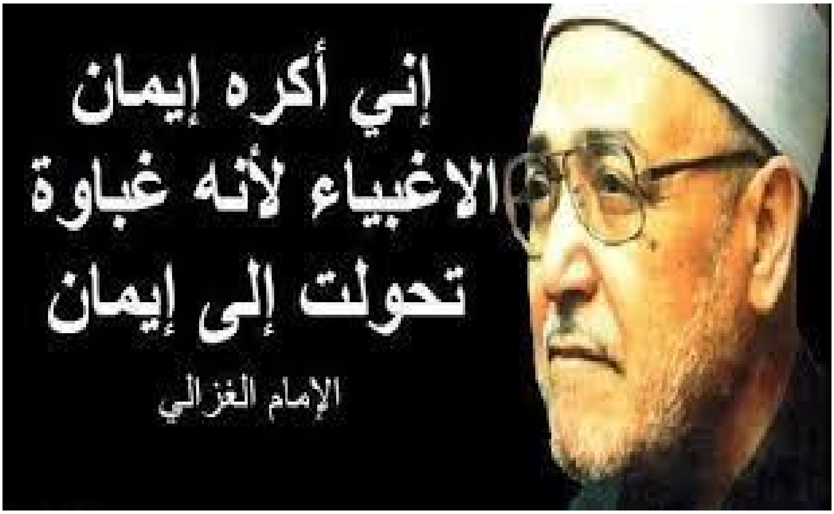
أما موقفه من سورية، فقد كان منذ البدء موقفا متميزا، لا يقفه إلا مثله من العلماء، فقد دعا إلى الإصلاح، وفي نفس الوقت دعا إلى وأد الفتنة، وكان مع النظام السوري، وضد التكفيريين إلى آخر لحظة، وقد لقي في سبيل ذلك أذى كثيرا، بل كاد يحصل له ما حصل للبوطي رحمه الله، لولا أن نجاه الله من غدرهم.

---

1) انظر حوارا أجري معه بعنوان: الشيخ ماهر حمود - الأمين العام للإتحاد العالمي لعلماء المقاومة، برنامج [إسلاميون...وبعد] على قناة الميادين.

محمد الغزالي.. والربيع العربي

يصدح الكثير باسم الشيخ محمد الغزالي، ويثنون عليه، ويتصورون أنهم يحملون همومه الدعوية، وتوجهه الفكري، ومشروعه الحضاري، بينما هم أبعد الناس عنه، وأكثرهم حربا له، وقد كان الربيع العربي هو الابتلاء الإلهي الذي كشف زيف تلك التلمذة، وكذب تلك الدعاوى.



فالشيخ محمد الغزالي الذي لم يكتب له أن يعيش هذا الربيع المشؤوم، كان قد حذر منه بصنوف من التحذيرات، وكأنه كان يراه بفكره الثاقب وبصيرته النافذة.

ولذلك وضع صمام الأمن لمواجهته، ومواجهة ما يحمله من تقسيم للأمة ومحاربة لقيمها وأخلاقها، وإشاعة للصراع بينها.

فقد كان يتحدث كثيرا عن التطرف والتشدد، وجميع أصناف الدجل الديني، ويحذر منها، بل يعتبرها غباء وقلة عقل، ويعتبر أصحابها أدوات يمكن لأي مخادع ذكي أن يستعملها في أي حرب يريدها، وقد حصل ذلك بالفعل؛ فقد كان أولئك المتطرفون الذين حذر منهم الغزالي، وحذروا منه وكفروه، هم الأدوات التي استعملتها قوى الشر في ذلك الربيع المشؤوم لبث الفتنة والصراع.. فهم لا عقول لهم يفكرون بها، بل هم يفكرون بما يمليه عليهم مشايخ الفتنة، وشبكاتها الإعلامية.

وكـان يتحـدث عن المنهج السـلمي في الـدعوة والإصـلاح، ويعتبر العنف سلوكا متنافيا مع الإسلام، وقـد كـان الأسـاس الـذي قام عليه الربيع العربي المزيف هو اعتبـار العنـف جهـادا، واعتبـار الإرهابيين مظلومين ومضطهدين ودعاة حقوق الإنسان.

وكان يتحدث عن الارتباط الوثيق بين مؤسسات الأمة جميعـا لتؤدي دورها الإصلاحي، وكان الربيع العربي هو المقص الذي قطع كل العلاقات، والفأس التي هوت على كل المؤسسات.

وكان يدعو إلى الصلة الطيبة بين الحاكم والمحكوم، ليتعـاون الجميع في خدمة مصالح الأمة، وكانت له لأجل ذلـك علاقـة طيبـة مع الرئيس الجزائري السابق الشاذلي بن جديد، وكان يـدعو أبنـاء الحركة الإسلامية إلى التزام الهدوء والأدب في التعامل معـه ومـع غـيره.. لكن الحركـة الإسـلامية رفضـت توجيهاتـه في حياتـه قبـل موته، وكانت تنادي في الشوارع بعكس مـا كـان يـدعو إليـه، وقـد استثمر دعاة الفتنة ذلك التوجـه ليبـدأ الصـراع في الربيـع العـربي بالصراع مع الحاكم، ثم يمتد لجميع مؤسسات الدولة.

أما ثالثة الأثافي، وعمود الخيمة، وهو الوحدة الإسلامية، التي انطلق الربيـع العـربي لحربهـا، والتفريـق بين المسـلمين وإشـاعة الطائفية بينهم؛ فقد كان الغزالي من أكبر الدعاة إلى الوحـدة بين طوائــف المســلمين جميعــا، وخصوصــا بين الســنة والشــيعة، باعتبارهما أخـوان في الإسـلام، ولا فـرق بينهمـا إلا في كـون كـل واحد منهما له تصوره الخاص للإسلام.. وكان يـرد على الكثـير من الشبهات التي يشيعها المغرضون في ذلـك، ومن ذلـك قولـه: (إنَّ الشيعة يؤمنون برسالة محمد ﷺ، ويرون شـرف علي في انتمائـه الى هذا الرسول، وفي استمساكه بسنته، وهم كسائر المسـلمين، لا يــرون بشــراً في الأولين ولا في الآخــرين أعظم من الصــادق الأمين، ولا أحق منه بالاتباع، فكيف ينسب لهم هذا الهـذر؟ الواقـع أن الذين يرغبون فى تقسيم الأمة طوائف متعاديـة لمـا لم يجـدوا لهذا التقسيم سببا معقولا لجأوا إلى افتعال أسباب الفرقة، فاتسع لهم ميدان الكذب حين ضاق ميدان الصدق، لسـت أنفى أن هنـاك خلافات فقهية ونظرية بين الشـيعة والسـنة، بعضـها قـريب الغـور

وبعضها بعيد الغور، بيد أن هذه الخلافات لا تستلزم معشار الجفاء الذى وقع بين الفريقين، وقد نشب خلاف فقهى ونظرى بين مذاهب السنة نفسها بل بين أتباع المذهب الواحد منها، ومع ذلك فقد حال العقلاء دون تحول هذا الخلاف إلى خصام بارد أو ساخن)(1)

وقال في موضع آخر داعيا إلى ما دعا إليه الشيخ محمود شلتوت من إتاحة الحرية الدينية بين المسلمين ليختار كل مسلما ما يراه مرضيا له عند ربه: (إن السلف والخلف وأهل السنة والشيعة والمتصوفة والمتفلسفة كلهم يرى أنه يخدم الإسلام ويناصر نبيه ﷺ، ويرفع رايته، ومن الصعب إقناع الحرفيين من أهل النص بأن مذهب العقليين أولى بالحق وكذلك العكس، ومن الصعب إقناع العاطفيين من أصحاب القلوب أن مذهب أهل الفقه أدق وأجدر بالاستمساك، وكذلك العكس، ومن الصعب إقناع الشيعة الذائبين فى محبة آل البيت أن النظام الجمهورى فى اختيار الإمام وعزله أولى من الالتفاف حول قريب للرسول ﷺ تضفى عليه العصمة، وكذلك العكس، ونحن نرفض فى التعليق على مذاهب أولئك جميعا قول الشاعر: وكل يدعى وصلا لليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا كما نرفض اعتبار الحق سائلا يتلون مع كل إناء، وأنه ليست له حدود قائمة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها)(2)

وصرح في موقف آخر تصريحا لا يقل عن تصريح محمود شلتوت، فقال: (ولقد رأيت أن أقوم بعمل إيجابي حاسم سدا لهذه الفجوة التي صنعتها الأوهام، فرأيت أن تتولى وزارة الأوقاف ضم المذهب الفقهي للشيعة الإمامية إلى فقه المذاهب الأربعة، وستتولى إدارة الثقافة تقديم أبواب العبادات والمعاملات فى هذا الفقه الإسلامي لمجتهدين من إخواننا الشيعة، وسيرى أولو

---

1) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة : الأولى، ص 221.

2) المرجع السابق، ص173.

الألباب عند مطالعة هذه الجهود العلمية أن الشبه قريب بين ما ألفنا من قراءات فقهية، وبين ما باعدتنا عنه الأحداث السيئة)[1]

ومن هذا الباب أيد فتوى الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر المشهورة، والتي نص فيها على أن (مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر المذاهب، فينبغي للمسلمين ان يعرفوا ذلك وان يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة)، وكان يذكرها كثيرا في دروسه، ومن تعليقاته عليها قوله: (واعتقد ان فتوى الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت، قطعت شوطاً واسعاً في هذا السبيل، واستئناف لجهد المخلصين من أهل السلطة وأهل العلم جميعاً، وتكذيب لما يتوقعه المستشرقون، من أن الأحقاد سوف تأكل الأمة، قبل ان تلتقي صفوفها تحت راية واحدة... وهذه الفتوى في نظري، بداية الطريق وأول العمل)[2]

فهل يمكن لأحد بعد هذه النصوص والاقتباسات من كلام الشيخ محمد الغزالي أن يزعم أنه تلميذ هذا الشيخ، أو يحمل همومه ومشروعه، وهو في نفس الوقت يحمل المعول والفأس وكل أدوات الهدم ليحارب بها جميع مشاريع الشيخ، ويواجه بها كل دعواته؟

1) كيف نفهم الإسلام، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، ص 118.

2) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، ص257.

هيكل.. والعقل الاستراتيجي المغيب

من حماقـات القـائمين على الربيـع العـربي، وخصوصـا ذوي التوجه الإسلامي منهم، تغييب العقول الاسـتراتيجية الكبـيرة الـتي كـان يمكنهم، لـو تقربـوا منهـا، واسـتفادوا من خبرتهـا، ومعرفتهـا بالواقع السياسـي الـدولي، والقـوى الـتي تتحكم فيـه، ومعـرفتهم كذلك بالواقع المحلي، والأقطاب التي تسيره، لحموا أنفسـهم من كل أنواع الفشل التي واجهت مشاريعهم، وفي أقصر مدة.



ومن تلك العقول الكبيرة عقل [محمد حسـنين هيكـل]، ذلـك الذي طرد من كل الجهات، بسبب تصريحاته المضادة لمـا يسـمى بالربيع العربي؛ فقد كان يـدرك تمامـا أن هـذا ربيـع فاشـل، لعـدم تحققه بالمبادئ الأساسية التي تقوم عليها الثورات، وصـرح بـذلك في وسائل الإعلام الكثيرة التي كانت تتاح له حينها.

لكن التفكـير الرغبـوي للجهـات الـتي كـانت ممتلئـة بـالزهو والغرور، لم تتركه ليصف لها الخريـف الـذي ينتظرهـا عن قـريب، بل راحت تطرده وتشوهه وتتعامل معه كما تتعامل مع المجرمين، في نفس الوقت الذي تقرب من يزين لها أعمالهـا، ويثـني عليهـا، حتى لو كان كاذبا في كل ذلك، من أمثـال عـزمي بشـارة، وغـيره من المرتزقة.

وأنا أجزم أن الإسلاميين المصريين لو تقربوا من هيكل، واستعانوا بخبرته الطويلة مع أنظمة الحكم المختلفة التي مرت بمصر، لما حصل لهم ما حصل من ثورة مضادة.. ولما حولهم من يتصورون أنهم حلفاؤهم ــ كالسعودية وأخواتها ــ إلى جماعة إرهابية، ولما أودعوا السجون، ولما صودرت ثرواتهم.. لكنهم صموا آذانهم عن سماع توجيهاته وتحذيراته، وتصوروه بصورة الأيديولوجي المغرض، لا بصورة الاستراتيجي الواقعي الناصح.

وأجزم كذلك لو أن الإسلاميين السوريين الذين كانوا مشعل نار الفتنة في سورية، وحطب وقودها، استعانوا بخبرته، واستفادوا منهما لجنبوا بلدهم كل فتنة، ولبقيت سورية بتلك الصورة الجميلة التي كانت عليها، وأمكنهم معها أن ينالوا من الحظوظ السياسية وغيرها، ما لم ينالوه الآن، بعد أن خربوا الديار، وصاروا مطية لكل راكب.

لكن الإسلاميين لم يفعلوا هذا ولا ذاك، لأنهم لا يحبون إلا من يلمع صورهم، ويمدحهم، ويثني عليهم بالذكاء الحاد، حتى لو فشلوا عشرين مرة، أو مائة مرة.. فهم يتصورون أن نقدهم نقد للإسلام، وأنهم الذي يوجهون، لا الذين يُوجهون.

وعندما نقارن موقفهم هذا بموقف الثورة الإسلامية في إيران، نجد الأمر معاكسا تماما، فإيران في ذلك الحين، استفادت من كل العقول، وقربتها، وجعلتها صوتا من أصواتها، حتى أن هيكل ـ وقد كان حينها لا يزال صغير السن، وأقل خبرة ــ وظف من هذه الثورة، وبقي متأثرا بها إلى آخر حياته، يشيد بها كل حين، بسبب قدرتها على اجتذابه والتأثير فيه.

وقد كتب عنها كتابه المعروف [مدافع آية الله]، بعد أن أجرى حوارات كثيرة مع قيادات الثورة، ومن بينهم الإمام الخميني نفسه.. فهل أتاح له مرسي أو غيره من الإسلاميين الفرصة ليجلس معهم مثلما جلس مع الخميني أو غيره، مع كونه ابن بلدهم، وكان له من العلاقة مع الرؤساء السابقين ما يجعله عارفا بالبلد وتفاصيلها.. هم لم يفعلوا ذلك، لأنهم كانوا لا يحبون إلا من يمجدهم، ويلقي فيهم قصائد المدح، لا من يخبرهم بحقيقة الحال،

وما ينتظرهم في المستقبل القريب.

وهكذا ـ كما يذكر عن نفسه ـ كلما ذهب إلى لبنان استقبل بحفاوة من طرف حزب الله، وجلس مع أمينه العام الساعات الطوال، وهو ما يدل على أن من أسرار قوة ذلك الحزب استفادته من كل الخبرات والطاقات والعقول بغض النظر عن توجهها الديني أو السياسي.

والعجيب أن الجزيرة ـ قناة الفتنة المعروفة ـ كانت تخصص حصة له، وتسميها باسمها، وكان لها جمهورها العريض، ولكنه بمجرد أن خالفها في دورها القذر، وعرفت أن له القدرة على توعية الشعوب العربية حتى لا تقع في فخ الفتنة، طردته واستبدلت به من رأت فيهم القدرة على ذلك.

د. أحمد حسن المقدسي.. والشعر المقاوم

من الشعراء الذين كان لهم شرف النضال عن القضايا الإسلامية الكبرى، وخصوصا ما يحدث الآن في سورية الجريحة الشاعر الفلسطيني المقاوم البطل [د. أحمد حسن المقدسي] الذي كتب القصائد الطوال يهاجم فيها الإرهاب والعنف، ويهاجم محركيه من الظلاميين والرجعيين الذين باعوا أنفسهم لأمريكا وإسرائيل، وأصبحوا مجرد أدوات لتنافيذ مشاريعها.



وقد كان في إمكان هذا الشاعر الفلسطيني بسبب موهبته الفذة، أن يتحول مثل الكثير من الشعراء الذين يجثون بين يدي الملوك والأمراء يلتمسون منهم الصلات، ويبيعوهم ذممهم وكرامتهم وكلماتهم ليرتزقوا منها، كما فعل الكثير.. لكن شاعرنا المقاوم لم يفعل، وأبى أن يبيع كلماته وكرامته، فثمنها لا حد له.

وكان من آثار ذلك الزهد والعفاف عن صحبة الأمراء

والملوك ذلك التعتيم الإعلامي عليه؛ فهـو لا يكـاد يعـرف حـتى أن صورته ـ بعد بحثي الطويل عنهـا في النت لم أجـدها ــ فهـو زاهـد متواضــع يــؤدي دوره في المقاومــة، وبــدون أن ينــال أي ثمن.. وحسبه بذلك كله شرفا.

لكن الإعلام إن لم يعرفه، فقـد عرفـه رجـال سـورية الكبـار، حتى أن سفير سوريا في الأمم المتحـدة الـدكتور بشـار الجعفـري ذكر جزءا من قصيدة له عند رده على السـفير السـعودي دون أن يشير طبعا إلى اسمه.

وسأنقل هنا للمتذوقين للشعر بعض ما قاله من شعر مقاوم، دون أن أعلق عليه، فشعره من الوضـوح والسلاسـة والجمـال مـا يكتفى معه بمجرد القراءة.

فمن قصيدة له بعنوان [يا شـــام صـــبراً]، والتي قدم لهــا بقوله: (هذه القصـيدة هي تحيـة.. وكلمـة شـكر للشـعب وللجيش السوريين على وقوفهما وصـمودهما الـرائعين في وجـه المـؤامرة العربيــة الامريكية الإســرائيلية التركية المســتمرة على ســوريا وشعبها، وسوريا منتصرة بإذن الله والمتآمرون إلى زوال قريب)

يا شامُ صبراً إذا ما ... يا شامُ لا تعتبي، لا ينفعُ

فهذه القدسُ كم خانوا ... ومسجدُ القدسِ في

هذي قبائلُ عهْرٍ لا أمان ... ودينها العهْرُ.. والتعريصُ..

غيرُ التآمرِ لا ميثاقَ ... فليسَ يردَعُهُم خلقٌ ولا

ألنفطُ أفسَدَهم.. ... إذا بصَقتِ عليهم كلهم

يا شامُ لاَ تعتبي، لن ... بغدادُ قبلكِ " يا ما " خانها

يا شامُ غزَّةُ بالنيرانِ ... وأنتِ يسكنُ في أثوابكِ

في غزةِ الفخرِ تقتيلٌ ... في غزةٍ: جُثثٌ ضاقتْ بها

ومما جاء فيها عن التآمر العربي قوله:

يا حاديَ العيسِ للأعراب ... حيثُ الخيانةُ..

في دوحةِ العهْر أقنانٌ فيخرجَ المسخُ يعلو وجهَه

فمسجدُ القدسِ لا أو بائتِلاف بغايا وهو

كيف استحالَ عميلُ وكُلما زادَ طعناً زادتِ

فلستُ أُعجبُ ممَّنْ إذا الخطايا بأهلِ الشامِ

وكيفَ يرْأفُ بالأطفالِ وهو الذي في جرْدَةِ

لم يبقَ مرْتزِقٌ في أيٍّ إلا رموهُ لأرض الشامِ

كلٌّ أعدَّ لذبحِ الشامِ كلٌّ يُحرِّكه في ذبحها أرَب

أما حديثه عن المعارضة، فهو وصف دقيق في منتهى الروعة والجمال، فقد قال فيها:

هذي معارضةُ الشذّاذِ بينَ الموائدِ.. والأذنابِ

يا شامُ كم حضروا فما سقطتِ.. ولا أنخابَهم

وليشربوا اليومَ منْ فالحقُّ حصْحصَ..

وقال فيها مخاطبا الجيش السوري البطل:

يا جيشنا، أنتَ سيفُ اللهِ ومنْ سواكَ لردْع الظلمِ

طهرْ بلادَكَ ممن خانَ تربتها فللخيانةِ.. أُمٌّ أنجَبَتْ...

رأسُ البَلاءِ طويلُ فلتقطعِ الرأسُ حتماً

أعدْ عروبَتنا والدينَ يا بطلاً أنتَ العروبةُ.. والإسلام

ومن قصائده الجميلة قصيدته المعنونة بـ [الاوثان تأكل بعضها]، وهي قصيدة تتناول القمة الفضيحة لترامب في الرياض والأزمة الطاحنة بين شركاء التآمر بالأمس وأعداء اليوم: قطر وكل من السعودية والامارات والبحرين، ومما جاء فيه قوله:

مِن أين أبدأ مَعشرَ القرَّاء فالجرحُ جرحي..

شرَفُ القصيدةِ أن تعرِّي يختالُ فوقَ جماجمِ

قالوا: سَتُعقدُ قِمَّةٌ.. فإذا بيعٌ.. وتعريضٌ.. ووكرُ

جاء المُخلَصُ فاتحاً.. الأبقارُ عاريةً.. بغيرِ
شرِهٌ هو اللصُّ الجديدُ.. خرقاءُ تستعصي على
حَلَبَ الجميعَ: من المليك لِجَوْقةِ المُفتينَ

ومما جاء فيه قوله:

يا ربُ، إني بالعوائلِ فلتضْرِبِ العُملاءَ
أنا شامتٌ فيهم، فماذا إنْ خسرنا شِلةَ
ماذا سَنخسرُ إنْ جيشٍ مِن الأصنامِ..
ماذا ستفتقد الرجولةُ إنْ غيرَ أكوامٍ من
ماذا ستفتقدُ الثقافة إنْ غيرَ طوفانٍ من
كم مرة طعنوا العروبةَ وتنادموا فرَحاً معَ
كم مرة خانوا فلسطيناً.. بالعُروشِ حُثالةُ
ما مرَّ في جسَدِ العروبةِ إلا وكانوا خنجرَ

ومما جاء فيها قوله:

تلكَ الممالكُ والمَهالكُ والعرْشُ والتيجانُ
فلطالما سَكِروا على باسمِ الحقوقِ..ولعْنةِ
مَن ذا الذي ذبح العراقَ حتى غدا هرَماً مِن
سكبوا جهنمَ في الشآم لتعيشَ إسرائيلُ في
مَنْ حَوَّلَ اليمنَ الأبيَّ ومنازلاً.. تبكي على
حتى الخيانةُ أصبحت يتسابقون إليه.. دون
خانوا القضيةَ كي تدومَ باعوا النبيِّ.. ومَوطنَ

لا يَمكنني أن أذكر هنا قصائده الكثيرة، ولكني سأختم بأبيات لواحدة منها، يتهكم فيها على المعارضة المسلحة، وهي حول الباصات الخضر، التي أصبحت رمزا لهزيمة الإرهاب، ومما جاء

فيها قوله، وهو يخاطب الإرهابي الذي يريد أن يركب الباص الأخضر:

عَجّلْ خطاكَ، فماذا أنتَ   فقد تُضِيْعُ حياةً ساقها
الْباصُ أخضرُ، حتماً أنتَ   يكادُ مِنْ زحْمةِ الركابِ
إصعدْ، وإلا فجيشُ الحقِّ   ورأسُمالِكَ طلقٌ ثمَّ
إصعدْ، فما مِنْ فتاوىً بَعْدُ   وحولكَ الأسْدُ لا تبقي ولا
فلا أمَامَكَ حُوْرٌ سوف   ولا وراءَكَ غِلمانٌ... ولا
كمْ كُنتَ بَغلاً وقد صَدَّقتَ   بأنها ثورةٌ بالحقِّ تدَّثِرُ
كَمْ أوهموكَ بأنَّ اللهَ   كأنما اللهُ بالإرهابِ ينتصِر
كَم أوهموكَ بنصرٍ من   تحومُ حولكَ خيْلاً ليسَ
كمْ أوهموكَ بأن الشامَ   وهُمْ، أمامَ شموخِ الشام
كمْ تاجروا بدِماكم مِنْ   حيثُ العمالةُ.. والتَّعريص
أمامَكَ الباصُ، حتى الآنَ   ومِنْ ورائِكَ إرهابٌ
إصعدْ، فكلَّ رفاق الدربِ   دَعِ التَّرددَ واذهبْ، إنه
فالجيشُ يعثرَ في الميدانِ   والثائرونَ كجُرذانِ الثرى
جيشُ الشآمِ أبابيلٌ   فحيثُ كانَ، يكونُ النصْرُ

وفي الختام لم أقصد من هذا المقال ـ كما قد يُتوهم ـ تحليل قصائد الشاعر، ولا بيان لغته وأفكاره، وإنما أردت فقط أن أنبه إلى بطولته في زمن الخوف، وشجاعته في زمن الجبن، وزهده في زمن الطمع.. وأنبه كل مخلص لسورية ولأرض الإسلام جميعا أنه حتى ولو لم يتمكن من دحر الإرهابيين بالسلاح، فيمكنه دحرهم بالكلمة الشجاعة الطيبة، والتي عبرها عنها رسول الله ﷺ في تشجيعه لأحد شعراء الإسلام الأوائل، وقوله له: (اهْجُهُمْ، أَوْ هَاجِهِمْ، وَجِبْرِيلُ مَعَكَ.. إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ ما هاجيتهم)(1)

1) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

إعلاميون .. لكن شرفاء

تعتبر الصحافة بأنواعها المختلفة من أصعب المهام، لا بسبب ما يتعـرض لـه أصـحابها من القتـل والأسـر والاعتقـال، ولا بسـبب الضغوط التي يتعرضون لها من الجهات المختلفـة، والـتي تعـرض مصداقيتهم للتشكيك والاهتزاز.

ولكن بسـبب أخطـر، وهـو مـا يطلـق عليـه في الاصـطلاح الشرعي [فتنة السراء]، ففتنـة السـراء أخطـر من فتنـة الضـراء، كما قال بعضـهم: (ابتلينـا بالضـراء فصـبرنا، وابتلينـا بالسـراء فلم نصبر)



ذلك أن هذه الفتنة تجعل صاحبها يقدم على عمله الـذي يعلم عدم صدقيته بعزم كبير، وهمة عظيمة، لأن تلك الإغراءات الكثـيرة تجعله ينحني أمامها كمـا ينحـني الوثـني أمـام أصـنامه، بـل إنـه لا يكتفي بذلك، وإنما يحاول أن يقنع نفسه بأن صنمه معبود حقيقي؛ فيخشع له خشوعا تاما.

وهكذا فعل أولئك الإعلاميون الذين أغرتهم أموال الخليج؛ فراحوا يبيعون ذممهم، ويخونون أوطانهم، ويصبحون عملاء لأعدائهم؛ فيدعون الشعوب إلى الثورة على حكامها المستبدين متناسين أنهم يعيشون بين يدي أكبر الحكام استبدادا على مدار الكرة الأرضية، بل على مدار التاريخ جميعا.

لكن تلك الأموال التي تغدق عليهم كل حين، ومن كل الجهات جعلت أبصارهم تعمى عن رؤية الجذع في عيون من تعيش بينهم، وتبصر القذى في عيون تلك الشعوب المستضعفة.

لكن ثلة من الإعلاميين الممتلئين بالزهد والعفاف آثروا أن يفكوا تلك القيود الذهبية عن أيديهم وأقلامهم وألسنتهم، ويترفعوا عنها جميعا، ليتحرروا للحقيقة المجردة، وهؤلاء هم الإعلاميون الشرفاء، والذين نحتاج إلى الإشادة بهم وشكرهم، باعتبارهم المثل الأعلى للإعلام النزيه.

ومن هؤلاء أولئك الذين تبوؤوا مناصب محترمة في قناة الجزيرة، وكان يمكن أن يستثمروها في فترة الربيع العربي، ليضاعفوا أرصدتهم وأموالهم، لكنهم لم يفعلوا، وآثروا الحقيقة على الدجل، والعفاف على الطمع.

وعلى رأس هؤلاء(1) وأولهم ذلك الإعلامي المقاوم الشريف الذي لم يبع ذمته في يوم من الأيام الصحفي التونسي [غسان بن جدو]، والذي كان يرأس إدارة مكتب الجزيرة في بيروت من 2004 إلى أن استقال منها في 23 أبريل 2011 ، وأسس بعدها شبكة الميادين الإعلامية، وهي الشبكة التي تبث قناة الميادين المحترمة التي أصبحت المنبر الذي يواجه الحرب الناعمة بأشكالها المختلفة.

ومنهم الإعلامي اللبناني [سامي كليب] الذي يقدم حاليا برنامجه المميز [لعبة الأمم] في قناة الميادين، بعد أن كان يقدم في قناة الجزيرة برنامج [زيارة خاصة] و[الملف]، والذي شغل

---

1) انظر مقالا بعنوان: تعرف على الإعلاميين المستقيلين من الجزيرة، وسام حسن، 02 نوفمبر 2014 ، 11:38 م.

قبل ذلك وظائف إعلامية كبيرة في قنوات مختلفة، وقـد كـان من المؤسسين لقناة الميادين، تلـك القنـاة البديلـة عن قنـاة الجزيـرة وغيرها من قنوات الفتنة.

بالإضافة إلى هذين الإعلاميين المحترمين كان هناك إعلاميون آخرون لا يقلـون شـرفا، من أمثـال [لونـا الشـبل] تلـك الإعلاميـة السـورية، الـتي كـانت تقـدم برنـامج [مـا وراء الخـبر] في قنـاة الجزيرة، منذ عام 2003، والتي اتهمت قناة الجزيـرة بالتـآمر مـع جهات غربية، لقلب نظام الحكم في سـوريا، والتعامـل مـع وكالـة الاستخبارات الأمريكية، وقد استقالت رفقة أربع مـذيعات أخريـات هن جمانة نمور، لينا زهر الدين، جلنار موسى، ونوفر عفلى.

ومنهم أولئك الصحفيون المصريون الشرفاء الـذين اسـتقالوا من قناة [الجزيرة مباشر مصر]، والـذين رأوا مـدى الـتزوير الـتي تمارسه تلك القناة من أجـل تحـريض الشـعب المصـري، وإفسـاد العلاقة بينه وبين نظامه، حتى تنتشر الفتنة والخراب الذي نشـرته في البلاد الأخرى.

ومن أولئـك الصـحفيين علاء العيـوطي، وحـاتم فريـدو، ودينـا موسى، وكارم محمود، وحجاج سلامة، وحسن عبدالغفار وفاطمـة نبيل.

وقد قالت الإعلامية فاطمة نبيـل تعقيبـاً على اسـتقالتها الـتي تقدمت بها لقناة الجزيـرة مباشـر مصـر: (أنـا جيشـي خـط أحمـر مسمحش بالغلط فيـه.. واسـتقلت من الجزيـرة وأنـا لا أعلم هـل يمكن عودتي للتليفزيون مـرة أخـرى أم لا لأن البعض سيحسـبني على النظام الإخواني)

وأوضحت في تصريحات لهـا أنهـا لم تكن راضـية عن تغطيـة القناة منذ أحداث 30 يونيو، وأنه كـان هنـاك قصـد متعمـد لقسـم الشاشـــة في بعض الأحيـــان إلى نصـــفين على أن تكـــون صـــورة معتصمي رابعة العدوية ناحية اليمين في اظهار لتضـخيم أعـدادهم وتأييدهم للشرعية.

وأشـارت إلى أنهـا خلال فـترة عملهـا بالقنـاة على مـدار 6

شهور، لاحظت أن القناة كـانت تتحـيز لصـف الإسـلام السياسـي، حتى الرسائل النصية ذكرت أنها كـانت منتقـاة في أغلب الأحيـان، بالإضـافة إلى الضـيوف المختـارين بعينهم في تجاهـل تـام لبـاقي أطـراف المعارضـة هـذا فضـلاً عن التوجيهـات الـتي كـانت تصـدر لزملائها بعدم الحديث أو إلقاء كلام بعينه على الهواء مباشرة.

وأكد الإعلامي حجاج سلامة مراسل القناة، أنه قدم استقالته لادارة القناة احتجاجا على سياسة القناة والنهج الذي تتبعـه القنـاة وانحيازها الدائم والمستمر للاخوان.

وأكـد على التحـريض المسـتمر من قبـل إدارة القنـاة على الشـعب المصـري، مشـيرا إلى أن عـدد كبـير من زملائـه بالقنـاة يريـدون الاسـتقالة من القنـاة، ولكن لـديهم بعض المخـاوف من ناحية مسؤلياتهم ومن ناحية المرتب المغري، كما أكد أن العاملين بقنـاة الجزيـرة مباشـر مصـر من مقـدمين بـرامج والمراسـلين يعلمون جيدا بسياسة القنـاة ولـديهم معرفـة كبـيرة على ان قنـاة الجزيرة مباشر مصر لها سياستها الخاصة وأنها قناة موجهة.

هذه نماذج عن بعض الإعلامـيين الشـرفاء الـذين عـاينوا تلـك الجرائم التي تقوم بها إدارة قناة الجزيـرة في التحـريض والـدعوة للإرهاب والعنف.. وهي نماذج تستحق التقدير والاحترام الكبيرين.

كما يستحق الاحترام الأكبر أولئك الإعلاميون المتواجدون في قناة المنار تلك القناة الطاهرة الممتلئـة بـالقيم النبيلـة، والـتي لم تسقط في فخاخ الطائفية والأحقاد، ولم تنحرف بوصلتها أبــدا عن القضية الفلسـطينية وغيرهـا من قضـايا الأمـة، وكـانت أكـبر منـبر صادق وواع نبه لكل الأخطار التي تحدق بالأمة.

ولــذلك كلــه أُعلنت الحــرب عليهــا، فحجبت من الأقمــار المختلفــة، وراح المتــدينون المغفلــون بحــذرون منهــا، في نفس الوقت الذي يتركون فيه قنوات الفتنـة الشـيعية والسـنية كوصـال وصفا وفدك وغيرها..

وقد انسجم سلوكهم هذا مع سلوك الصهاينة أنفسهم، والذي كانوا ولا زالوا يعتبرون قناة المنار أخطـر من صـواريخ حـزب اللـه

نفسها، ولذلك أعلنوا الحرب عليها، بل ضربوها في حــرب 2006، وعندما عجزوا عن إسكات صوتها كلفوا العرب بالقيام بذلك، وقــد قام العرب بما عجز عنه اليهود.. ولكنها مـع ذلـك لا تـزال راسـخة قائمة لا تهزها الرياح ولا يؤثر فيها نعيق الخونة.

حسين مرتضى.. الشهيد الحي

من المقاومين الأبطال الذين ساهموا في مواجهة المشاريع الأمريكية والصهيونية والغربية والأعرابية في بلادنا الإسلامية أولئك الصحفيين الأبطال الذين قدموا أرواحهم ضحية لوطنهم وأمتهم، وهم ينقلون الصورة بكل دقة ليواجهوا تلك التضليلات الإعلامية التي ينشرها الإعلام المغرض والتحريضي.



ومن بين أولئك الضحايا الأبطال الذين رووا بدمائهم أرض سورية الحبية الإعلامي الكبير حسين مرتضى، وليس هناك فرق بينه وبين الذين ذهبوا إلى جنان ربهم لتستمر حياتهم الأبدية هناك، إلا فرق واحد، وهو أن الله أضاف لهذا الشهيد حياة جديدة، ليولد مقاوما بطلا فذا، يؤدي من الأدوار ما يقف أمامه الإرهاب ورعاته حائرين.

لقد كان من المفترض والطبيعي لرجل تعرض للكثير من الإصابات التي كادت تودي بحياته، ولا يزال مستهدفا كل لحظة، أن يتوقف بعد أن أدى دوره المقاوم كاملا، لكنه لم يفعل، وقد أجاب من سأله عن ذلك، وكيف لم تفل تلك الإصابات ولا التهديدات من عزيمته قائلا: (الإصابات والتهديدات لم تؤثر، ولن تؤثر بإذن الله لأنني أولا منذ اليوم الأول كنت أعرف أنني سأصبح

هدفا لهذه المجموعات المسلحة، وللدول التي تقف وراءها، لأنهم يخافون من الكلمة، ومن الحقيقة، وهذه الإصابات زادتنا إصرارا وأكدت صوابية ما نقوم به، وهذا أعطاني اطمئنان بأننا فعلا نوجعهم من خلال نقل الحقائق، ومن خلال محاربتهم بالكلمة والصورة والموقف)[1]

وقد وصل من حنق المسلحين عليه أنهم كانوا يبحثون عنه في أي محل ليفتعلوا أي معركة، ويكون هدفهم فيها ليس الانتصار، وإنما قتل ذلك الشهيد الحي.. وهم لا يعلمون أنه شهيد، ويستحيل قتل الشهيد.

وميزته ليست فقط في تلك التضحية التي اكتسبها من اسمه [الحسين]، ولا الشجاعة التي اكتسبها من اسمه [مرتضى]، ولكنه فوق ذلك كله إعلامي محترف، ومحلل استراتيجي قدير، بل إنه لا يقل عن المحللين العسكريين حنكة بفعل تلك المخالطات الدائمة لأبطال الجيش السوري وحلفائه، بل حضوره كل المعارك، ورؤيته المعاينة لها.

ولذلك ــ ومن خلال متابعاتي للحصص التي يقدمها، والتغطيات التي يجريها ـ لم أر منه إلا سداد الرأي والحنكة والفهم الجيد لكل المعارك، والخطط التي يخططها أعداء سورية وأعداء العالم الإسلامي جميعا، وهو يبز في ذلك كل محللي قنوات الفتنة الذين يطبلون ويزمرون ويكتمون الحقائق، ويعطوا بعض الأمل الكاذب في مقابل تلك الأموال الضخمة التي يجنونها.

أما حسين مرتضى المجاهد المقاوم المضحي بنفسه، فإنه كان يتعامل بقلبه وروحه وكيانه كله مع وطنه وأمته، بل إنه أرسل ابنه مع المجاهدين في الوقت الذي يرسل فيه دعاة الفتنة أبناءهم لأمريكا وأوروبا، لينالوا الشهادات.

ولا تتوقف مكارم هذا الشهيد الحي على هذا، فهو ليس مؤسسة إعلامية رسمية فقط، بل هو مؤسسة إعلامية بديلة أيضا،

---

1) من حوار أجري معه بعنوان: حسين مرتضى الجانب الشخصي من حياته، لأجرى المقابلة فادية الحسيني، ومحمد سعد.

فهو يمارس دوره من خلال كل وسائل الإعلام الجديد، فينشر كل ما يتعلق بالمعارك في سورية، ويتحاور مع الإرهابيين، ويستعمل معهم جميع أنواع الحرب النفسية التي جعلتهم يغتاظون منه، ويعتبرونه هدفا رئيسيا في كل معركة يقومون بها.

وهو فوق ذلك كله وقبله إنسان مؤمن مملوء بالتقوى والإخلاص والمشاعر السامية، والمتابع لصفحاته في وسائل التواصل الاجتماعي يجد تلك الروح الشفافة، وذلك الإيمان القوي، وتلك التقوى والورع، فهو صحفي مؤمن، ومقاوم فذ، وإعلامي محترف.

وبهذا الإعلامي وأمثاله استطاعت المقاومة بكل أطيافها أن تتغلب على كل تلك المؤسسات الضخمة التي تديرها أموال كثيرة.. فحسين مرتضى يقول لهم بلسان حاله: الانتصار ليس بالمؤسسات ولا الهياكل، وإنما بالأبطال المضحين الصادقين المخلصين.. فإخلاصهم وصدقهم وتضحيتهم لا يمكن تقديرها بثمن.

رسالة إلى المنزعجين مني

من الملاحظــات الــتي لاحظتهــا على كثــير من أصــدقائي المحــترمين وغــيرهم، حــتى من الــذين كــانوا يثنــون على كتــبي، ويــذكرون لي استــفادتهم منهــا، مــوقفهم المتشــدد مــني بســبب مقالاتي التنويرية حول سورية، ودعمها، ومواجهــة المشــاريع الــتي توجه لتقســيمها وتقزيمهــا وتحويلهــا إلى دولــة فاشــلة، مثــل ليبيــا وأفغانستان والصومال وغيرها من البلاد.



وأنــا أحب أن أقــول لهــؤلاء الأصــدقاء وغــيرهم، بــأني ظللت ســنين من عمــري، منــذ بــدأت أزمــة ســورية، وأنتم تــرددون على مسامعي كل أنــواع الســباب والشــتائم للنظــام الســوري وجيشــه ورئيسه، بل حتى العلماء الذين تبنوا النظام، أو تبناهم النظام..

كنتم كل حين تسمعونني أو أقرأ لكم ليس مقــالات علميــة أو صحفية ناقدة فقط، وإنما سبابا بذيئا، وربمــا كلامــا فاحشــا، وربمــا صورا وكاريكاتورات سوقية ســاخرة، ومــع ذلــك كلــه لم أقــل لكم شيئا.

لم أتهمهم في دينكم، ولا في عقيــــــــــدتكم، ولا في ولائكم لوطنكم، لأني أعلم أنني مجرد عبد بسيط، والله هو الديان، وكنت أعذركم لأنكم لا تســمعون إلا لجهــة واحــدة هي تلــك الجهــة الــتي استطاعت أن تتظاهر بتــني الإســلام، بينمــا هي تمــارس معــه كــل فنون الحرب والتشويه.

لم أقل لكم أبــدا كــل هــذه الســنوات: إنكم أصــدقاء للســفير

الأمريكي أو السعودي أو القطري، ولم أقل لكم أبــدا: إنكم عملاء لأي جهة من الجهات.

بل اكتفيت فقط بالصــمت المطبــق، لأني أعلم أنكم تثــورون لأبسط نصيحة، وتقيمــون الــدنيا ولا تقعــدونها لأحقــر نقــد.. ولأنكم تعتقدون أنفسكم أصحاب الحق المطلق الذي يعلو دائما، ولا يعلى عليه.

وأنا راعيت مشاعركم تلك؛ فلم أرد عليكم، ولــولا أن الســيل بلغ الزبى، وأصــبحت إســرائيل تضــرب ســورية كــل يــوم، ولا أحــد يستنكر، ولا أحد يتحــرك قلبــه، بــل وجــدت من يــدعمها، ويؤيــدها، ويــذكر أنــه لــو ووجــد حلفــا مــع الشــيطان للقضــاء على النظــام السوري، لقام به، أو يطلب منهــا آخــر، وهي في جراحهــا الكثــيرة التي أصابتها بها سهام العالم أجمع أن ترد على إسرائيل، وتضربها ليقف متفرجا على الطائرات الإسرائيلة والأمريكية وهي تدمر كل سورية.

حين حصل ذلــك اختلــف الأمــر.. فلم يعــد الأمــر قاصــرا على إرهــابيين تبــنيتموهم وســميتوهم مجاهــدين.. ولم يعــد بيــد أولئــك العرب الذين تصورتم أنهم حملة لواء السنة، وحماة أهلهــا.. وإنمــا صار بيد إسرائيل وأمريكا وفرنسا وبريطانيــا، والــتي لا يشــك أحــد في كونهم أعداء الأمة من قديم.

ومع ذلك كله لم تتحركوا.. لم يتحرك علماؤكم الــذين زعمتم أنهم وحــدهم العلمــاء، ولم تتحــرك أحــزابكم الــتي زعمتهم أنهــا إســلامية من دون الأحــزاب جميعــا، ولم يتحــرك إعلامكم، بــل راح يصب المزيد من الملح على الجراح السورية.

ولذلك رحنا نصرح بــالحق الــذي كنــا نــراعي مشــاعركم عنــد التلميح بــه.. ورحنــا نــدعوكم إلى اســتعمال عقــولكم، والنظــر في الأمر بجدية بعد كل هــذه الســنوات الطــوال، والــتي ظهــرت فيهــا المعارضة على حقيقتها، كمــا ظهــر فيهــا أولئــك الإرهــابيين الــذين تبــنيتموهم على حقيقتهم.. بــل وردت التصــريحات من الكثــير من الساسة الذين ذكــروا حقيقــة مــا جــرى في ســورية، وأنــه لم يكن

سوى محاولة لتحطيم سيادتها، بل ألفت المؤلفات الكثيرة التي تشرح خطة ما وقع بدقة، بل منها ما كتبه عرابو الخراب أنفسهم من أمثال عزمي بشارة وغيره.

ومع ذلك كله غضضتم أبصاركم عن كل ذلك، وبقيتم مصرين على تلك الأفكار التي لقنتم إياها في أول يوم.. وصرتم ملوكا أكثر من الملوك أنفسهم.

وكان لكم بعد هذا أن تسكتوا على الأقل، أو تدعوا مخالفيكم يعبرون عن آرائهم بكل حرية، لكنكم أبيتم ذلك.. ورحتم تجرمون من يفعل ذلك.. ولست أدري بأي لغة أعبر عن هذا السلوك، وهل يمت للإنسانية والحضارة بأي صلة.. وهل يمت قبل ذلك للأخلاق التي دعانا إليها ديننا بأي صلة.

لو أنني حملت بندقية أو أي سلاح، ورحت إلى سورية واستعملته ضد من تسمونهم ثوارا أو مجاهدين، لكان لكم ربما بعض العذر في تلك الحملة التي تشنونها علي، ولكني لم أفعل..

كل ما فعلته هو مجرد كلمات وكتابات.. لكنكم ضقتم منها، في نفس الوقت الذي تدعون أنكم تحاربون فيه الاستبداد، وتدعون فيه إلى الحرية، وتحاربون فيه الأنظمة التي تمنع ألسنتكم أو أقلامكم، مع أن الأنظمة أرحم منكم، فهي تتيح للجميع أن يتحدث ويكتب ما لم يمس بالأمن العام.

ولست أدري هل كتاباتي هذه تمس بالأمن العام، وأنا الذي أقول لشعب بلادي، وجميع شعوب البلاد الإسلامية: مهما فسدت أنظمتكم، ومهما عانيتم بسببها، فلا يصح أبدا أن تدعو إلى إسقاط الأنظمة أو محاربتها، بل استعملوا كل وسائل التغيير السلمي التي تتيح لكم خدمة بلادكم من غير أن تهريقوا قطرة دم، أو تهدموا أي بيت أو مؤسسة، لأن القتل والهدم لا يلد إلا القتل والهدم.

ولم أقل هذا عن سورية وحدها، بل عن كل بلاد الإسلام، بل حتى لغير بلاد الإسلام، فأنا لا أؤمن بالعنف والصراع، بل أؤمن بالحوار والتغيير السلمي الهادئ الممتلئ بالأدب، والذي إن لم يثمر في الوقت القريب، فسيثمر في الوقت البعيد.

بعد هذا أقول لهؤلاء، بأني لا أعرف أي جهـة في الـدنيا، فأنـا كالمعري حبيس بيتي الريفي المتواضع، والذي يبعـد عن العاصـمة بمئات الأميال، ولا أعرف إلا طلبتي المحدودين، وبعيد جدا عن كل الجهـات سياسـيها وثقافيهـا، فلـذلك لا تضـخموا الأمـور، ودعـوني أكتب ما أريد، ولكم أن تنتقدوني بما تشـاءون، واعلمـوا أني مهمـا قلتم فلن أتغير، لأني أعلم أن الله وحده هـو الـديان، ونحن جميـع عباده الفقراء إليه، وأننا لا نفعل إلا ما نتصور أنه يرضيه.

فافعلوا ما تتصورون أنه يرضي اللـه، ولا تمنعـوني أن أرضـي الله بما أراه وأقوله، والذي أعتقد أنـه واجب شـرعي، لأن المنكـر كبير، والساكت عن الحق شيطان أخرس.

هذه رسالتي إليكم لتراجعوا أنفسكم، لا بالقبول بمـا أطرحـه من آراء، فذلك شأنكم، ولكن في التواضع مع مخـالفيكم، واعتبـار أنهم ربمـا يكونـون من المجتهـدين الـذين اخطـأوا في اجتهـادهم، وأنتم قـد تعـودتم أن تعـذروا من قتـل عشـرات الآلاف بـل مئـات الآلاف بسـبب خطئـه في الاجتهـاد، فاعـذروني، فأنـا لم أقتـل بمقالاتي هذه صرصورا واحدا، وإنما هي مجـرد كلمـات، وإن كـان هناك من يحاسبني عليها، فدعوا الأمر لله، فعند اللـه يكشـف كـل شيء، وتظهر كل الحقائق.